جلاء القلوب من الأصداء الغينية

ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية

تأليف

محمد بن جعفر الكتاني

رحمة الله عليه

تحقيق

باحثي المركز الإسلامي

بمسجد الدكتور

حسن عباس زكي

إشراف الأستاذ الدكتور

علي جمعة محمد

المجلد الثاني

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

الصفحة الأولى من المخطوطة

المجلد الثانى

من كتاب جلاء القلوب

من الأصداء الغينية ببيان إحاطته عليه السلام

بالعلوم الكونية

تأليف

محمد بن جعفر الكتانى رحمة الله عليه

الإهداء كما وجد فى آخر صفحة من الكتاب

وقد قدمتها هدية إلى صاحبها عليه الصلاة والسلام

هدية الفقير للأمير والسوقى للإمام فإن قبلت

فيا حبذا المطلوب والمرام وإن ردت فالعفو عن

الزلل والخطأ شيمة الكرام

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا مُحمَّد وآله
قال الشيخ الإمَام الحَافظ الشريف
سَيدى محمد بن الإمَام شيخ الجَماعة
سَيدى جَعفر الكتانى رضى الله عنهما

قال القيصرى فى " شرح الفصوص ": ولا يتجلى الحق من حيث ذاته عَلى الموجودَات بالأسمَاءِ الذاتية إلا للكمل والأفراد انتهى. ونحوه ذكره العَارف الجامى فى " شرحه لنقش الفصوص " قائلا بعد ذكره للكمل وَالأفراد ما نصه: وَلا يتجلى الحق تعَالى بالأسماءِ الذاتية إلا لهم انتهى.

– الفرق بين التجلى الذاتى والأسمائى والصفاتى–

فإن قلت مَا الفرق بين التجلى الذاتى وَالتجلى الأسمائى وَالصفاتى؟

فالجواب: أن الأول وهو الذاتى هو ما يكون من حضرة الاسمِ الله الجامِع بجميع الأسمَاءِ وَالصفات، وَإن شئت قلت هو ما يكون مبدؤه من ذات أحدية جمع جميع الأسمَاء الإلهية وَالصفات من غير خصوصية اسم دون آخر وصفة دون أخرى، فهُوَ لاَ يحصل إلا بواسطة الاسم الجامع، ولا يقع بدون وَاسطة أصلا، إذ لا يتجلى الحق من حيث ذاته للموجودَات كمَا سبق التنبيه عليه.

وذكره أيضاً السيد الشريف على بن محمد الجرجَانى فى " تعريفاته " وَالقيصرى فى " شرح الفصوص " وَالجامى فى " شرحه لنقشها " وغير وَاحد إلا من ورَاء حجاب من الحجب الأسمائية وما اشتهر من أن التجلى الذاتى يوجب الفنَاء، وارتفاع أنية العبد

المتجلى له إنما هو إذا كان التجلى بصفة القهر والوحدة الموجبة [٣] لارتفاع الغيرية وانقهارها ولذا أتى بالواحد القهار فى قوله ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ [غافر: ١٦] الآية.

والثانى: وهو التجلى الأسمائى هو ما يكون من حضرة من حضرات الأسماء الإلهية غير حضرة الاسم الجامع كالرحمن والواسع والحكيم وما أشبه ذلك.

والثالث: وهو الصفاتى هو ما يكون مبدؤه خصوصية صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات وسائر الصفات.

– الفيض الأقدس –

والتجلى الجمعى الذاتى بحسب أولية الذات وباطنيتها الموجب لوجود الأعيان كلها وأحوالها واستعداداتها الأصلية فى الحضرة العلمية كما قال فى الحديث القدسى: كنت كنـــزاً مخفياً فأحببت أن أعرف... الحديث يسمى عندهم بالفيض الأقدس، وبالفيض الذاتى، وبالتجلى الأول وهو من ذاته قد تجلى على ذاته سمى أقدس بصيغة اسم التفضيل لأنه أقدس وأبعد من شوائب الكثرة ونقائص الإمكان، وبه تحصل الأعيان الثابتة واستعدادها الأصلية فى العلم كلية كانت أو جزئية والتجليات الأسمائية بحسب ظاهرية الذات وآخريتها الموجبة لظهورها ما يقضتيه استعدادت تلك الأعيان فى الخارج تسمى بالفيض المقدس وبالفيض الأسمائى الصفاتى سمى مقدسا بدون صيغة اسم التفضيل مع نـــزاهته وبعده عما تقدم لكونه تلبس بظهور صفة الوجود العينى الحادث عنه إذ به تحصل تلك الأعيان فى الخارج مع لوازمها وتوابعها فهو مرتب على الأول انظر [٤] " التعريفات الجرجانية " وغيرها.

وفى " نقد الفصوص فى شرح نقش الفصوص " للعارف بالله الجامى ما نصه: فالأعيان الثابتة هى الصور الأسمائية المتعينة فى الحضرة العلمية، وتلك الصور فائضة من الذات الإلهية بالفيض الأقدس والتجلى الأول بواسطة الحب الذاتى، وطلب مفاتيح الغيب التى لا يعلمها إلا هو يعنى أو من علمه إياها من الأقطاب والكمل ظهورها وكمالها، فإن الفيض الإلهى ينقسم إلى الفيض الأقدس والفيض المقدس، وبالأول تحصل

الأعيان واستعدادها الأصلية فى العلم، وبالثانى تحصل تلك الأعيان فى الخارج مع لوازمها وتوابعها انتهى منه بلفظه.

– التجليات لا تكون إلا عند المتجلى له –

وقد ذكروا فى التجليات الإلهية للخلق أنها لا تكون أبداً إلا على صورة المتجلى له، يعنون على صورة يقتضيها استعداده، فإنه تعالى كما ذكره العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى " موازينه الذرية " من حيث خلق عالم المواد ما تجلى لكل مخلوق إلا بصورة ذلك المخلوق قال غير ذلك لا يكون، فما عرف عارف إلا صورة نفسه فى مرآة الربوبية انتهى.

وقال فى " درر الغواص ": وسمعته يعنى شيخه سيدى عليًا الخواص رحمه الله يقول: التجلى الذاتى لا يكون أبداً إلا بصورة استعداد العبد وغير ذلك لا يكون، فإذا المتجلى له ما رأى سوى صورته فى مرآة الحق وما رأى الحق انتهى.

وأصله فى " فصوص ابن عربى " قال شارحاها القيصرى والجامى: لأن الذات الإلهية ليس لها فى حد نفسها صورة [٥] متعينه لتظهر بها وهى مرآة الأعيان فتظهر صورة المتجلى له فيها بقدر استعداده كما أن الحق يظهر فى مرايا الأعيان بحسب استعداداها وقابليتها لظهور أحكامه، زاد القيصرى: وغير ذلك لا يكون إذ لا بد من المناسبة بين المتجلى والمتجلى له انتهى.

وذكروا أيضاً أن الأسماء والصفات له تعالى مظاهر وأنها بنورانيتها حجب وستور للظاهر تحجب القلب والعين عن مشاهدة العين وأن سيدنا محمدا ﷺ هو مجلى جميع التجليات ومحل سائر الظهورات لأنه حجاب الله الأعظم، والبرزخ الأكبر الأعم القائم بين يديه تعالى بالمواجهة والمباشرة، وما سواه كله من وراء حجابيته القاهرة، فما من أثر فى العوالم إلا وهو من الحقيقة الأحدية من وراء الحقيقة المحمدية، والحقيقة المحمدية من ورائها حجاب العزة، وهو حجاب الكبرياء والعظمة الذى لا ينخرق لأحد ثمة، وحينئذ فهما نوران حاجبان للخلق عن رؤية تجليات الحق نور العزة الذى هو نور

الكبرياء والعظمة، ونور الحقيقة المحمدية وهو الثاني، والحقيقة أيضاً دونها حجب الأنوار فلا مطمع لأحد فى الوصول إليها ولا فى تخطى الحجب المشرفة عليها، وعليه فتجليات الحق تعالى له ﷺ كلها من وراء حجاب الكبرياء والعظمة الذى هو وصف من أوصاف ذاته المعظمة.

وقال الشيخ الأكبر: التحقيق أنه من أوصاف العقول والقلوب العارفة به تعالى [٦] المجلة له والمعظمة، فهو عليها كالرداء على لابسه تحجبها تلك العظمة عن إدراك الله تعالى عند التجلى وعن الإدلال عليها وتورثها الإذلال إلى الخضوع بين يديه، فلذلك لا يتأتى أن يعرفه عارف ولا أن يصفه بكنهه واصف لأنه حجاب لا سبيل إلى انخراقه ولا بد فى حق كل مخلوق من رواقه. راجع " الفتوحات " فى الجواب عن السؤال الرابع ومائة من أسئلة الحكيم الترمذى، وتجلياته لغيره من وراء هذا الحجاب ومن وراء حجابية حقيقته ﷺ ومن وراء الحجب التى دونها فهى ثلاث حجب لا زوال لأحد عنها ولا بد لكل مخلوق من غيره ﷺ منها ثم تتكاثر الحجب بعد ذلك أو تقل بحسب المراتب وما جعله الله لكل طالب.

وقول ابن مشيش: وحجابك الأعظم أراد به الحقيقة المحمدية لكن ينبغى أن تفهم أن حجابيته ﷺ وضعت لتمام الإفادة لا للمنع من الإفادة لأنه لولا حجابيته لم يقدر الخلق أن يباشروا ربهم بالإفادة منه، لأنه بنفس وقوع أبصارهم على ستر الكبرياء والعظمة الذى بينهم وبينه تحترق ذواتهم ويزول وجودهم، فجعل تعالى حجابا بين يديه وجعل له وجهتين وجهة إلى الخلق ووجهة إليه ليستفيدوا بسبب وجوده مادة وجودهم ومادة إبقائهم ومادة الإفادة منه تعالى إذ جميع ذلك يتلقاه الحجاب الأعظم من الله تعالى لكونه قواه بقوته ثم يفيضه هو على جميع الموجودات وسائر المكونات [٧] ولولا هو ما استفادوا من الله شيئا لا وجوداً ولا بقاءً ولا إمدادًا.

وفى " جواهر المعانى " نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى فى " شرحه لياقوتة الحقائق " قال فيه لدى قولها: والنور السارى الممدود ما نصه: وهذا النور هو سيد الوجود وعلم الشهود ﷺ وهو المراد بقوله ﷺ فى حديث أبى سعيد: حجابه النور لو

كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه. فإن هذا النور هو سيدنا محمد ﷺ إذ هو القائم بين يدى الحق سبحانه بالمباشرة له ﷺ والوجود كله تحت ظله ﷺ مستتر به عن جلال الحق وعظمته، ولو أنه سبحانه وتعالى كشف هذا النور وكشطه حتى رآه الوجود بعينه من غير واسطة النور لاحترق كل ما أدركه الله ببصره من المخلوقات، ويصير محض العدم فى أسرع من طرفة عين، فبوجود هذا النور تمتع الوجود بالوجود، وتقلب فى أطوار المصادر والورود انتهى منه بلفظه.

وقوله فى حديث أبى سعيد كأنه سبق قلم، والحديث أخرجه مسلم فى الإيمان من حديث أبى موسى الأشعرى ولفظه: عن أبى موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بى مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَنَامُ وَلاَ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُه النُّورُ - وَفِى رِوَايَةِ أَبِى بَكْرٍ النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ[٨] - أى أنوار ذاته الكريمة وجلالها وبهاؤها - مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِه »[١].

قال النووى: والمراد بما انتهى إليه بصره من خلقه: جميع المخلوقات لأن بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكائنات. قال: ولفظ من لبيان الجنس لا للتبعيض والتقدير، لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نورًا أو نارًا وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته والله أعلم.

وفى " جواهر المعانى " أيضاً فى الباب الخامس فى الفصل الثانى نقلاً عن الشيخ فى جواب له عن هذا الحديث المذكور ما نصه: الحجابية الأولى للحق حجاب الكبرياء ولا سبيل إلى انخراقه، والحجاب الثانى للحق حجاب الحقيقة المحمدية بين الله تعالى وبين الوجود والحقيقة المحمدية دونها حجب الأنوار، فلا مطمع لأحد أن يصل إلى الحقيقة المحمدية ويتخطى حجب الأنوار التى دونها، وإنما تجليات الحق كلها من وراء

---

(١) أخرجه مسلم (١/١٦١، رقم ١٧٩)

حجاب الكبرياء، ومن وراء حجاب الحقيقة المحمدية ومن وراء الحجب التى دونها انتهى.

وفى " مواقف الأمير عبد القادر بن محيى الدين الجزائرى " فى الموقف الثانى والستين ما نصه: وموسى عليه السلام وكل عارف يعلم أن رؤية الحق تعالى يلزمها الحجب إما كثيرة وإما قليلة إما لطيفة وإما كثيفة، ومن المحال رؤية الحق تعالى بلا حجاب لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، ولكن الراءون متفاوتون فى كثرة الحجب وقلتها وكثافتها ولطافتها، فالعقل [٩] الأول أى الذى هو القلم الأعلى يرى الحق تعالى من وراء حجاب واحد، وهو الحقيقة المحمدية، والنفس الكلية أى التى هى الذات المخلوقة من جنبه الأيسر كخلق حواء من آدم عليهما السلام، وهى المسماة باللوح المحفوظ تراه من خلف حجابين أى حجاب الحقيقة المحمدية وحجاب العقل الأول وهكذا، وما رؤية النبى ﷺ كرؤية غيره من الأنبياء ولا رؤية بعض الأنبياء كرؤية باقيهم، فإنه تعالى أخبر أنه رفع بعضهم فوق بعض درجات، وليس ذلك إلا بزيادة العلم به، ولا رؤية الأولياء كرؤية الأنبياء، ولا رؤية بعض الأولياء كرؤية البعض الآخرين، فإن كل راءٍ للحق تعالى إنما تكون رؤيته بحسب استعداده، والاستعدادات متباينة متفاوتة فلا يشبه استعداد استعدادًا وهذا هو الوسع العظيم انتهى منه بلفظه.

واعلم أن التجلى بالذات البحت وهى فى مرتبة الأحدية المطلقة ليس لغير الله تعالى فيه ذوق ولا قدم، ومن تعبد من الناس وتذلل لحضرة الذات الصرف أو الحضرة الأحدية المطلقة أو نقول لإدراك الاسم الله أو الاسم الأحد فقد طمع فى غير مطمع، وعمل فى غير مَعْمل، فإن الذات لا تقبله والأحدية تمحيه وتمحقه، لأنها من خصائص الذات التى تمحق الأغيار، ولا يتأتى أن يكون لغيرها معها قرار، ولا يصح لأحد معرفتها لمنافاتها وجود العابد، ولهذا قال فى " الإنسان الكامل ": إن أهل الله تعالى مُنِعُوا من تجلى الأحدية أى من ذوقه فضلا عن تجلى الذات [١٠].

وقال فى " الفتوحات " فى الباب الثانى والسبعين ومائتين: المفهوم من لفظ أحد بالنظر إلى تفسير المعانى على طريق أهل الله أنه لا يعبد من حيث أحديته لأن الأحدية

تنافي وجود العابد، فكأنه يقول لا يعبد إلا الرب من حيث ربوبيته، فإن الرب أوجدك فتعلق به وتذلل، ولا تشرك الأحدية مع الربوبية فى العبادة فتذلل لها كما تتذلل للربوبية، فإن الأحدية لا تعرفك ولا تقبلك، فيكون تعبد فى غير معبد، وتطمع فى غير مطمع، وتعمل فى غير معمل، وهى عبادة الجاهل، فنفى عبادة العابدين من التعلق بالأحدية، فإن الأحدية لا تثبت إلا لله مطلقا، وأما ما سوى الله فلا أحدية له مطلقا، فهذا هو المفهوم من هذه الآية عندنا من حيث طريقنا فى تفسير القرآن انتهى.

وقال فيها أيضاً فى الباب الرابع والأربعين وثلاثمائة بعد ما ذكر اسم الله تعالى الأحد ما نصه: ولا يتجلى فى هذا الاسم، ولا يصح التجلى فيه ولا فى اسم الله، وما عدا هذين الاسمين من الأسماء المعلومة لنا فإن التجلى يقع فيها انتهى.

وقال فى " الفصوص ": منع أهل الله التجلى فى الأحدية يعنى حكموا بأنه لا يقع ذوقه لأحد، أو منعوا طلب التجلى من مقامها، قال فإنك إن نظرته به أى فى مقام الفناء فهو الناظر لنفسه، فما زال ناظراً نفسه بنفسه، أى وليس ذلك تجلياً بأحديته على أحد، وإن نظرته بك زالت الأحدية بك، وإن نظرته به وبك زالت الأحدية أيضا، لأن ضمير التاء فى نظرته ما هو عين المنظور [١١] فلا بد من وجود نسبة ما، اقتضت أمرين ناظراً ومنظورًا، فزالت الأحدية وإن كان لم ير إلا نفسه بنفسه انتهى.

وقال الجيلى فى " شرحه لمشكلات الفتوحات المكية " ما نصه: فليس شيء من تجليات الأسماء والصفات أعلى من تجليات الأحدية، ولعزتها منع أهل الله تعالى أن يكون لغير الله قدم فى تجلى الأحدية، وسر المنع أن الأحدية من حيث هى أحدية تقتضى عدم التعدد فيها من كل وجه، وبكل اعتبار فكيف يكون لخلق فيها قدم مع حق، وذلك مشعر بالتغاير والاثنينية، وهذا محال غير ممكن فى تجلى الأحدية انتهى.

وفى "لطائف الأعلام " للقاشانى فى ترجمة الإحسان: تعالى الذات الأقدس وتعزز وتقدس أن يرى فى إطلاقه لغير ذاته انتهى.

وقال فى " جواهر المعانى " نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى ما نصه: وأما مرتبة الأحدية فلا توحيد فيها لأنها إن تجلت، فإن كان الرائى مشعرا بها فلا أحدية، إذ هما

اثنان وغيرة الحق تأبى عن هذا فليست هى الأحدية، وإذا انمحق تحتها وذهب شعوره بنفسه وبفنائه فلا مشاهدة حينئذ إنما هو الحق بنفسه فى نفسه لنفسه عن نفسه فأين الغير حتى تتجلى له الأحدية، ولذا أجمع العارفون كلهم على أن التجلى بالأحدية غير ممكن انتهى المراد منه بلفظه.

وقال العارف بالله سيدى عبد الغنى النابلسى فى " الظل الممدود فى معنى وحدة الوجود " ما نصه: حضرة الأحدية هى المكنى عنها عند المحققين من أهل المعرفة بوحدة الوجود، وهى [١٢] الميئوس منها عندهم لا يمكن أن تدركها بصيرة أو تعرفها سريرة، وهى ذات الحق تعالى، وعند الوصول إليها تضمحل الرسوم وتنمحق جميع المعارف والعلوم، ولا بد للسالك فى أول طريق العرفان المقبل على مقام الإحسان بعد إتقان مقام الإسلام والإيمان أن يشعر بالفناء ذوقاً بها فيفنى كله عنها حتى عن الفناء تحققا وذوقا، بأن يكشف له عن ذلك من غير أن يتغير عما هو فيه، وهذا ظاهره محال وباطنه حق عند من له فيه مجال، وهو الكشف عن الحضرة الأحدية انتهى منه بلفظه.

وفى " كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان " للعارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى ما نصه: وسألونى هل وصل أحد إلى التنزيه المطلق الذى لا يشوبه تقييد؟ فأجبتهم: لم يصل أحد إلى ذوقه، وإنما يصل الناس إلى العلم به لأنه سمع فى الشرع ولم يوجد فى العقل، وغاية الإطلاق تقييد لأنك لا تطلق الحق إلا بعد تعقلك مقابله من التقييد فتأملوا هذا السر العجيب، وقد أنشدوا فى ذلك:

فتقييده إطلاقه من وثاقنا ... فما ثم إطلاق يكون بلا قيد

فمن عرف الأشياء قال بقولنا ... فعود على بدء وبدء على عود

إلى آخر ما قالوا، والله أعلم انتهى منه بلفظه.

وأصل كلامه الأخير فى " الفتوحات " فى الباب الحادى والخمسين وثلاثمائة ونصها: فما ثم إطلاق لا يكون فيه تقييد، لأن المقيد الذى هو الكون تميز عن إطلاقه، يعنى عن إطلاق الحق بتقييده يعنى بتقييد الحق فقد قيده بالإطلاق، وهو يعنى التقييد

تجليه فى كل صورة، وقبوله كل حكم ممكن من حيث إنه [١٣] عين الوجود فقد قيدته أحكام الممكنات ثم أنشد:

فتقييده إطلاقه من وثاقنا . . .

إلى آخر البيتين السابقين، وزاد بعدهما آخرين فراجعه.

وفى " رسالة فتوح الغيب " لصدر الدين محمد بن إسحاق القونوى ما نصه: لا يصح أن يكون الحق سبحانه مطلوبا بالأحد، ولا محبوبا إلا للإنسان الكامل، والنزر من الأفراد المشاركين للكامل فى هذا الذوق انتهى المراد منه.

وفى " الموازين الذرية " للعارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى ما نصه: بلغنا عن الشيخ محيى الدين ﷺ أنه كان يقول: فإدارك تجلى الأحدية ذوقا، وهذا لا يصح إلا عند من يقول إن الحق تعالى يقبل حكم كل ممكن من حيث أنه عين الوجود، ولو قيل بذلك لا يتخلص له إلا عند فنائه لا فى حال بقائه مع الحق تعالى وحينئذ فما رأى إطلاق الحق تعالى إلا الحق فافهم وإياك والغلط، فإنه لا حلول ولا اتحاد، ولا يلحق عبد رتبة ربه أبدا، ولو صار الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه انتهى منه بلفظه.

وقوله: إلا عند من يقول القائل بذلك هو الشيخ الأكبر وأتباعه وتقدم قريبا نصه بذلك فى " فتوحاته " وصرح به أيضاً فى " الفصوص " ونصها فيها يعنى بالعين الثابتة التى للموجودات، وتنوع استعداداتها بتنوع الحق تعالى فى المجلى فتتنوع الأحكام عليه يعنى من ذلك المجلى فيقبل كل حكم، ولا يحكم عليه إلا عين ما تجلى فيه ثمت إلا هذا ثم أنشد:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا ... وليس خلقاً بذلك الوجه فاذكروا[١٤]

من يدر ما قلت لم تخذل بصيرته ... وليس يدريه إلا من له بصر

جمع وفرق فإن العين واحدة ... وهى الكثيرة لا تبقى ولا تذر

انتهى.

ومعنى قبوله لحكم كل ممكن الاتصاف بوصفه، والتقييد بقيده، والانصباغ بصبغته يعنى من حيث تجليه لا من حيث هو عليه فى نفسه من الإطلاق الصرف،

والتنــزيه الحقيقى لأنه يستحيل على الموجود الحق أن يتصف بصفة الحوادث أو يتغير بتغيرها، وذلك بأن يظهر تعالى فى مظاهر أعيان الممكنات أو تقول فى المرايا المختلفة والمجالى المتعددة، وتتنوع الأحكام أى الأوصاف عليه بحسب ما هى عليه من الاستعدادات من غير حلول، ولا تغير كما مر عليه فى ذاته تعالى الله عن ذلك.

وقوله – أعنى الشعرانى –: ولو قيل بذلك لا يتخلص له إلا عند فنائه. يعنى عند المخافه، وذهاب شعوره بنفسه وبفنائه.

وحينئذ فما رأى الله إلا الله، ولا أظهر تعالى نفسه فى ذات هذا العبد التى اتخذها مظهرا إلا لنفسه، وقد عقد الشيخ فى " فتوحاته " بابا لمعرفة الفناء وأسراره، وهو الباب الموفى عشرين ومائتين وقال فى الكلام على النوع الثالث منه، وهو الفناء عن صفات المخلوقين ما نصه: وصاحب هذا الفناء دائما فى الدنيا والآخرة لا يتصف فى نفسه ولا عند نفسه بشهود، ولا كشف، ولا رؤية مع كونه يشهد، ويكشف، ويرى، ويزيد صاحب هذا الفناء على كل مشاهد، وراء، ومكاشف، أنه يرى الحق تعالى كما يرى نفسه لأنك [١٥] رأيته به لا بك، وهذا مشهد عزيز لم أر له بالحال ذائقا فإنه دقيق، فمن زعم أنه ذاقه ثم رجع بعد ذلك إلى حسه ونفسه، وأثبت لنفسه صفة ليست هى عين الحق التى علمها، فليس عنده خبر بما قاله، ولا يعرف من شاهد، ولا ما شاهد، ثم إن صاحب هذا الفناء مهما فرق بين صفاته فى حال الفناء، فرأى غير ما سمع، وسمع غير ما سعى، وسعى غير ما شم وطعم غير ما علم، وعلم غير ما قدر، وميز وفرق بين هذه النسب، وادعى أنه صاحب هذا النوع من الفناء فليس هو، وإذا توحدت عنده العين فسمع بما به رأى، بما به تكلم، بما به علم، وسعى وشم وطعم وأحس، ولم يختلف عليه الإدراك باختلاف الحكم فهو صاحب هذا الفناء ذوقاً صحيح الحال انتهى منه بلفظه والله أعلم.

– التجلي بالذات في مرتبة الأحدية الجمعية –

وأما التجلي بها أعني بالذات في مرتبة الأحدية الجمعية، وهي مرتبة التجلي الأول، والتعيين الأول، والوحدة الحقيقية، فهو مدرك للحبيب الأعظم سيدنا محمد ﷺ ذوقاً وشهودا بطريق الأصالة ولغيره من ورثته الكاملين المحمديين بطريق التبعية له.

ففي " لطائف الأعلام " للقاشاني في مبحث المطلع: أن طلوع شمس الحقيقة بأسمائها الذاتية، وبمفاتيح غيبها في أعلى مراتب تعيناتها الذي هو مرتبة الغيب المغيب هو اجتلاء التجلي الذاتي الأحدي الجمعي في منصة مجلاه الذي هو عين القابلية الأولى والبرزخية [١٦] الكبرى في المرتبة الأولى، وفيه أيضاً في مظهر حقيقة الجمع ما نصه: وهو المظهر الجامع، وهو المطلع الذي من ذكره بأنه قابلية قلب محمد ﷺ لظهور التجلي الأول فيه بالأصالة ولورثته بالتبعية انتهى.

وفيه أيضاً في مظهر الأحدية الجمعية ما نصه: هو الحقيقة الأحمدية لأن حضرة الأحدية ليس وراءها إلا الغيب المطلق، فلهذا اختص نبينا ﷺ بمظهريتها لأنه لا يعلوه مظهر انتهى.

وفيه أيضاً في مبحث التجليات الذاتية ما نصه: ويقال لها التجليات الاختصاصية، وتسمى بالتجليات البرقية، وبالتجليات التجريدية، ويعني بها التجليات التي لا تكون في مظهر أي مخصوص ولا مرآة أي معينة، ولا بحسب مرتبة ما أي مخصوصة فإن من أدرك الحق من حيث هذه التجليات فقد شهد الحقيقة يعني الذات خارج المرآة من حيث هي هي يعني بجميع أسمائها وصفاتها لا بحسب مظهر، ولا مرتبة، ولا اسم، ولا صفة، ولا حال معين، ولا غير ذلك ولهذا يسمى ذلك بالتجليات الذاتية أي لحصولها من حضرة الاسم الذات الجامع الذي هو ظاهر أحدية الجمع.

قال: فمن شهد الحقيقة كذلك فهو الذي يعلم ذوقاً أن المرآة لا أثر لها في الحقيقة، وإنما سميت هذه التجليات بالتجليات البرقية لكونها لا تحصل إلا لذي فراغ تام من سائر الأوصاف والأحوال، والأحكام الوجودية الأسمائية والإمكانية، وهذا الفراغ فراغ مطلق لا يغاير إطلاق الحق [١٧] غير أنه لا يمكث أكثر من نفس واحد،

ولهذا شبه بالبرق، وسبب عدم دوامه حكم جمعية الحقيقة الإنسانية، فكما أن هذه الجمعية لا تقتضى دوامه فكذلك لو لم تتضمن الجمعية الإنسانية هذا الوصف من الفراغ، والإطلاق المستجلب لهذه التجليات لم تكن الجمعية الإنسانية جمعية مستوعبة كل وصف وحال وحكم، فحكم الجمعية مثبت لهذا التجلى وينفى دوامه. وهى خواص هذا التجلى أنه مع عدم مكثه نفسين يبقى فى المحل بعد زواله من الأوصاف العلية والعلوم اللدنية ما لا يحصره إلا الله وهذا هو المشهد الذى من لم يذقه لم يكن محمدى الإرث[1] ولا يعرف سر قوله ﷺ: لى مع الله وقت لا يسعنى فيه غير ربى. ولا سر قوله: كان الله ولا شيء معه. ولا سر قوله ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠] ولا يعرف سر مبدئية الإيجاد، ولا زمن موجوديته فلا يكون ممن يتحقق حدوث العالم عن ذوق وشهود انتهى منه بلفظه.

وأصله للشيخ صدر الدين القونوى فى كتاب " النصوص " قائلا: التجليات الذاتية الاختصاصية لا تكون فى مظهر... إلى آخره، ثم قال: وكان شيخنا الإمام الأكمل يسمى هذه التجليات الذاتية البرقية، وما كنت أعرف يومئذ سبب هذه التسمية ولا مراد الشيخ منها، ثم قال: إن هذه التجليات الذاتية البرقية لا تحصل إلا لذى فراغ تام... إلى قوله: وينفى دوامه، ثم قال: ووجدت لهذا التجلى لما منحنيه الله أحكاما غريبة فى باطنه وظاهرى [١٨] من جملتها أنه مع عدم مكثه نفسين يبقى فى المحل من الأوصاف والمعلوم ما لا يحصره إلا الله، وعرفت فى باطنه ليلة كتابتى هذا الوارد أنه من لم يشهد هذا المشهد لم يكن محمدى الإرث إلى قوله: ولا زمن مجوديته راجعه.

وفى " اللطائف " فى مبحث البرق ما نصه: وتارة يطلق ويراد به لائح إطلاقى مددى مترتب على قلب يغيب العبد عن أثر تعينه قاهر له ساتر لظلمة ذلك الأثر بالكلية انتهى.

---

(١) فى نسخة الوراثة.

وفيه أيضاً فى مبحث البارقة ما نصه: هى لائح إطلاقى يرد من الجناب الأقدس الفردانى فيلوح ثم يروح فهى وإن لم تكن كشفاً تاما بل مبدأ كشف لاح ثم راح، فإنها إذا انفصلت أثبتت فى المحل الذى هو القلب هيئة تصونه عن التفرقة، وتثبت له الجمعية لكونها من بوارق التوحيد انتهى.

وفيه أيضاً فى مبحث مشهود الكمل ما نصه: هو التجلى الأول الذى عرفته، وإنما كان هو مشهود الكمل لأنه لا يشهده إلا ذو فراغ تام كامل انتهى.

وفيه أيضاً فى مبحث التجلى الأحدى الجمعى ما نصه: هو التجلى الأول سمى بالأحدى لأنه هو التجلى الذى باعتبار كان الله ولا شيء معه، وسمى بالجمعى لأنه شهود الذات ذاتها بجميع اعتباراتها انتهى.

وفيه أيضاً فى مبحث تجلى الغيب للغيب ما نصه: هو التجلى الأول سمى بذلك لأن تجلى الحق تعالى فيه إنما هو باعتبار ما تتضمنه الوحدة من الشئون المندرجة فيها التى لا يصح ظهورها لغير الحق [١٩] إذ لا غير هناك لاستحالة اجتماع غير فى رتبة الوحدة الحقيقية لتنافيها انتهى.

وفيه أيضاً فى مبحث شرط التحقق بتجليه الذاتى ما نصه: لما كان مجلى حقائق أسماء الذات إنما هو التعين الأول لم يصح أن تبرق بارقة من تجليه الذاتى الأقدس إلا لمن تقدس بالانفراد عن جميع أحكام التكثرات، وحقائق التميزات الأسمائية والصفاتية، وذلك الانفراد إنما يحصل بالبقاء بعد الفناء وقد عرفته.

– التجلى –

وفى كتاب " التجليات الثلاث ورؤية السالك " وواقعته المنسوبة للشيخ الأكبر بعد ما ذكر فيه أن التجلى هو إظهار الحق نورا من أنوار أسمائه أو صفاته أو ذاته لبعض عباده يقربه منه، وإنه قد يكون من حيث الظاهر كما كان لموسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام، وقد يكون من حيث الباطن، وهو الأكثر لكنه يخرج حكمه إلى الظاهر وإنه ثلاثة أقسام:

الأول: من مرتبة الربوبية، ويكون بالأسماء الفعلية.

والثاني: من مرتبة الألوهية ويكون بالصفات الذاتية كالسمع والبصر ما نصه: والقسم الثالث من مرتبة الأحدية يعني الجمعية قال وذلك بأن يتجلى الله تعالى بالذات المطلقة يعني عن التقييد باسم أو صفة.

قال: وهذا التجلي أعلى مراتب التجليات، ولا يتقيد بمظهر دون مظهر يعني باسم خاص دون آخر أو صفة معينة دون أخرى. قال: ولا يحتاج في ظهوره إلى المظاهر يعني المعينة الحاصلة. قال: لأنه من شؤونات الذات المطلقة عن الصفات والأسماء يعني فيكون مبدؤه من [٢٠] ذات أحدية جمع جميع الأسماء من غير خصوصية اسم دون آخر. قال: ولا يمكث هذا التجلي أكثر من نفس واحد فلذلك سمي بالتجلي البرقي لمشابهته البرق في عدم بقائه، وهو مع هذا يورث في المتجلي فيه أوصافاً حسنة وعلوما لدنية من غير النهاية، وبهذا التجلي يحصل في السالك التوحيد البسيط الحقيقي، وهو لا موجود سوى الله، ويرتفع عن نظهر الاثنينية من كل الوجوه، ولا يرى التباين والتخالف والتضاد، ويتحد عنده الظاهر بالباطن، والأول بالآخر، ويكون قلبه أوسع من العرش وما تحته، بل لو رفع العرش في زاوية من زوايا قلبه لوسعته انتهى منه بلفظه.

ولما كان هذا التجلي هو نهاية كل الكمالات لأنه ليس وراءه إلا الغيب المطلق، وكان هو كل شيء لكونه أحديا جمعيا لا يعقل خروج شيء عنه لزم من ذلك أن يكون له مظهر واحد لا يمكن أن يساويه في مظهريته له أحد غيره، وهو رسول الله ﷺ حسبما أخبر بذلك أهل الله الذين شاهدوا الأمر كذلك عيانا، وشهدوا به إيقانا، ولذا قالوا إن هذه المرتبة هي مرتبة شهوده ﷺ لا مشارك له فيها إلا من اختصه الله تعالى بالخصوصية العظمى، وهي الخلافة الكبرى عنه، فإنه يكون له مشرب منها بطريق التبعية له.

وفي صلاة ابن مشيش: وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى، ولا أسمع، ولا أجد، ولا أحس إلا بها. فإن بحر الوحدة هو هذا التجلي المذكور [٢١] لرسول الله ﷺ ولما علم أن هذا لا يتأتى له إلا بالتبعية له ﷺ وحجابيته. قال: واجعل الحجاب الأعظم

حياة روحى... إلى آخر ما قال. والغرق فيها هو مطالعتها من وراء الستور، فإن فى تلك المطالعة من الفوائد والمنح والأسرار والحكم ما لا حد له ولا غاية، وأما الاطلاع فيها بلا ستور فلا يمكن إلا له ﷺ.

وفى " جواهر المعانى " فى الفصل الثالث من الباب الخامس نقلاً عن جواب لشيخه قال فيه ما نصه: أجمع العارفون كلهم على أن التجلى بالأحدية غير ممكن، وكذلك الذات يعنى فى مرتبة الوحدة، والوجود كله عائش فى ظله، ولو زالت ظليته لانمحق الوجود كله فى أسرع من طرفة العين.

فللفرد الجامع وجهتان: وجهة إلى الذات المقدسة، فهى متلاشية فيها يتلقى تجليها بما هى عليه من العز والعظمة والكبرياء والجلال والعلو، ولا قدرة لأحد فى الوجود على هذا إلا هو، وله وجهة إلى الوجود يفيض على الوجود ما اقتضته مرتبة الألوهية فهو البرزخى الجامع بين الله تعالى وبين خلقه، وهذا الأمر لا يعرف بالقال، وإنما يعرف بالذوق والحال انتهى.

وللشيخ الأكبر كتاب " التجليات " ذكر فيه منها بضعا ومائة تجل وأكثر بقليل بطريق الإيماء والإيجاز لا بطريق التصريح والإسهاب، وقد شرحه تلميذه الإمام المحقق شرف الدين إسماعيل بن سودكين النورى.

وللجيلى كتاب " المناظر الإلهية " [٢٢] تعرض فيه لكثير من التجليات وآفة كل تجل منها فليطالع ذلك من أراده.

وها هنا فصول عدة:

جرَّ إليها ذكر الذات البحت والأحدية والوحدة، يحتاج إليها، ويحط ركائب القصد لديها، كل من له إلمام بما يناسب هذا المرام، ولها أيضاً تعلق بما نذكره ونقتفيه، من تنـــزه الذات الأحدية عن التعريف والتمثيل والتشبيه، وعزة المقام المحمدى، والجناب النبوى الأحمدى، والكلام عليها وإن طال فهو عزيز المقال، ولا يخلو من فوائد عظيمة، وأبحاث عزيزة كريمة، ولذا أفرد من غير ما واحد بالتصنيف، وخص من

جماعة كثيرة بالجمع والترصيف، فلنقل وعلى الله الكمال وبالالتجاء إليه والتعويل على فضله تنجح الآمال وتتم الأعمال.

– فصل –

ذكر غير واحد من أرباب الحقائق والكلام على وحدة الوجود أن للوجود من حيث هو مرتبتين: الأولى منهما مرتبة بطون وتسمى مرتبة أن لا ظهور، ومرتبة أن لا تعين، ومرتبة الإطلاق، والثانية: مرتبة ظهور وتسمى مرتبة التعين ومرتبة التقييد، والأولى وهى مرتبة البطون عند بعضهم مرتبتان الأولى منهما مرتبة الذات البحت، والهوية الصرفة، والوجود المحض، والوجود المطلق أى عن كل قيد حتى عن قيد الإطلاق فلا وصف له، ولا نعت ولا اسم ولا رسم وهى مرتبة اعتبار وتعقل إطلاق الذات [٢٣] فى تجليها أى تجردها عند التجلى عن جميع القيود والاعتبارات وسائر النسب والإضافات حقية كانت أو خلقية حتى عن نسبة الإطلاق والتجرد إليها، وإن كان الجميع موجودا فيها بحكم البطون، وهذه المرتبة هى التى يطلق عليها لفظ هو ولفظ الله، ولكن باعتبار أحد إطلاقاته الثلاثة، وهو إطلاقه على صرافة الذات وتجردها عن القيود، وعدم تعلقها بشيء وتعلق شيء بها لعدم المناسبة، والإطلاق الثانى إطلاقه على المرتبة الألوهية، وهى عبارة عن مرتبة أحدية جمع هذه النسب التى هى الصفات والأسماء والأفعال والأحكام، وإن شئت قلت إنها عبارة عن معقولية نسبة تعلق الذات العلية بالخلق وتعلقهم بها، وهى نسبة كونه تعالى إلها أى خالقا للخلق متصرفا فيهم، وهم مألوهون له أى عابدون منقادون، فإن استناد العالم إلى الحق من حيث ذاته لا يصح، وإنما يصح من هذه النسبة لأن مرجع جميع الأسماء والمراتب والنسب إليها، لأنها أصل كل حكم واسم ووصف وفعل، وغير ذلك مما يستند إلى الحق تعالى ويضاف إليه وهذا الإطلاق الثانى هو الكثير والغالب، والثالث إطلاقه على أى اسم كان من أسماء الله لوجود قرينة ما من القرائن كما ذكره الشيخ الأكبر فى قول التائب: يا الله. أنه إنما يريد به يا تواب، وفى قول المريض: يا الله. أنه إنما يريد به يا شافى، ويعبر عنها أعنى

مرتبة تجرد الذات بمرتبة جمع الجمع والغيب المطلق وغيب [٢٤] الهوية، وبحضرة الطمس، وبحر العمى، والعمى الأول، والعمى الذاتى، والبطون الذاتى، والبطون الأكبر لأنه ليس لها صورة، ولا كم ولا كيف، ولا فيها تقديم ولا تأخير، ولا لها مكان ولا زمان، ولا توهم لغير، ولا غيرية، ولا تعقل لاسم معين، ولا صفة معينة، ولا امتياز لأحدية، ولا كثرة، ولا لغير ذلك من جميع النسب، وسائر الإضافات لانطماسها فى الذات، وعدم ظهور شيء منها أصلاً.

– مذهب كثير من أهل الله إلى أن الأسماء كلها أسماء صفات –

ولهذا ذهب كثير من أهل الله إلى أن الأسماء كلها أسماء صفات حتى اسم الله واسم الرحمن نظراً إلى هذه الحضرة الذاتية التى لا يقع عليها اسم مما تعرف به إلينا ولا نعت ولا وصف، ولا صفة بوجه من الوجوه، لأن الصفة إنما تكون لأجل التعرف بمعنى من معانى الكمالات الإلهية، والاسم إنما يكون لأجل العلمية حتى لا يقع التنكير، وليس لحضرة الحضرات تخصيص تعريف ولا تنكير، ولا ظهور ولا بطون، ولا نسبة ولا إضافة ولا تعين، ولا غيب ولا شهادة، ولأجل ذلك قيل فيها حقيقة الحقائق لأنها لا تتقيد باسم العدم، ولا باسم الوجود المعلم، ويعبر عنها بحضرة الحضرات مجازا، لأنها لا تتعين ولا تختص بحضرة دون أخرى، فلا يقع عليها اسم من الأسماء على التخصيص، ولو وقع عليها اسم من الأسماء التى تعرف به إلينا لخرجت عن حد الاستتار إلى حد الظهور، وذلك خلاف الواقع، وعدم وقوع الأسماء عليها هو عين الاستتار فكان اسمها عينها، وعينها علمها بها.

[٢٥] ولهذا استحال أن يكون للمخلوق فيها نصيب بوجه من الوجوه، لأنها مرتبة الكنه الذى لا ينكشف لبشر ولا لغيره، ولا يعلمه إلا هو تبارك تعالى، ولا يدرك بعقل ولا وهم ولا حد، ولا مظهر فيه لأحد، ولا مطمع له فى نيله، ولا فى نيل شيء منه، ومن سعى من الخلق فى أن يعرفه تعالى فى هذه المرتبة ضاع سعيه، وخسر عمله، وليس له منها إلا الخيبة والحرمان، وفى هذه المرتبة يقال لا يعرف الله إلا الله، ولا يعلم

كيف هو إلا هو، وفيها يتحلى الحق تعالى على نفسه بنفسه فى نفسه لنفسه، إذ لا غير فيها، والغنى المطلق لازم لها كما هو لازم للمرتبة التى بعدها، ومعنى استغناؤه تعالى بظهوره لنفسه ومشاهدته لها عن ظهور العالم ومشاهدته له أو لشيء مما فيه، وإن كانت مشاهدة جميع الموجودات حاصلة له لاندماجها فى ذاته العلية وبطونها فيها لكنه شهود علمى غيبى، لأنها حينئذ نسب ذاتية وشئون غيبية مستجنة فى عين الذات لا صورة لها تتميز بها، وتتعين لا فى العلم ولا فى العين، ولكن لها صلاحية التعين فى العلم والعين، وعلمه تعالى بذاته هو علمه بها، وليس علمه بالذات شيئا، وعلمه بها شيئا آخر، ولهذا لم يصح تعلق علم المخلوق بها فى هذا الحال إلا إذا تعلق بالذات، وتعلقه بها محال فإذا تعينت فى العلم بصورها، وتميزت فيه واستعدت لفيضان الوجود عليها صح حينئذ أن يتعلق علم المخلوق بها علماً مفيدا [٢٦] للعلم بأحوالها مساويا لعلم الله تعالى فى تلك الإفادة.

– مرتبة الأحدية المطلقة –

والثانية: منهما أعنى من مرتبتى البطون مرتبة الأحدية المطلقة، وهى مرتبة اعتبار وتعقل إطلاق الذات أيضا، وتجردها فى تجليها عن الرسوم والقيود والاعتبارات والنسب كلها إلا عن نسبة واحدة، وهى نسبة الأحدية عن الكثرة والغيرية، فإنها عند ميلها للظهور تجلت بها مظهرة لنفسها العلية أحديتها وانفرادها بالوجود وعدم مشاركة شيء من الأشياء لها فيه أصلاً لا حقيقة ولا مجازا، لا جملة ولا تفصيلا، لا فى العلم ولا فى العين، وعليه فهذه المرتبة مثل مرتبة الذات البحت، والوجود المطلق فى محو النسب والإضافات، والغير والغيرية بل هى عينها إلا أنه نـــزل حكمها عن السذاجة المحضة بنسبة الأحدية إليها التى هى أول النسب على الإطلاق، ولذا يطلق عليها لفظ الأحد وهو اسم للموجود الذى ليس لغيره معه وجود، ومتعلق هذا الاعتبار الأحدى بطون الذات وأزليتها وإطلاقها.

وبيان هذا أن تقول: الحق تعالى فى حضرة ذاته منـــزه عن جميع النسب والإضافات مقدس عن سائر القيود والاعتبارات فلا اسم يعينه، ولا وصف ينعته، ولا رسم يميزه، ولا شهود يضبطه، ولا عقل يدركه لأن ذلك كله يقتضى التعين، والفرض أن لا تعين أصلاً ووصفه بالنعوت وبالقيود والاعتبارات إنما هو باعتبار التوجه والميل إلى عالم الظهور كالشمس إذا غابت ظهرت جميع الكواكب مع غيابها، وإذا ظهرت خفيت مع ظهورها [٢٧] جميع الكواكب فكذلك الذات العلية إذا طلعت واعتبرت انطمست عن المعتبر لها، والمتعقل نسب الأسماء والصفات مع وجودها، ولا يتعقلها إلا فى احتجاب الذات عنه، فإذا وقع الحجاب عنها أخذ حينئذ فى تعقل المراتب والنسب.

وهذا هو الذى أشار إليه الجيلى فى قصيدته المسماة بالبوادر الغيبية فى النوادر العينية قال فى " إنسانه ": وهى قصيدة عظيمة لم ينسج الزمان على كم الحقائق مثل طرازها، ولم يسمح الدهر بفهمها لاعتـــزازها انتهى بقوله:

فلـــله خلف الاسم والوصف مظهر ... وعـــنه عـــيون العـــالمين هـــــواجع

ولـــيس يـــرى الرحمـــن إلا بعينـــه ... وذلـــك حكـــم فى الحقـــيقة واقـــع

وإيـــاك لا تستبعد الأمـــــر إنـــه ... قريـــب عـــلى من فيه للحق تابع[1]

وأول نسبة تتعقل حينئذ نسبة الأحدية التى هى مرتبة ظهور الحق تعالى لنفسه بمرتبة تفرده بالوجود حيث لا وجود لشيء معه، والتجلى بها لغيره تعالى لا يتأتى ولا يمكن بل هو مستحيل فما للخلق من ملك ورسول وولى فيها إلا الإيمان بالغيب فإنهم لما وصلوا بالكشف والنظر بالبصائر إلى التعين الأول عرفوا أن وراءه شيئا لا يعرف منه إلا وجوده لا غير لأن الوجود المجرد عن الظهور بالغير والتعين به لا يعرف، ولا ينعت، ولا يوصف لأنه الذات الغنية عن العالمين.

---

(١) الأبيات من بحر الطويل.

– الأحدية أحدية ذاتية وأسمائية –

وهذه الأحدية هى الأحدية الذاتية ويقال لها أحدية العين وأحدية جمع الجمع، وهى اعتبار الذات من حيث لا نسبة لها إلى شيء أصلا، ولا لشيء إليها نسبة [٢٨] بوجه ولا تدرك، ولا يحاط بها بوجه من الوجوه لسقوط الاعتبارات عنها بالكلية، وفى مقابلتها الأحدية الأسمائية، والأحدية الصفاتية، وهما اعتبار الذات من حيث اتحاد الأسماء والصفات أى كون كل اسم وكل صفة دليلا عليها وانتشاؤها عنها، ويقال لها أحدية الكثرة، وأحدية الجمع، والواحدية، وعندهم أيضاً الأحدية الفعلية، والمراد بها رفع الوسائط بالأفعال أى سقوط اعتبارها فى نظر الكامل ورؤيتها كلها فعل الحق تعالى وحده، وقد وصل بعض الرهبان والبراهمة وغيرهم من أهل الرياضات والمجاهدات على غير سبيل الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى شيء من بوراق العقل الأول ولوامعه التى تلمع خلفه من بعيد فظنوا أنه الذات الأحدية التى لا شيء وراءها، فخسروا وباءوا ورجعوا من حيث جاءوا، ولا يتجلى الحق تعالى فى هذه المرتبة إلا على ذاته لذاته بذاته فى ذاته كما سبق فى المرتبة الأولى، لأنها أيضاً مرتبة كنه الحق، والبطون الذاتى والعمى الأول الذى لا مرتبة فوقه ولا اطلاع لأحد عليه، ولذا جعلهما الكثير مرتبة واحدة سماها بمرتبة الأحدية، ومنهم من سماها بمرتبة الذات البحت، وقالوا هى عبارة عن مجلى للذات ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مؤثراتها فيه ظهور، وهى أول المراتب وأعلاها، وأول تنـــزلات الذات من ظلمة العماء إلى نور الجمال، فأعلى تجلياتها هو هذا [٢٩] التجلى لتمحضها وتنـــزهها عن الأوصاف والأسماء والإشارات والنسب والاعتبارات جميعا، وإن كان الجميع موجودا فيها لكن بحكم البطون فى هذا التجلى لا بحكم الظهور.

– تجلى الإطلاق –

والتجلى فى هاتين المرتبتين هو المسمى عندهم بتجلى الإطلاق وهو كل ما أشعر بعدم وجود العالم المشار إليه بكان الله ولا شيء معه.

– تجلى التقييد –

ويقابله تجلى التقييد وهو كل ما أشعر بوجود العبد مع الرب من سائر حضرات الأسماء الإلهية، فتجلى الإطلاق هو تجليه تعالى فى ذاته لذاته على الدوام، وذلك لا يكون إلا فى حضرة الاسم الله، أو الاسم الأحد وتجلى التقييد هو تجليه تعالى لعباده فى بقية الأسماء التى تطلبهم كالرب، والخالق، والإله، فإن الرب يطلب المربوب وجوداً أو تقديرا فى العلم الإلهى، ولا يعقل إلا معه، وكذلك الخالق يطلب المخلوق، والإله يطلب المألوه وهكذا فى جميع الأسماء الطالبة للخلق.

وأما حضرة الذات التى هى تجليه تعالى فى حضرة الاسم الله، والاسم الأحد، فلا تطلب شيئا من العالم لا مخلوقا ولا مربوبا ولا عابدا ولا عارفا حتى يعبدها ويتذلل إليها فهى غنية حتى عن أسمائها الطالبة لظهور آثارها بظهور العالم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦] ولذلك كان لا يعقل لحضرتها أحكام ولا يصح أن يؤخذ عنها شرائع ولا أحكام إذ ليس معها سواها.

فبان أنه تعالى من حين أظهر الخلق ما تجلى لهم قط فى رتبة الإطلاق لأن هذه المرتبة تنفى بذاتها وجود غيرها [٣٠] معها، وما تجلى لهم بعد إظهارهم إلا فى رتبة التقييد فافهم.

وعبر بعضهم عن رتبة الإطلاق هذه بحضرة عالم اللاهوت وآخرون عنها بحضرة الحضرات مجازا كما سبق، وهى حضرة البطون الذاتى والوجود المطلق والله أعلم.

– مرتبة الظهور –

والثانية: وهى مرتبة الظهور والتعين والتقييد لها مراتب غير متناهية وكلياتها منحصرة فى خمسة، وقيل بل فى ستة، وتسمى بالمراتب الكلية وبالمظاهر الكلية وبالمجالى الكلية، وبمراتب التجليات وبالمطالع وبالمنصات.

- مرتبة الوحدة -

الأولى: منها مرتبة الوحدة ويعبر عنها بالوحدة المطلقة، وهى مرتبة اعتبار وتعقل أن الذات العلية فى تجليها متجلية بكمال ذاتها وبحقائقها وحقائق الموجودات فى حضرة العلم إجمالا أى ظاهرة ومتعينة بكمالها، وحقائق أسمائها، وأوصافها وشئونها فى مرتبة العلم جملة واحدة من غير تمييز لشيء منها عن شيء وإن شئت قلت هى مرتبة ظهوره تعالى وتجليه بذاته العلية بجميع أسمائها وصفاتها وجميع الموجودات الحسية والعقلية والخيالية فى مرتبة العلم على وجه الإجمال من غير تمييز لصفة عن صفة ولا لشأن عن شأن فإن شئون الوحدة مندرجة فيها اندراجا متصلاً مجملاً غير متميز ولا منفصل لأن ذلك يستدعى الكثرة التى لا يصح وصف الوحدة بها لتنافيهما، وإنما يظهر التفصيل لذلك الإجمال والانفصال لذلك الاتصال فى المرتبة التالية للوحدة من المرتبة الثانية وما [٣١] يليها من المراتب الحقية والخلقية، وإذا ظهرت تلك الشئون متميزة فى المراتب سمى ذلك التميز بانفصال الاتصال.

وقد قال صدر الدين القونوى فى " نصوصه " نص شريف عزيز المثال جدا غيب هوية الحق إشارة إلى إطلاقه باعتبار اللاتعين ووحدته الحقيقية الماحية جميع الاعتبارات والأسماء والصفات والنسب والإضافات عبارة عن تعقل الحق نفسه وإدراكه لها من حيث تعينه، وهذا التعقل والإدراك التعينى، وإن كان يلى الإطلاق المشار إليه فإنه بالنسبة إلى تعين الحق فى تعقل كل متعقل فى كل تحل تعين مطلق وإنه أوسع التعينات، وهو مشهود الكل وهو التجلى الذاتى، وله مقام التوحيد الأعلى، ومبدئية الحق تلى هذا التعين والمبدئية هى محتد الاعتبارات ومنبع النسب والإضافات الظاهرة فى الوجود والباطنة فى عرصة التعقلات والأذهان والمقول فيه إنه وجود مطلق واحد واجب هو عبارة عن تعين الوجود فى النسبة العلمية الذاتية الإلهية، والحق من حيث هذه النسبة يسمى عند المحقق بالمبدأ لا من حيث غيرها فافهم هذا وتدبر، وقد أدرجت لك فى هذا النص أصل أصول المعارف الإلهية والله المرشد انتهى منه بلفظه.

وهذه المرتبة هي أول مراتب ظهوره تعالى من كنـــز الخفاء ظهر سبحانه وتعالى فيها بذاته العلية بما لها من الأسماء والصفات وجميع الشئون والاعتبارات وهى التى [٣٢] كانت مندمجة فى حضرة الذات ولا ظهور لها فيها فى مرتبة العلم ولكن بوجه إجمال من غير امتياز لهذه الصفة عن هذه ولا لهذا الكمال عن هذا ولا هذا الشأن عن هذا وهى المضيئة لوجود الخلق لتنـــزله تعالى فيها من حضرة علوه إلى حضرة تعاليه، ومن حضرة كبريائه إلى حضرة تكبره حيث لا يدرك الخلق العلم به، ومن أسمائها مرتبة تجلى الغيب المغيب لغيبة كل شيء كونى فيها عن نفسه وعن مثله لانتفاء أعيان الأشياء فيها بالكلية لعدم التمايز بينهم، وتجلى الهوية والجمع والجود والعمى الثانى والغيب الأول والتعين الأول لأنه أول تنـــزل من الحق إلى الخلق وأول اعتبار وتعين تعين من الغيب وهو النسبة العلمية الذاتية باعتبار تميزها عن الذات الامتياز النسبى لا الحقيقى، ومرتبة المنصة الأولى، والخلق الأول، والمبدأ الأول، والتجلى الأول، والمطلع الأول، والظهور الأول، والظل الأول، لأنه أول عين ظهرت بنوره تعالى، وقبلت صورة الكثرة التى هى شئون الوحدة الذاتية، والتجلى الذاتى والتجلى الأحدى الجمعى وحضرة الأحدية الجمعية المختصة بمظهر الحقيقة الأحمدية، وباطن كل الحقائق وباطن العوالم، وباطن الروح المحمدى ومقام أو أدنى، ومقام الأكملية الذى لا غاية له ولا نهاية، بل هو غاية الغايات وأنهى كل النهايات، ومقام التوحيد الأعلى ومقام رؤية العين فى الأين بلا أين أى شهود الحق تعالى فى المظهر حالة شهوده مجردا عن المظهر، فهو يشهده فى المظهر ولا [٣٣] فى المظهر، والاسم الأعظم وأم الفيض والروح الكلى والنور الذاتى، والقابلية الأولى والقابلية المحضة، والبرزخية الكبرى والبرزخية الأولى، وبرزخية الأدنى، وبرزخ البرازخ، والبرزخ الأول الأقدم الأصلى والحد الفاصل والعلم الإجمالى لاتصاف المعلومات فيها بالإجمال كالعلم بأنها مفصلة فيه وعنده فهو تعالى يعلم التفصيل فى الإجمال.

– ولا يقال الإجمال موجب للجهل –

لأنا نقول: الحق تعالى يعلم الأشياء كما هى المفصلة تفصيلاً والمجملة إجمالا والعلم المتعلق بالوحدة إجمالى بمعنى أن المعلومات الظاهرة فيه مجملة لا مفصلة، فلو قيل إنه مفصل للزم الكذب والمناقضة، وقد زل هنا عالم كثير وفرد من أفراد ذوى العلم كبير، ومن أسمائها أيضاً مرتبة الألوهية المجملة، وحقيقة الحقائق أى الحقيقة الكلية الشاملة لجميع الحقائق السارية بكليتها فى كلها سريان الكلى فى جزئياته وهى حقيقته ﷺ والحقيقة المحمدية، وهى الحقيقة البرزخية السوائية بين الأحدية والواحدية سميت حقيقة لأن الله تعالى أجمل فيها ما تفصل من جميع العوالم المتخلفة، والحق تعالى يتجلى فى هذه المرتبة بذاته العلية عن ذاته فى هذه الحقيقة، لأنها مظهر هذه المرتبة، والحقيقة هى الرائية له فى ذاتها، فهو تجلى ذاتى من ذاته تعالى عن ذاته فى غيره لغيره، وهو رسول الله ﷺ هكذا قال بعضهم.

ومنهم من قال [٣٤] إنه تعالى يتجلى فيها بذاته من ذاته فى ذاته لذاته، وهو أيضاً صحيح، لأن الحقيقة المحمدية فى هذه المرتبة هى الشئون، وهى عين الذات المتجلية بتعين خاص ونسبة معينة لا غيرها وتسميتها غيرا مجاز لا حقيقة.

وقال القاشانى فى شرح تائية ابن الفارض الكبرى قال فى نقد النصوص " ما نصه: وعبر عن التعين الأول بعض الأكابر من حيث البرزخية المذكورة بحقيقة الحقائق لكليته، وكونه أصلاً لكل اعتبار وتعين وباطن كل حقيقة الإلهية أو كونية، وأصلها الذى انتشأت عنه، وهو سار بكليته فيها بحيث يكون فى الإلهية إلهيا، وفى الكونية كونيا، والكل مظاهره وصور تفصيله، قالا وسماه بعضهم البرزخ الأكبر الجامع لجميع البرازخ وأصلها السارى فيها، وكنى عنده الشرع بمقام أو أدنى، فإنه باطن مقام قاب قوسين أى قرب قوسى الوحدة والكثرة، أو قل الفاعلية والقابلية، أو قل قوسى الوجوب والإمكان وجمعهما وجعلهما دائرة واحدة متصلة لكن مع أثر ما خفى من التميز والتكثر بينهما وباطن هذا المقام وهو مقام أو أدنى من قرب القوسين المذكورين لم يدع أثر التميز والتكثر فى دائرة الجمعية بين حكم الأحدية والواحدية أصلا، وكنى

عنده بعضهم بالحقيقة المحمدية[1] الثابتة فى طاق الوسطية والبرزخية والعدالة، بحيث لم يغلب عليه حكم اسم أو صفة أصلاً انتهى منهما بلفظهما.

وعبر عنها بالوحدة المطلقة لأن الوجود إذا أخذ بشرط لا شيء أى يشرط أن يكون معه شيء فهو الأحدية المستهلك جميع الأسماء [٣٥] والصفات فيها والهوية المطلقة ومقام جمع الجمع وإذا أخذ بشرط كل شيء أى بشرط جميع الأشياء اللازمة له كليتها وجزئيتها، وهى المسماة بالأسماء والصفات فهو المرتبة الإلهية المسماة عندهم بالواحدية ومقام الجمع وهذه المرتبة باعتبار الإيصال لمظاهر الأسماء التى هى الأعيان والحقائق إلى كمالاتها المناسبة لاستعداداتها فى الخارج تسمى مرتبة الربوبية، وهى حضرة الأفعال الإلهية وهى معتبرة بعد اعتبار حضرة الألوهية.

وفى " شرح الفصوص " للقيصرى: الفرق بين الألوهية والربوبية أن الألوهية حضرة الأسماء كلها أسماء الذات والصفات والأفعال، والربوبية حضرة أسماء الصفات والأفعال فقط لذلك تأخرت عن المرتبة الإلهية قال تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]انتهى.

وإذا أخذ مطلقا لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء فهو الوحدة المطلقة والهوية الإلهية السارية فى جميع الحقائق وسائر الموجودات الموجبة لسريان جميع صفات الألوهية فيها من الحيرة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر وغيرها كليها وجزئيها لكن ظهر فى بعضها كل ذلك ولم يظهر فى البعض فظن المحجوب إنها معدومة فى البعض فسمى البعض حيوانا والبعض جمادا.

وقال أهل الله: إن الكل حيوان وما ثم من لا حياة له ثم إنه لما لم يصح أن تكون وحدة الحق وصفا زائدا عليه لكون الزيد لا يعقل بدون الكثرة التى لا يتعقل اتصاف الواحد الحق [٣٦] بها صح أن يكون البارى معنا فى كثرتنا بوحدانية من غير أن يتكثر

---

(١) فى نسخة الأحمدية.

بنا فهو القريب البعيد الظاهر الباطن الأول الآخر لاستحالة اعتبار أمر خارج عن حقيقة الواحد تعالى.

وبهذا الذى قررناه تعلم أن الوحدة منشأ الأحدية والواحدية لأنها عين الذات من حيث هى أى المطلق الشامل لكونه بشرط شيء أو بشرط لا شيء ولا تتعقل هنا فى مقابلة كثرة ولا يتوقف تحققها فى نفسها ولا تصورها فى العلم الصحيح المحقق على تصور ضد لها بل هى لنفسها ثابتة مثبته لا مثبته وهذا الوجود الظاهر المشترك بين جميع الموجودات المتعين بها هو عين الوجود الحق الباطن المجرد عن التعين والظهور ولا يغايره إلا بالنسب والاعتبارات كالظهور والتعين والتعدد الحاصل بتعدد المظاهر وهى كلها أمور عدمية لا وجود لها إلا بالاعتبار والحق تعالى فى هذه المرتبة مرئى للرائين معروف للعارفين، لأنها مرتبة اسمه تعالى الظاهر ومرتبة شهوده ﷺ لا مشارك له فيها إلا من اختصه الله بالخصوصية الكبرى كما تقدم، وهى غاية معرفة القوم، وإليها نهاية وصولهم، وبها يتغزلون فى أشعارهم وعنها يكنون بليلى وسعدى وسلمى والبرق والنسيم والخمر والكأس والمنازل والرسوم والربى وهى الظاهره فى سائر الخلق وهى أمر الله كما قال تعالى ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنــزَلَهُ إِلَيْكُمْ ﴾ [الطلاق: ٥] وقال ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥] أى أمره، وأمره ما صدر عنه بلا واسطة وهو نور [٣٧] سيدنا محمد ﷺ المستمد من الوجود الباطن الأحدى الذاتى الممد للعالم أعلاه وأسفله بما يفيضه الحق عليه فله وجه إلى الحق ووجه إلى الخلق ولهم سمى كما سبق ببرزخ البرازخ جامع بين الطرفين لا يكون غيرهما ولا عينهما فمن وجهه الذى للحق هو حق ومن وجهه الذى للخلق هو خلق فهو حق وخلق ولا حق ولا خلق وهو بالنسبة إلى الوجود الأحدى فقير مستمد قابل وبالنسبة إلى العالم غنى ممد فاعل وإلى مرتبة الأحدية الماضية الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ [الشمس:١] ووجه الكناية عنها بالشمس أن الشمس تدرك بها الأشياء ولا تدرك هى، ولا يدرك معها نور من أنوار الكواكب وكذلك الأحدية ماحية للأنوار ممحقة للآثار وإلى مرتبة الوحدة هذه الإشارة بقوله ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا ﴾ [

الشمس: ٢] ووجه الكناية عنها بالقمر أن القمر واسطة بين الشمس والأرض فهو يستمد النور من الشمس ويمد به الأرض، وكذا هذا التعين الأول يستمد من الحق ويمد الخلق، وإلى مرتبة الواحدية الآتية الإشارة بقوله ﴿ **وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا** ﴾ [الشمس: ٣] ووجه الكناية عنها بالنهار هو أن النهار تظهر به وفيه الأشياء وتتميز بعضها من بعض، وكذلك هذه المرتبة إليها تستند الآثار كلها، فهى المجلية للمرتبة التى قبلها كما أن النهار مجل ومظهر للشمس وقوله ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا** ﴾ [الشمس: ٤] كناية عن الطبيعة الكثيفة والتعين بالأجسام العنصرية المظلمة الظاهرة فى المعدن [٣٨] والنبات والحيوان والجان والإنسان وقوله ﴿ **وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا** ﴾ [الشمس: ٥] كناية عن مرتبة التعين بالأرواح لأن الأرواح سماء الأشباح ولها العلو، وهى فى الحقيقة ونفس الأمر روح واحدة عددها الصور المنفوخ فيها كما عددتها الأبواب والطاقات والخروق والأماكن الشمس وحقيقة الشمس واحدة، راجع " المواقف " للأمير عبد القادر بن محيى الدين الحسنى الجزائرى فى الموقف السادس والثمانين، سماها باسم المواقف النفرية التى للشيخ الجليل محمد بن عبد الجبار النفرى ضمنها تصحيح بقايا المقامات بالوقوف بين كل مقامين وعنون فصوله بقوله: موقف كذا ثم يقول أوقفنى الله تعالى فى موقف كذا، وقال لى: يا عبدى. قال فى " الفتوحات ": وهو كتاب شريف يحوى على علوم آداب المقامات.

وفى " نقد النصوص فى شرح الفصوص " للجامى ما نصه: والتعين التالى لغيب الهوية واللاتعين هو هذه الوحدة التى انتشت منها الأحدية والواحدية فظلت برزخاً جامعا بينهما وهى عين قابلية الذات لبطونها وغيبها وانتفاء الاعتبارات عنها وحكم أزليتها ولظهورها أيضاً وظهور ما تضمنته من الاعتبارات المثبتة حكم أبديتها لنفسها إجمالا ثم تفصيلا، ثم قال بعد كلام له فارسى ولتلك الوحدة اعتباران أوليان أحدهما سقوط الاعتبارات عنها بالكلية وتسمى الذات بهذا الاعتبار أحداً ومتعلقه بطون الذات وإطلاقها وأزليتها وعلى هذا يكون نسبة الاسم الأحد إلى السلب أحق من نسبته إلى الثبوت والإيجاب.

والاعتبار الثانى:[٣٩] ثبوت الاعتبارات الغير متناهية لها مع اندراجها فيها فى أول رتبة الذات كالنصفية والثلثية، وإلى الربعية الثابتة المندرجة فى الواحد العددى الذى ينتشئ منه الأعداد والذات بهذا الاعتبار تسمى واحداً اسما ثبوتيا لا سلبيا، ومتعلق هذا الاعتبار ظهور الذات ووجودها وأبديتها ولا مغايرة بين هذين الاعتبارين ولا اعتبار واعتبار فى اعتبارات الواحدية فى أول رتبة الذات لأن المغايرة من أحكام الكثرة ولا كثرة ثمة انتهى منه بلفظه.

ثم هذه المرتبة هى حضرة الغيب الحقيقى وهى الحضرة الأولى من حضرات الظهور والتعين الكلية، ولما كانت خمسا أو ستا كانت العوالم الكلية الجامعة أيضاً كذلك وعالم هذه الحضرة بخصوصها هو عالم الشئون الذاتية والصور المجملة المتعينة فى الحضرة العلمية والله أعلم.

– مرتبة الوحدانية –

الثانية: مرتبة الواحدية وهى مرتبة اعتبار وتعقل أن الذات العلية فى تجليها متجلية بجميع الأسماء والصفات وسائر صور الممكنات فى مقام العلم ومرتبته تفصيلاً وهى الحضرة الأسمائية والصفاتية والحضرة الإلهية ولذا قال تعالى ﴿ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ [الصافات: ٤] ولم يقل لأحد، لأن الواحدية من أسماء التقييد فبينها وبين الخلق ارتباط من حيث الإلهية والمألوهية، بخلاف الأحدية فإنه لا يصح ارتباطها بشيء، وبعبارة أخرى هذه المرتبة هى مرتبة ظهوره تعالى وتجليه بكمال الأسماء والصفات وجميع الشئون [٤٠] والاعتبارات فى مرتبة العلم على طريق التفصيل والامتياز لهذا الاسم عن هذا، وهذه الصفة عن هذه، وهذا الشأن عن هذا فهى حضرة ارتسام المعانى وتفصيل المعلومات وتميزها بعد أن كانت شئونا للوحدة مدرجة فيها مجملة غير متفصلة ولا متميزة عنها، وتسمى الذات بهذا الاعتبار الواحدى باسم الواحد ومتعلقه ظهور الذات وأبديتها.

وفى " المسامع " لسيدى على وفا ﷺ ما نصه: اسمع الأحد من ليس معه شيء فهو إله الأزل والواحد قيوم كل شيء عددا فهو الإله الأبد انتهى.

وفى " لطائف الأعلام " للقاشانى ما نصه: الأحد هو اسم الذات باعتبار سقوط جميع الاعتبارات عنها وانتفاء جميع التعينات وذلك بخلاف الواحد فإن الذات إنما تسمى به باعتبار ثبوت جميع الاعتبارات والتعينات التى لا تتناهى انتهى.

واعلم أن مرتبة الأحدية لا ظهور فيها للعالم أصلاً لأنه تفنى فيها التعينات كلها فلا يبقى فيها صفة ولا وصف ولا اسم ولا عالم ولا غير ذلك من جميع النسب والتقيدات إلا الذات العلية فقط.

– الشؤن الذاتية –

ومرتبة الوحدة تظهر فيها الحقيقة المحمدية فى العلم ويظهر بظهورها حقائق الأسماء والصفات وجميع العالم ظهورا إجماليا ويسمى العالم فيها شئونا ونسبا واعتبارات ذاتية والشئون حقائق الموجودات وماهياهّا، وهى الصور الكلية الأسمائية المتعينة فى الحضرة العلمية من حيث أهّا عين الذات المتجلية بتعين خاص ونسبة معينة سميت شئونا لعدم [٤١] التمايز بين حقائقها فلا معرفة بشيء منها بوجه من وجوه التعريف، فهى مستوية المبانى متماثلة المعانى ولذا يعبر عنها بالحروف العلوية وبالحروف العاليات وبالحروف الأصلية وفى ذلك يقول الشيخ الأكبر فى كتابه المسمى بـــ " منازل الإنسانية ":

كـنـــا حروفـــا عاليات لم تقـــل   متمســـكين من العـــلا بذرى القلل
أنـــا أنـــت فيه ونحن أنت وأنت هو   والكل فى هو فسلى من قد وصل [1]

ومرتبةالواحدية هذه التى هى مرتبة الأسماء والصفات والمرتبة الإلهية العالم فيها صفة وموصوف وأسماء ومسمى ونسب وإضافات وتقيدات وأشياء تفصيلية ويسمى فيها أعيانا ثابتة وهى الصور المعنوية المتعينة فى الحضرة العلمية سميت أعيانا ثابتة لثبوهّا

---

(١) وفى نسخة عمن وصل .

فى هذه الحضرة وعدم خروجها عنها إلى الوجود العينى ولها اعتباران اعتبار أنها صور كمالاته ومظاهر أسمائه وصفاته واعتبار أنها

حقائق الأعيان الخارجية وهى مخزونة فى علمه تعالى لم تشم للوجود العينى رائحة ولا تشمه ولا تخرج له أبداً ولو خرجت له لزم حدوثها والظاهر بعد أنما هو إحكامها ولوازمها وعوارضها المتعلقة بمراتب الكون على حسبها وبعد الظهور فى الخارج وبروزها فى عالم الظهور وتسمى أعيانا خارجية وهى الصور الروحانية والمثالية والحسية المتعينة فى حضرة الوجود الخارجى الذى هو عالم المرتبة الكونية ومن أسماء هذه المرتبة أعنى مرتبة الواحدية.

مرتبة التعين الثانى [٤٢] لأنها ثانى رتب الذات ومظاهره تعالى للخلق ومرتبة الغيب الثانى لغيبة كل شيء كونى فيها عن نفسه وعن مثله لانتفاء صفة الظهور للأشياء فى هذه المرتبة عن أعيان الأشياء مع تحققها وتميزها وثبوتها فى العلم الأزلى وظهورها للعالم بها لا لأنفسها ولا لأمثالها كما هو الحال عليه فى الصورة الثابتة فى أذهاننا سواء، ومرتبة التجلى الثانى، والتجلى المميز للاستعدادات لأن الأول وهو المعطى للاستعدادات أعطى استعدادات غير متميزة لاستحالة التميز المستدعى للتكثير فيه، وهذا الثانى هو الذى ميز بعضها عن بعض وصيرها متعددة ومختلفة فكان العلم فيه تابعا للمعلوم أى لما اقتضته الشئون الذاتية الأولية التى هى أم الكتاب، وفى الأول المعلوم تابع للعلم الإلهى الأزلى الذى هو مظهر تلك الشئون وحينئذ فلا منافاة بين قول الشيخ الأكبر: العلم تابع للمعلوم. وبين قول الجنيد وغيره: المعلوم تابع للعلم. فافهم والله أعلم.

ومرتبة العلم التفصيلى والألوهية المفصلة والحقيقة الإنسانية لأن الإنسان الكامل المتحقق بالحقيقة الإنسانية الكمالية هو مظهرها وحضرة الجمع وحضرة المعانى وحضرة التميز والارتسام وحضرة قاب قوسين التى هى برزخية الدنو ومقام الكمال ومرتبة ظهور الأسماء والصفات بأسرارها وأنوارها وفيوضاتها لأنه ظهر فيها وصفه تعالى بأسمائه وصفاته بخواصها ونسبها على جملها وتفصيلها كما وكيفا إطلاقا وتقييدا

والحق تعالى يتحلى [٤٣] فيها لغيره فى غيره وهو الحقيقة الإنسانية أو تقول الآدمية أو تقول المحمدية التفصيلية التى هى صورة الكون بأسره والعالم بتمامه.

وفى " الجامع " لابن المشرى نقلاً عن شيخه التيجانى: أن التحلى فى هذه المرتبة لجميع النبيين والمرسلين والصديقين والعارفين بصفاته وأسمائه اللاهوتية، وهى التى يطلبها الكون، قال: وكتم الحق عنهم كثيراً مما تجلى به لرسوله سيدنا محمد ﷺ من صفاته وأسمائه انتهى.

وقد قيل فى تجلى الأحدية السابق أنه يطلب انطماس الأسماء والصفات فى الذات وانعدام آثارها ومؤثراتها فى تجلى الوحداية هذا أنه يطلب ظهورها وظهور آثارها ومؤثراتها.

– العالم فى كل لحظة يذهب ويفنى –

ولذا قال المحققون من العارفين كابن العربى وأتباعه: أن الجواهر كالأعراض لا تبقى زمانين وأن هذا العالم فى كل لحظة وكل نفس يذهب ويفنى ويتجدد مثله تجلى الأحدية يفنيه ويرفع وجوده السابق، وتجلى الواحدية يبقيه ويفيض عليه الوجود اللاحق وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ [الرحمن: ٢٩] وقوله ﴿ **بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾ [ق: ١٥] وقوله ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ** ﴾ [النمل: ٨٨] وقول صاحب " الحكم العطائية ": الأكوان ثابتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته.

وفى " الفتوحات " فى الباب الثانى عشر ومائتين ما نصه: اعلم أن من علم أن الاتساع الإلهى يقتضى أن لا يكون شيء فى الوجود مكررا علم أن التلوين هو الصحيح فى الكون فإنه دليل على السعة الإلهية فمن لم يقف من نفسه ولا من غيره على اختلاف آثار [٤٤] الحق فيه فى كل نفس فلا معرفة له بالله وما هو من أهل هذا المقام وهو من أهل الجهل بالله وبنفسه وبالعالم فليبك على نفسه فقد خسر حياته وما أورثهم هذا الجهل إلا التشابه فإن الفارق قد يخفى بحيث لا يشعر به فلا أقل أن يعلم

أن ثم ما لا يشعر به فيكون عالماً بأنه متلون فى نفسه ولا يعرف فيما تلون ولا ما ورد عليه قال تعالى ﴿ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ [البقرة: ٢٥] أى يشبه بعضه بعضا فيتخيل أن الثانى عين الأول وليس كذلك بل هو مثله والفارق بين المثلين فى أشياء يعسر إدراكه بالمشاهدة إلا من شاهد الحق أو تحقق بمشاهدة الحرباء فلا دليل من الحيوانات على نعت الحق بكل يوم هو فى شأن أدل من الحرباء فما فى العالم صفة ولا حال تبقى زمانين ولا صورة تظهر مرتين انتهى منه بلفظه.

وقال أيضاً فى الباب الخامس والتسعين ومائتين ما نصه: فالعالم فى كل نفس من حيث الصورة فى خلق جديد فلا تكرار فيه فلو شاهدته لرأيته أمرا عظيما يهولك منظره ويورثك خوفاً على جوهرية ذاتك ولولا ما يؤيد الله أهل الكشف بالعلم لتاهوا خوفاً انتهى.

وقال أيضاً فى الباب التاسع والستين وثلاثمائة فى الوصل السابع عشر ما نصه: فإن الله فى كل يوم وهو الزمن الفرد فى شأن يقول تعالى ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] والخلق جديد حيث كان دنيا وآخرة وبرزخا فمن المحال بقاء حال على عين نفسين أو زمانين للاتساع الإلهى لبقاء الافتقار على العالم إلى الله تعالى فالتغيير له واجب فى كل نفس والله خالق [٤٥] فيه فى كل نفس فالأحوال متجددة مع الأنفاس على الأعيان انتهى المراد منه بلفظه.

وقال القاشانى فى " لطائفه " فى ترجمة الخلق الجديد بعد ذكره لآية ﴿ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق: ١٥] ما نصه: إن هذه الآية الكريمة كما يفهم منها بحسب ظاهر عبارتها ما نـــزلت لإثباته من حشر الأجساد وتجديد الخلق فى يوم المعاد وكذا يفهم ما تشير إليه فى مقتضى ذوق الكمال بلسان الخصوص المفهوم لأهل الله تعالى من تجديد الخلق مع الأنفاس فكما أن الكفار فى لبس وشك من تجديد الخلق فى يوم القيامة فكذلك أهل الحجاب فى لبس وشك مع الأنفاس فإن كل ما سوى الحق تعالى من جميع مخلوقاته الروحانية والجسمانية والعلوية والسلفية لا بقاء لشيء منها بل هى متجددة الوجود لحظة بلحظة فهى لا تـــزال فى فناء يعقبه فناء هكذا دائما مع

الأنفاس دنيا وآخرة لاستحالة استغناء ما سوى الحق تعالى عن إمداده بالتبقية فلولا تجدد الفناء والبقاء لكان الإمداد تحصيلا للحاصل لأنه يكون إبقاء للباقى وإيجاد للموجود وذلك محال انتهى منه بلفظه.

وقال العارف بالله الجامى فى شرحه " لنقش الفصوص " للشيخ الأكبر فى الفص السليمانى لدى قول الشيخ: وهذا يعنى تجديد الخلق مع الأنات سار فى العالم كله. ما نصه: علوه وسفله فإن العالم بمجموعه متغير أبداً وكل متغير يتبدل بعينه مع الأنات فيوجد فى كل آن متعين غير المتعين الذى هو فى الأب الآخر مع أن العين الواحدة التى يطرأ عليها هذه التغيرات بحالها فالعين الواحدة. هى حقيقة الحق المتعينة بالتعين الأول اللازم [٤٦] لعلمه بذاته وهى عين الجوهر المعقول الذى قبل هذه الصور المسماة عالماً ومجموع الصور أعراض طارئة متبدلة فى كل آن والمحجوبون لا يعرفون ذلك فهم فى لبس من هذا التجدد الدائم فى الكل.

وأما أهل الكشف فإنهم يرون الله تعالى يتجلى فى كل نفس ولا يكرر التجلى فإن ما يوجب البقاء غير ما يوجب الفناء وفى كل آن يحصل البقاء والفناء فالتجلى غير مكرر ويرون أيضاً فى كل تجل يعطى خلقاً جديدا أو يذهب بخلق فذهابه هو الفناء عند التجلى الموجب للفناء والبقاء ما يعطيه التجلى الآخر الموجب للبقاء بالخلق الجديد ولما كان هذا الخلق من جنس ما كان أولاً التبس على المحجوبين ولم يشعروا بالتجدد وذهاب ما كان حاصلا بالفناء فى الحق لأن كل تجل يعطى خلقاً جديدا ويفنى فى الوجود الحقيقى ما كان حاصلاً.

ويظهر هذا المعنى المشتعلة من الدهن والفتيلة فإنه فى كل آن يدخل فيهما شيء فى تلك النارية ويتصف بالصفة النورية ثم تذهب تلك الصورة بصيرورته هواء وهكذا شأن العالم بأسره فإنه يستمد دائما من الخزائن الإلهية فيفيض منها ويرجع إليها والله أعلم بالحقائق انتهى منه بلفظه.

– الأحدية والواحدية حضرتان للحق لابد من الإيمان به فيهما –

وعلى هذا يقال من حيث تجلى الأحدية ما ثم اسم ولا وصف ولا خلق، وما ثم إلا الذات الأحدية ومن حيث تجلى الواحدية ثم ذات الإلهية وأسماء وأوصاف وخلق ويقال أيضاً فى الأحدية والوحدية أنهما حضرتان للحق تعالى لابد من نسبتهما إليه لتحقيق معرفته فالأحدية حضرة ذاته الغيبية [٤٧] المجردة عن النعوت والأوصاف الغنية عن العالمين وغياها هو التنـــزيه المشار إليه بقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء ﴾ [الشورى: ١١] وهو نصف المعرفة الإلهية والواحدية حضرة ذاته العلية من حيث اتصافها بالأوصاف وتسميتها بالأسماء وصدور الأفعال عنها والأحكام وتجليها فى صور الأشياء كلها وظهورها هو التشبيه المشار له بقوله ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وهو نصف المعرفة الإلهية الثانى وهما معا تحصل المعرفة الكاملة وحينئذ فلابد من الإيمان به تعالى فى الحضرتين حضرة التنـــزيه وحضرة التشبيه كما نبه عليه العارفون لورود السماع بهما والواقف مع التنـــزيه المحض مقيد للحق حاصر له فى التنـــزيه مخل له عن التشبيه وهو إما جاهل بما ورد فى الشرع من التنـــزيه والتشبيه والجمع بينهما، وإما صاحب سوء أدب يرد ما ورد عن التشبيه إلى التنـــزيه بضرب من التأويل الذى يستحسنه عقله العليل فيقع فى سوء الأدب وإكذاب الحق والرسل وهو لا يشعر ويكون كمن آمن ببعض وكفر ببعض أو مع التشبيه المحض مقيد للحق محدد له حاصر له فى التشبيه غير عارف بما هو عليه فى نفسه من التنـــزيه ضال مضل وعليه فلا بد من التنـــزيه والتشبيه معا باعتبارين فالتنـــزيه باعتبار حقيقته الواحدة والتشبيه باعتبار ظهوره فى الصور والمجالى وتجليه فى كل متعين وهذا هو معنى قوله فى " الفصوص ":

فـإن قلـت بالتنـــزيه كنت مقيدا وإن قلـت بالتشبيه كنت محددا[٤٨]

وإن قلـت بالأمـرين كنت مسددا وكنـت إمامـا فى المعـارف سيدا

ولما قرر فى " الإحياء " فى كتاب التوحيد والتوكل: إن الله تعالى لا يشبه شيئا من الذوات ولا تشبه يده الأيدى ولا قلمه الأقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وأنه تعالى فى ذاته ليس بجسم ولا هو فى مكان بخلاف غيره ولا يده لحم

ولا عظم ودم بخلاف الأيدى ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه صوت وحرف ولا خطه وقع ورسم ولا حبره زاج وعفص.

وقال بعده: فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك إلا مخنثا بين فحولة التنـــزيه وأنوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ... ما قال كتب عليه شارحه الشيخ مرتضى ما نصه: وهذا الذى ساقه المصنف هو على قواعد ظاهر الشريعة وعليه أكثر المتكلمين والمنصوص عند أرباب العرفان هو الجمع بين التشبيه والتنـــزيه وقد أشار إلى ذلك الشيخ الأكبر قدس سره فى مواضع من كتابه " الفصوص " وقد طعن عليه علماء الرسوم طعنا كليا ومنشأه عدم الفهم ثم ساق كلامه فى فص نوح عليه السلام ثم قرره بعد من وجهين تقريرا حسنا وقال فى آخره: والتنـــزيه فقط مرتبة عظيمة ومن مراتب الكمال والتشبيه فقط نوعان أحدهما مذموم وهو تشبيه الحق بالخلق فى الذات كما تقول المجسمة وهو كفر، والثانى محمود وهو التشبيه بمعنى إثبات الصفات الثبوتية له وهذا التشبيه أيضاً مرتبة عظيمة ومن [٤٩] مراتب الكمال وأكملها الجمع بينهما وهذه المرتبة من خواص أمة محمد ﷺ فافهم ذلك بتدبر ولا تعجل بالإنكار والله أعلم انتهى. راجعه وراجع أيضاً " شرح نقش الفصوص " للجامى فى الفصل النوحى فإن فيه من تقرير هذه المسألة على ما قاله العارفون ما يشفى ويكفى.

قلت والإيمان بهما على ما قالوه لورود الشرع بهما لا ينافى أن الأصل حضرة التنـــزيه المطلق لأنها الموجودة قبل خلق الخلائق وحضرة التنـــزل للخلق بالتشبيه الذى هو غير حقيقى عارضة بعد الخلق لتتعقل المعانى الواردة عن الله لا غير.

وكذا قال العارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى " كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان " ما نصه: فعليكم بالتنـــزيه المطلق ما استطعتم فإنه الأصل الموجود قبل خلق الخلائق وما جاءنا التنـــزل إلا بعد خلق الخلق فكان من رحمته أن أراكم شيئا تأخذون عنه الآداب والأحكام والاعتبارات ثم يذهب من شهودكم كأنه جفاء ويبقى معكم العلم انتهى.

وقال فيه أيضاً بعد كلام ما نصه: فعلم أن القلوب لو انجلت مرآتها وقربت من حضرة الله القرب المشروع لم تجد فى جانب الحق إلا التنـــزيه المطلق لأنه تعالى قد باين خلقه فى سائر المراتب ولا يجتمع مع خلقه فى حد ولا حقيقة ولا جنس ولا فصل ولا نوع، وما ورد مما يعطى ظاهره التشبيه ليس هو تشبيها حقيقة وإنما ذلك تنـــزل إلهى لنا رحمة بعقولنا لنتعقل المعانى التى جاءتنا [٥٠] على أيدى رسله لا غير ولو أنه تعالى طالبنا بتعقل ما هو عليه فى علا ذاته الذى هو التنـــزيه المطلق ما عقلنا من أحكامه شيئا لأننا ما نعقل إلا ما كان على مشاكلتنا فما هو فى مقامنا انتهى المراد منه بلفظه.

وقال فى " العهود المحمدية الإلهية " فى عهد: أن نميط الأذى عن طريق المسلمين بعد كلام ما نصه: فعلم أن من رحمة الله تعالى بخلقه أنه تنـــزل لعقول خلقه بإضافة الصفات التى فيها رائحة التشبيه إليه ليأخذوا منها المعانى ثم تذهب تلك الصفات التى كادوا أن يكيفوها بعقولهم كأنها جفاء ويبقى معهم العلم بالتنـــزيه الذى هو الأصل إلى آخر **كلامه راجعه.**

واعلم أن هذه التنـــزلات الواردة من الحق تعالى فى إضافة الجوع والظمأ والمرض والعرى وما شاكلها إلى نفسه يتعين تأويلها للعوام لئلا يقعوا فى جانب الحق بارتكاب المحظور وانتهاك الحرمة وأما العارفون فيتعين عليهم الإيمان بها على حد ما يعلمها الله لا على حد نسبتها إلى الله كما تنسب إلى الخلق فإن ذلك محال ولذا أبقاها السلف كأمثالها فى التشبيه من الوجه والعين واليد والقدم والاستواء ونحوها على حالها وآمنوا بها على حد علم الله تعالى فيها لا على حد علمهم من غير تأويل مع التنـــزيه له تعالى عن الظاهر المستحيل خوفاً من أن يفوتهم كمال الإيمان لأن الله تعالى ما كلفهم إلا بالإيمان بما أنـــزل لا بما أولوه فقد لا يكون مرادا للحق تعالى، وبعد أن ذكر فى " كشف الحجاب والران " نحو هذا قال بعده [٥١] ما نصه: فعلم أن تنـــزل الحق تعالى إلى عقولنا كمال ليس له من النقص فى شيء حتى يحتاج إلى تأويله وإن الأدب

إضافتنا إليه تعالى كل ما أضافه إلى نفسه بأننا ما وصفناه بذلك من قبل أنفسنا [1]وإنما هو تعالى الذى وصف به نفسه على ألسنة رسله فاعلموا ذلك أيها الجان وإنه من لباب المعرفة انتهى منه بلفظه والله أعلم.

وهذه المراتب الأربع المذكورة كلها إلهية منسوبة إلى الإله تبارك وتعالى وهى قديمة بقدم الحق والتقدم والتأخر فيها عقلى لا زمانى أو نقول اعتبارى لا حقيقى ومنهم من جعلها مرتبتين فقط أحدية وواحدية والخطب سهل وهذه المرتبة بخصوصها هى حضرة الغيب الإضافى وسماها بعضهم مع التى قبلها بحضرة عالم اللاهوت وهو عالم السر وهى الحضرة الثانية من حضرات الظهور وعالمها هو عالم الأعيان الثابتة والصور المفصلة المتعينة فى الحضرة العلمية والله أعلم.

– مرتبة الأرواح والعقول والنفوس المجردة –

الثالثة: مرتبة الأرواح والعقول والنفوس المجردة وهى ليست متحيزة ولا حالة فى متحيز أى ليست بجرم حتى تكون حالة فى فراغ ولا بعرض حتى تكون قائمة بغيرها وهذا على مذهب من يقول: إن فى العالم قسماً ثالثاً ليس بجرم ولا عرض يقال له المجردات وهو مذهب الحكماء والغزالى والحليمى والراغب وجرى عليه كثير من محقيقى الصوفية وهذه المرتبة مع ما بعدها من المراتب هى مرتبة التجلى الثالث والتجلى المعطى للوجود وتجلى الشهادة لكون الحقائق بهذا التجلى تصير موجودة مشهودة [٥٢] لذواتها ولبعضها بعضا وتجلى غيب الهوية وتجلى الحق فى المراتب الكونية، ويقال لها أيضاً: مرتبة التعين الثالث وهو التعين فى الخارج الذى يسمى العالم فى مرتبته أعيانا خارجية، ومراتبه كلها حادثة وهذه المرتبة بخصوصها عبارة عن الأشياء الكونية البسيطة فى ذاتها المجردة فى عن الجرمية والعرضية التى تظهر لنفسها ولمثلها بحيث هى مدركة لأعيانها ولغيرها لتميز حقائقها والبسيط عندهم ثلاثة أقسام:

---

(١) فى نسخة نفوسنا.

١- بسيطي حقيقي وهو ما لا جزء له أصلاً كالبارى تعالى.

٢- وعرفي وهو ما لا يكون مركبا من الأجسام المختلفة الطبائع.

٣- وإضافي وهو ما تكون أجزاؤه أقل بالنسبة للآخر، وينقسم أيضاً إلى روحانى وجسمانى، فالروحاني كالعقول والنفوس المجردة. والجسماني كالعناصر ذكره الجرجاني في " تعريفاته " وقال بعضهم في بيان هذه المرتبة هى تعين جوهرى قائم بنفسه مجرد عن عوارض الأجسام قادر على التشكل بالأشكال مدرك لنفسه ولا يغايره انتهى.

وهو قسمان: قسم لا يتعلق بالأبدان تعلق التدبير والتصرف ويسمى كروبياً

- وقسم يتعلق بها ذلك التعلق ويسمى روحانيا.

والأول: وهو الذى لا يتعلق بها ذلك التعلق قسمان، قسم هاموا في جلال الله، وتفردوا في جماله، وهم في لذة دائمة، ومشاهدة لازمة لا يعرفون أن الله خلق آدم ولا شيئا غيرهم لشغلهم به بل ليس لهم التفات قط لذواقم وأنفسهم وإنما لهم الغرق في بحر مشاهدة الحق فكانوا خارجين عن الأملاك المسخرة والمدبرة اللذين هما في عالم [٥٣] التدوين والتسطير وهم الأفراد من الملائكة والمسمون أيضاً بالملأ الأعلى، وبالأرواح المهيمة وبالمهيمين سموا بذلك لفرط عشقهم فهم هائمون في شهود جماله والهون تحت انقهار عظمة جلاله بحيث لا يتسعون معه لغيره.

وذكر الشيخ الأكبر وطائفة أنهم لم يدخلوا تحت الأمر بالسجود لآدم عليه السلام أخذا من قوله تعالى مخاطبا لإبليس ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص: ٧٥] يعنى الملائكة المهيمين في جمال الله وجلاله الذين لم يدخلوا فيمن خوطب بالسجود وهم المشار إليهم أيضاً بقوله في الحديث القدسي: فإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم [١].

وقسم يوصلون فيضه تعالى إلى العوالم وإن لم يكن لهم تعلق بالأبدان تعلق التدبير والتصرف وهؤلاء هم الأرواح المسخرة في مصالح الخلق، وهم على طبقات كثيرة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٤/٦، رقم ٦٩٧٠).

فمنهم الموكل بالوحى والإلقاء، والموكل بالأرزاق، والموكل بقبض الأرواح، والموكل بإحياء الموتى، والموكل بالاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم، والموكل بنصرهم فى حروبهم ونحوها، والموكل بهبوب الرياح، والموكل بإنشاء السحاب، والموكل بإنـــزال المطر، والموكل بالغراسات فى الجنة جزاء لأعمال العباد إلى غير ذلك مما لا ينحصر كثرة.

والثانى: وهو الذى يتعلق بها ذلك التعلق، وهم الأرواح المدبرة لأجسام العالم كله الطبيعى النورى والهبائى والفلكى والعنصرى قسمان أيضاً قسم يتعلقون بالأجسام العلوية كالسماوات والأفلاك ويديروها فإن لكل فلك أرواحا مجردة ويسمون بالملكوت الأعلى، وقسم يتعلقون [٥٤] بالأجسام السفلية التى هى عالم العناصر أو من جملته ويسمون بالملكوت الأدنى ومن هذا القسم الأرواح المدبرة للأجسام النارية الشيطانية والجنية.

– أصل الأرواح وأعظمها وأشرفها –

وأصل الأرواح وأعظمها وأشرفها وأكرمها الروح الأعظم الأقدم الأوحد الكل الذى منه تنسلت حقائق الموجودات واستمدت جميع المخلوقات، وهو الحقيقة المحمدية المبعوثة إلى جميع الحقائق والمطرقة لكل طريق من سائر الطرائق والروح الكلى والجزئى باعتبارين وهو الذى انتشأت منه جميع الأرواح المدبرة للأشباح وبعث إلى جميعها قبل ظهور الأشباح وهو الروح المدبر للجسد الطاهر المكرم ﷺ.

وبيان هذا أن تعلم أولاًأن أول صادر عن الله تعالى قبل خلق كل شيء من عالم الأمر والتكوين هو نور بسيط مجرد يعبر عنه بالعقل الأول، وبالعقل الكل، وبالروح الكل، وبالقلم الأعلى، وبالدرة البيضاء، وبغير ذلك من النعوت البديعة التى نعته بها الصوفية وقالوا إنه تعالى لما أراد أن يكشف عن كمالاته الأزلية بالوجود التفصيلى أوجد ذلك النور البسيط، وأودع فيه جميع كمالاته التى كانت كنـــزاً مخفياً ولم يفته إلا الوجوب والغنى والوحدة الذاتيات لأن هذه الثلاثة لا يمكن أن تقوم بغير الحق تعالى

كما يمكن غيرها من الكمالات وأدرج فيه أيضاً جميع العالم وجميع ما يكون فيه بحيث لم يشذ عنه فرد من الأزل إلى الأبد فكان فى التمثيل على مثال صورته تعالى ذاتا ووصفا وسموا ذلك النور حقيقة أحمدية ومحمدية وطوقا أخضر لإحاطته بجميع [٥٥] المكونات إحاطة الطوق بالعنق.

وذكروا أنه أول مرتبة من عالم الأمر وأكملها وأعظمها وإن منه وجود العوالم كلها على مراتبها وأن جميع العلوم والفيوضات والمعارف والإمدادات منه فى كل عالم وفى كل مرتبة وفى كل موطن على حسب الاستعدادات والقوابل فهو أصل الموجودات وأولها ظهورا فى مرتبة العالم وأولها وجوداً وظهورا فى مرتبة العين فكانت ماهيته فى النشأة العلمية قبل جميع الماهيات ومنها انتشأت وظهرت ظهورا إجماليا وعينه الثابتة فيها أيضاً قبل جميع الأعيان ومنها انتشأ وتفصل كل ما ظهر منها فى العلم والروح الأعظم الكل فى النشأة الخارجية العينية قبل جميع الموجودات ومنه انتشأت وظهرت الظهور الإجمالى ثم التفصيلى لأن الله تعالى جعل الوجود الخارجى مطابقا للوجود العلمى.

قال القيصرى فى أول " شرحه للفصوص " ما نصه: "الإنسان الكامل سبب إيجاد العالم وبقائه وكمالاته أزلا وأبدا دنيا وآخرة وذلك أما فى العلم فلأن الحق تعالى لما تجلى بذاته لذاته وشاهد جميع صفاته وكمالاته فى ذاته وأراد أن يشاهدها فى حقيقة تكون كالمرآة كما ذكر فى أول الفص أى الآدمى أوجد الحقيقة المحمدية التى هى حقيقة هذا النوع الإنسانى فى الحضرة العلمية فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجوداً إجماليا للاشتمال عليها ... مضاهاتها للمرتبة الإلهية الجامعة للأسماء كلها ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيليا فصارت أعيانا ثابتة كما تقرر فيه [٥٦] فى موضعه وأما بحسب وجوداتهم فلأنه جعل الوجود الخارجى مطابقا للوجود العلمى فإيجاد العقل الأول الذى هو النور المحمدى المعبر عنه بأول ما خلق الله نورى أولاً ثم غيره من الموجودات التى تضمنها العقل وعلمها ثانيا، وأما بحسب كمالاتهم فلأنه لما جعل قلب الإنسان الكامل مرآة التجليات الذاتية والأسمائية تجلى له أولاً ثم بواسطته تجلى للعالم

كانعكاس النور من المرآة المقابلة للشعاع إلى ما يقابلها بأعيانهم فى العلم والعين وكمالاتهم إنما حصلت بواسطة الإنسان الكامل انتهى المراد منه بلفظه.

وقال فى " نقد النصوص " فى فص الحكمة الفردية فى الكلمة المحمدية ما نصه: إنما خصت الكلمة المحمدية بالحكمة الفردية لأنه ﷺ أول التعينات الذى تعين به الذات الأحدية قبل تعين يظهر به من التعينات الغير متناهية وهذه التعينات مرتبة ترتب الأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص مندرج بعضها تحت بعض فهو يشمل جميع التعينات فهو واحد فرد فى الوجود لا نظير له إذ لا تعين يساويه فى المرتبة وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنـــزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت فله الفردية مطلقا وأيضا أول ما حصل به الفردية إنما هو بعينه الثابتة لأن أول ما فاض بالفيض الأقدس من الأعيان هو عينه الثابتة فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية عينه الفردية وتوصف هذه الحكمة بالكلية كما وقع فى بعض نسخ " الفصوص " لشمول التعين الأول الذى هو [٥٧] حقيقته عليه السلام كل التعينات انتهى منه بلفظه.

فحين تعلقت إرادته تعالى بإبراز الخلق جعل روحه عليه السلام الذى هو حقيقته أول المبدعات كما ذكره القوم فى قوله عليه السلام: أول ما خلق الله نورى. أى حقيقتى ومنها تفرعت وانتشأت جميع الحقائق التى هى أنوار مجردة عن المادة، وكان بروزها وظهورها أول ما وقع التعين فى الخارج وبعد ما تفصلت التفصيل المراد ألبست حقيقته المحمدية لباس الاصطفاء وحلة النبوة والرسالة والاجتباء وبعثت إلى سائر الحقائق فدعتها إلى الله تعالى وإلى الإقرار بتوحيده وبرسالته عليه السلام فأقرت السعيد طوعا وغيره خوفاً وكرها ثم لما تعلقت إرادته تعالى ثانيا بإيجاد الأرواح المدبرة للأجسام كان روحه عليه السلام أول مبدع منها وكان كليا جامعا للأرواح المدبرة كلها بدليل حديث: أنا يعسوب الأرواح. أى أصلها ومادتها، ولذا يقال له أبو الأرواح، ويقال له أيضاً الروح الكلى، وإن كان جزئيا باعتبار تنسله من الروح الأعظم فبعدما تناسلت منه شيئا فشيئا وتم خلقها وتفصيلها على ما أراده تعالى بعث إليها جميعها أيضاً الروح الكلى نبياً فدعاها إلى الله تعالى وإلى الإقرار برسالته فعرفت

وأقرت على وفق ما سبق فكان عليه الصلاة والسلام نبياً ورسولا فى عالم الأرواح قبل خلق الأجسام.

وقد قال الشيخ عبد الرزاق القاشانى فى أول " شرحه لتائية ابن الفارض الكبرى " فى الفصل الخامس من [٥٨] الفصول التى قدمها فى معرفة النبوة والولاية ما نصه: والنبى هو المنبئ عن ذات الله وصفاته وأسمائه وأحكامه ومراداته والإنباء الحقيقى الذاتى الأولى ليس إلا للروح الأعظم الذى بعثه الله تعالى إلى النفس الكلية أولاً ثم إلى النفوس الجزئية ثانيا لينبئهم بلسانه العقلى عن الذات الأحدية والصفات الأزلية والأسماء الإلهية والأحكام القدسية والمرادات السنية انتهى.

ولما قال فى " الفصوص ": فكل نبى من لدن آدم إلى آخر نبى ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين وإن تأخر وجود طينته فإنه بحقيقته موجود وهو قوله: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. وغيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا حين بعث انتهى.

كتب عليه شارحه العارف بالله الملا عبد الرحمن الجامى قدس سره ما نصه: وبيان ذلك أن الله سبحانه وتعالى لما خلق النور المحمدى كما أشار له ﷺ بقوله: أول ما خلق الله نورى. جمع فى هذا النور المحمدى جميع أرواح الأنبياء والأولياء جمعا أحديا قبل التفصيل فى الوجود العينى وذلك فى مرتبة العقل الأول ثم تعينت الأرواح يعنى تفصلت فى مرتبة اللوح المحفوظ الذى هو النفس الكلية وتميزت بمظاهرها النورية فبعث الله الحقيقة المحمدية الروحية النورية إليهم نبياً ينبئهم عن الحقيقة الأحدية الجمعية الكمالية فلما وجدت الصور الطبيعية العلوية من العرش والكرسى ووجدت صور مظاهر تلك الأرواح ظهر سر تلك البعثة المحمدية إليهم ثانيا فآمن من الأرواح من كان مهيأ [٥٩] للإيمان بتلك الأحدية الجمعية الكمالية ولما وجدت الصور الطبيعية العنصرية ظهر حكم ذلك الإيمان فى كمل النفوس البشرية فآمنوا بمحمد ﷺ فمعنى قوله: كنت نبيا. أنه كان نبياً بالفعل عالماً بنبوته انتهى منه بلفظه.

وقوله فى " المواقف " للأمير عبد القادر الجزائرى فى الموقف التاسع والثمانين ما نصه: اعلم أنه ليس المراد من إرساله ﷺ رحمة للعالمين هو إرساله من حيث ظهور

جسمه الشريف الطبيعي فقط وإن قال به جمهور المفسرين وعامتهم فإنه من هذه الحيثية غير عام الرحمة لجميع العالمين فإن العالم اسم لما سوى الله بل المراد إرساله من حيث حقيقته ﷺ التي هي حقيقة الحقائق ومن حيث روحه الذي هو روح الأرواح فإن حقيقته ﷺ هي الرحمة التي وسعت كل شيء وعمت هذه الرحمة حتى أسماء الحق تعالى من حيث ظهور آثارها ومقتضياتها بوجود هذه الرحمة وهذه الرحمة هي أول شيء فتق ظلمة العدم وأول صادر عن الحق تعالى بلا واسطة وهي الوجود المفاض على أعيان الممكنات انتهى المراد منه بلفظه.

وفي " الفتوحات " في الباب الثاني عشر ما نصه: اعلم أيدك الله أنه لما خلق الله الأرواح المحصورة المديرة للأجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك لتعيين المدة المعلومة عند الله تعالى وكان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة روح سيدنا محمد ﷺ ثم صدرت الأرواح [٦٠] عند الحركات فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة وأعلمه الله بنبوته وبشره بها وآدم لم يكن إلا كما قال: بين الماء والطين. وانتهى الزمان بالاسم الباطن في حق محمد ﷺ إلى وجود جسمه وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر فظهر محمد ﷺ بذاته جسما وروحا فكان الحكم له باطناً أولاً في جميع ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل سلام الله عليهم أجمعين ثم صار الحكم له ظاهراً فنسخ كل شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الباطن لبيان اختلاف حكم الاسمين وإن كان المشرع واحداً وهو صاحب الشرع انتهى المراد منه بلفظه.

وفي " مطالع المسرات في الكلام على اسمه ﷺ داع " بعد نقله لكلام سيدنا علي ﷺ في خلقه عليه السلام وما خص به من السبق على جميع الأنام وقرن نبوته بتوحيد الملك العلام ما نصه: قال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري في " شعبه ": فقد أعلمك – يعني عليا ﷺ – أن النبي ﷺ عقدت له النبوة قبل كل شيء وأنه دعا الخليقة عند خلق الأرواح وبدء الأنوار إلى الله تعالى كما دعاهم آخرا في خلقة جسده آخر الزمان.

ومن هذا المعنى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾... الآية إلى قوله ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ﴾ [آل عمران: ٨١] إلى آخر المعنى فقد آمن الكل به فهو آدم الأرواح ويعسوبها كما أن آدم أبو الأجساد وسببها، ثم قال وانظر قوله عز وجل ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَـزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] [٦١] والعالمون هم جميع الخليقة فقد أنذر الخليقة أجمع، وآمن الكل به فى الأولية والآخرية وانتقال النور فى جميع العالم من صلب إلى صلب فافهم انتهى.

وقال الشيخ عبد الجليل بن موسى فى " شعبه " أيضاً فى الشعبة التاسعة عشر وهى شعبة الوفاء بالعهود والمواعيد ما نصه: واعلم أن عهد الله تعالى قديم وذلك قبل خلق الدنيا والأجساد فإن الله تبارك وتعالى لما بدا الأرواح الروحانية من جميع الموجودات قبل خلق الأشباح الجسمانية وقت تقدير المقدورات أشهدهم ربوبيته يعنى بواسطته عليه الصلاة والسلام فشهدوا وأمرهم بطاعته فأطاعوا وكذلك أخذ أرواح بنى آدم فأشهدهم وقررهم فأقروا.

قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فشهد الوجود كله.

قال النبى ﷺ: إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بخمسين ألف سنة. قيل أرواح الموجودات كلها ... ثم غيبهم فى الوجود فلما أوجد الجسمانية وربطها بالروحانية قررهم على العهد القديم وذكرهم به فقال للسماء والأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين انتهى.

قلت وحديث: خلق الله الأرواح قبل الأجسام [1] بألفى عام. ذكره غير واحد.

وذكر ابن حجر الهيتمى فى " فتاويه الحديثية ": أنه ضعيف جدا. قال فلا يعول عليه، وذكر أيضاً أن ما روى عن ابن عباس من [٦٢] خلق الأرواح قبل الأجسام

---

(١) فى نسخة الأجساد.

بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة. باطل لا أصل له، قال نعم صح أن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وذلك شامل للأرزاق انتهى.

وحديث التقدير المذكور أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ولفظه: إن الله قدر مقادير الخلق يعنى أجرى القلم على اللوح بتحصيل مقاديرهم على وفق ما تعلقت به إرادته قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء.

وفى لفظ آخر عزاه فى الجامع لأحمد والترمذى عن ابن عمرو: **قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ.** ومن أخرجه أيضاً الطبرانى فى الكبير وقال الترمذى فيه: حديث حسن صحيح غريب(١).

وقال الشيخ أبو حفص نجم الدين محمد عمر بن عبد الجليل البغدادى نـزيل دمشق فى " شرحه لصلاة الشيخ الأكبر الشهيرة " لدى قوله فيها أمين الله ما نصه: وإنما كان ﷺ أمين الاسم الجامع لأن حقيقته ﷺ لم تـزل قائمة فى مظهر الألوهية فى جميع الحضرات والمراتب وما انفكت عن دعوة جميع الحقائق والأرواح إلى توحيد الذات مفيضة عليهم وممدة كل فضيلة وإفضال وكل خير وكمال فجميع الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم ما أخذوا العلوم فى النشآت السابقة قبل هذه النشأة العنصرية وجهة حقائقهم وروحانيتهم وما أخذوا بعد انبعاثهم [٦٣] فى هذه النشأة العنصرية البشرية العلوم المتعلقة بهم وبنبوتهم الخاصة وأمتهم الخاصة إلا من حقيقته ﷺ لأنه ﷺ وإن لم يكن موجودا بوجوده البشرى الجمعى فى زمن دعوة جميع الأنبياء وزمن نبوتهم وكان مؤخرا عنهم بوجوده الطينى لكن كان موجودا بحقيقته النورية

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٩ رقم ٦٥٧٩) والترمذى (٤٥٨/٤، رقم ٢١٥٦) وقال: حسن صحيح غريب.

الأكملية على الكل فى البرزخ والجنة وسائر المواطن فهو ﷺ قد أودع الله تعالى فيه أسرار الملك والملكوت والغيب والجبروت انتهى منه بلفظه.

وفى " شرح المواهب اللدنية " فى مقصد الإسراء لدى قول الله تعالى له ﷺ: وجعلتك أول النبيين خلقا. ما نصه: لأنه خلق روحه قبل الأرواح وخلق الأرواح ونبأه قبلهم فى عالم الأرواح فهو أولهم خلقاً ونبوة انتهى.

وقال بعضهم: إذا قلنا بأن الله تعالى خلق روحه ﷺ قبل الأرواح فما المانع من تحقق النبوة والرسالة لروحه الشريفة حينئذ ثم أمرت بأن تأمر الأرواح بأمور شرعها الله تعالى لها حينئذ أو بأن تخبرها بما يتعلق بها من الأحكام بعد خلق الأجساد بشروطه وهذا بعث وإرسال فليتأمل انتهى.

وأقول: وإذا قلنا بأنه تعالى خلق حقيقته قبل الحقائق فما المانع من تحقق النبوة والرسالة لحقيقته النورانية حينئذ بأن تدعو الحقائق إلى توحيد الله وتأمرهم بأمر الله وتخبرهم بما يتعلق بهم بعد وجود أرواحهم وأجسامهم من أحكام الله وأوامره والله أعلم.

ولما تعلقت [٦٤] إرادته تعالى ثالثاً بخلق مادة جسمه عليه الصلاة السلام أوجد الله عز وجل طينته التى [هى] أصل جميع الأجسام ويظهر أنه كان له عليه السلام طينتان طينة عتيقة لطيفة نورانية تركبت قديماً من أنوار حقيقتة المحمدية ليست كالطين المعروف ولا هى من جنس ما هو مألوف منها تكونت نفسه الطاهرة وجسمه اللطيف الطاهر الذى هو فوق كل جسم ظاهر وكذا تكونت منها أجسام الملائكة الكرام والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأجسام الآل والأصحاب وغيرهم من الأقطاب والأفراد وإلى هذه الطينة يشير فى " جواهر المعانى " نقلاً عن شيخه التطب أبى العباس التيجانى بقوله فى الباب الرابع فى الفصل الثانى ما نصه: وقد قال سيدنا ﷺ - يعنى شيخه المذكور -: أول ما خلق الله تعالى روحه الشريفة وهى الحقيقة المحمدية ﷺ ثم بعد ذلك نسل الله منها أرواح الكائنات من روحه الشريفة الكريمة وأما طينته التى هى جسده الشريف فكون الله منها أجساد الملائكة والأنبياء والأقطاب وخمر طينته الشريفة

عليها من الله الصلاة والسلام بماء البقاء مدة قدرها - وهو أن تضرب الاسمين الشريفين وهما سيدنا محمد ﷺ وسيدنا أحمد ﷺ تضرب عددهما فى سبعة والخارج فى نفسه ثم تضرب العدد كله فى ألف عام وكل فرد من هذه الأعداد فى ألف عام ثم كل يوم من أيام تلك السنين فيه ألف عام من سنيننا هذه وهى أيام الرب ففى كل سنة [٦٥] من هذه ثلاثمائة ألف عام وستون ألف عام والخارج من هذه الضروب كلها هو ألف ألف ألف ثلاث مراتب وثلاثون ألف ألف مرتبة ومائتا ألف وخمسة وعشرون ألفا هذا هو الخارج من الضروب كلها وهذا الخارج كله يضرب فى أيام الرب والخارج هو - ثلاثمائة ألف ألف ألف ألف أربع مراتب وسبعون ألف ألف ألف ألف أربع مراتب وثمانمائة ألف ألف ألف ثلاث مراتب فهذه هى مدة تخمير الطينة المحمدية الشريفة عليها من الله أفضل الصلاة والسلام انتهى.

وفى كتاب " كشف السر الغامض فى شرح ديوان ابن الفارض " لسيدنا عبد الغنى النابلسى لدى قوله فى " التائية الكبرى ":

وروحــــى لـــلأرواح روح وكلما   ترى حسنا فى الكون من فيض طينته

بعد ما ذكر أن روحه ﷺ أصل الأرواح كلها فهى القلم الأعلى ونفسه نفس النفوس كلها فهى اللوح المحفوظ ما نصه: والطينة بالطاء المهملة واحدة الطين وهو تراب معجون بماء كناية عن الجسد الشريف المحمدى فإنه كما أن الأرواح كلها من روحه ﷺ منفوخة فى أجسادها لأنه ﷺ روح الله الذى هو أول مخلوق والإضافة للتشريف مثل ناقة الله وأرض وعبد الله كذلك جميع الأجساد الحسنة وفى الكون يعنى التى يظهر عليها الحسن بالنظر إلى خالقها كما ذكرنا من فيض جسده ﷺ الذى هو منشأ الطبائع الأربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والعناصر الأربعة النار والهواء والماء [٦٦] والتراب المشار إلى ذلك بقوله ﷺ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين.

وفى رواية: ولا آدم ولا ماء ولا طين.

ولا يكون نبياً إلا وهو روح وجسد فروحه أصل الأرواح وجسده أصل الأجساد ﷺ ويؤيده حديث انتقال النور من جبهة آدم عليه السلام حتى ظهر فى جبهة عبد الله

والد النبي ﷺ ثم انتقل إلى آمنة ابنة وهب والدته ﷺ وذلك النور كان مادة روحه وجسده فتقلب في الأصلاب الطيبة والأرحام الطاهرة حتى ظهر في عالم الدنيا ففرج به سقف البيت وتراءت النجوم وأشرقت الأرض بنور الحي القيوم فهو ﷺ أبو الأرواح وأبو الأجساد والله لطيف بالعباد انتهى منه بلفظه.

والطينة الثانية طينة أرضية ترابية وذلك أنه تعالى لما أراد أن يخلقها أمر جبريل عليه السلام أن ينـــزل إلى الأرض وأن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها وهي طينة موضع الكعبة التي جاء عن أبي هريرة أنها خلقت قبل الأرض بألفي سنة وأنها كانت خشفة يعني حجرة أو أكمة أو جزيرة على الماء عليها ملكان يسبحان الليل والنهار ألفي سنة فلما أراد الله أن يخلق الأرض دحاها أي مدها وبسط جميعها منها فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيق الأعلى، وفي نسخة الرفيع الأعلى أي السماء السابعة فقبض قبضة من الطينة المذكورة بعد انتقالها [٦٧] إلى موضع قبره عليه السلام فعجنت بماء التسنيم الذي هو أرفع شراب أهل الجنة في معين من أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها نور وشعاع عظيم وطيف بها في عالمي الملك والملكوت حتى عرفت الملائكة وجميع المخلوقات سيدنا محمدا ﷺ وفضله في طينته قبل أن تعرف آدم عليه السلام في ترابيته وما زال ﷺ تلمع أنواره في هذه الطينة الجثمانية العالية إلى أن خلق الله آدم وصوره في طينته الصلصالية.

وفي " عوارف المعارف " للسهروردي في الباب الأول منها ما نصه: وقيل لما خلق الله السماوات والأرض بقوله ﴿ **ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ [فصلت: ١١] نطق من الأرض وأجاب موضع الكعبة، ومن السماء ما يحاذيها.

وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أصل طينة رسول الله ﷺ من سرة الأرض بمكة.

فقال بعض العلماء هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض إلا درة المصطفى ﷺ ومن موضع الكعبة دحيت الأرض فصار رسول الله ﷺ هو الأصل في التكوين والكائنات تبع له، وإلى هذا الإشارة بقوله ﷺ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين.

وفى رواية: بين الروح والجسد.

وقيل لذلك سمى أميا لأن مكة أم القرى، ودرته أم الخليقة وتربة الشخص مدفنه فكان يقتضى أن يكون مدفنه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن قيل أن الماء أى الذى كان عليه العرش لما تموج رمى [٦٨] الزبد إلى النواحى فوقعت جوهرة النبى ﷺ إلى ما يحاذى تربته بالمدينة فكان رسول الله ﷺ مكيا مدنيا حقيقته إلى مكة وتربته بالمدينة والإشارة فيما ذكرناه من درة رسول الله ﷺ هو ما قال الله تعالى ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى** ﴾ [الأعراف: ١٧٢] انتهى المراد منها بلفظها.

وفى " الإلمام والأعلام " لابن زكرى عقب ذكره لحديث: كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد. ما نصه: وليس المعنى أن نبوته ثابته فى علم الله كما قيل لأنه لا يختص به، بل إن الله خلق روحه قبل الأرواح، وخلع عليه وصف النبوة فقام به قبل خلق آدم ونفخ الروح فيه ولا بُعد فى هذا ولا غرابة.

فإن قيل: إنه ﷺ سابق على سائر الأنبياء روحا لما مر وجسدا لأن مادة جسده ﷺ خلقت قبل سائر المواد لما رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن كعب الأحبار أنه تعالى لما أراد أن يخلق محمدا ﷺ أمر جبريل عليه الصلاة والسلام: أن يأتيه بالطينة البيضاء فهبط فى ملائكة الفردوس وقبض قبضة من موضع قبره بيضاء نيرة فعجنت بماء التسنيم فى معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى والسماوات والأرض حتى عرفته الملائكة قبل أن تعرف آدم عليه الصلاة والسلام انتهى.

وراجع " المواهب " و " شرحها " فى هذا الأثر وقد ذكره أيضاً ابن سبع [٦٩] فى " شفاء الصدور " وعنه نقله صاحب " المدخل " وغيره وإلى هذه الطينة أو هى والتى قبلها يشير عليه السلام بقوله فى العترة الطاهرة: فإنهم عترتى خلقوا من طينتى، ورزقوا فهمى وعلمى. أخرجه أبو نعيم فى الحلية والرافعى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

ولما خلق آدم عليه السلام باطناً من أصل هذه الطينة المحمدية ولذا كان هو وبنوه مرسومين بقلم القدرة على رسم اسم محمد ﷺ وهو قول ابن الفارض على لسان الحقيقة المحمدية وذلك فى " تائيته الكبرى ":

وإنى وإن كنـــت ابـــن آدم صورة فـــلى فـــيه معـــنى شـــاهد بأبوتى

فإن هذا المعنى كما قاله الشيخ عبد الغنى فى " شرح الديوان الفارضى " هو الطينة المحمدية وظاهرا من قبضة قبضها الحق تعالى أى قبضها عزرائيل عليه السلام بأمره من جميع أجزاء الأرض من جميع أى ما قدر الله أن يسكنه بنو آدم منها وخمرت فيها أى فى الأرض وألقيت حتى استعدت لقبول الصورة الإنسانية فحملت إلى الجنة وعجنت بمائها ليطيب عنصره ويحسن خلقه ويطبع على طباع أهلها وصورت جعلت درته عليه السلام بالدال المهملة وإن شئت قلت جوهرته وما معها فى طينة من الذرات الكريمة التى هى ذوات إخوانه من النبيين والمرسلين وعترته الطاهرين وأقطاب أمته العارفين فى موضع الصلب من ذاته الحمئية وكذا جعل فيه بقية الذرات التى كل ذرة فيها مادة صورة من بنى آدم لكن من طينة آدم أهل [٧٠] السعادة منهم فى ناحية اليمين وأهل الشقاوة فى ناحية اليسار ولما تم خلقه ونفخت فيه الروح وذلك فى الجنة وأقام فيها ما شاء الله أن يقيم وأهبط إلى الأرض أراد الحق تعالى أن يستخرج ذريته منه ليختبر حالهم ويرى الذى بالدعوة إليه قر وثبت لهم على ما يفيده أكثر الأحاديث من أن أخذ الميثاق من بنى آدم كان بعد خلقه ونفخ الروح فيه، وقيل كان قبل النفخ ورد ذلك فى بعض الأحاديث كما يأتى فأهبط بقدرته الأرواح كلها من أماكنها على تلك الذرات على وفق علمه وحكمته حتى حييت ثم كلمهم وذلك بعد أن مسحهم من ظهر آدم بيمينه ونثرهم بين يديه كالذر وذلك فى يوم عرفة بين مكة والطائف بموضع يقال له نَعْمان بالفتح، وهو واد فى طريق الطائف يخرج إلى عرفات يسمى نَعْمان الأراك، وقيل كان أخذ الميثاق بدهناء من أرض الهند فى موضع هبوطه، وقيل كان فى السماء قبل هبوطه، وقال المحققون بتعدد المواثيق والعهود وبذلك تجتمع الأخبار قائلا فى خطابه لهم: ألست بربكم فكانت درته عليه السلام أولى من قال بلى

إرشادا لهم إلى الإجابة بمثل ذلك على وفق التعليم السابق منه لهم هنالك فمنهم من أجاب محبة وطوعا ومنهم مخافة وكرها ثم حل سبحانه عقال الأرواح فطارت إلى مكامنها فى الملكوت إلى وقت اتصالها بالأجنة فى الأرحام وردت الذرات إلى محلها من صلب آدم عليه السلام فكان ﷺ نبياً ورسولا بالفعل عالماً بنبوته ورسالته فى عالمى الحقائق والأرواح كما مر [٧١] ثم فى عالم الأجسام والذر واتصلت نبوته بجميع الخلائق من غير انقطاع إلى زمن وجود جسده المكرم فبعثَ بجسده فى عالم الأجساد إلى كل أحمر وأسود وكل عين مخلوقة، وكان من قبله من الأنبياء والرسل نوابا عنه ثم بعد انتقاله إلى الدار الآخرة بقيت نبوته كما هى قائمة إلى أبد الأبد من غير انقطاع ولا زوال، وهذا لم يكن لغيره وبه تفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام: كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد.

أخرجه ابن سعد فى طبقاته وأحمد والبخارى فى تاريخه وأبو نعيم فى الحلية والحاكم وصححه والبغوى وابن السكن وغيرهم كلهم من حديث ميسرة الفجر، وابن سعد فى طبقاته عن عبد الله بن أبى الجدعاء، والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وعن أبى هريرة أنهم قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. رواه الترمذى وقال: حديث حسن[1].

وعند أبى نعيم عن الصنابحى عن عمر بن الخطاب أنه قال: يا رسول الله متى جعلت نبيا؟ قال وآدم بين الروح والجسد.

---

(١) حديث عبد الله بن شقيق: أخرجه ابن سعد (٥٩/٧) وابن أبى شيبة (٣٢٩/٧، رقم ٣٦٥٥٣)، وابن قانع (٣٤٧/١).

حديث ابن عباس: أخرجه الطبرانى (١٩٢، رقم ١٢٥٧١).

حديث ميسرة الفجر: أخرجه ابن سعد (٦٠/٧) والطبرانى (٣٥٣/٢٠، رقم ٨٣٣)، والحاكم (٦٦٥، رقم ٤٢٠٩) وقال: صحيح الإسناد.

وأخرج ابن سعد فى طبقاته عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أن رجلا سأل رسول الله ﷺ متى كنت نبيا؟ قال بين الروح والطين من آدم.

وما اشتهر على الألسنة بلفظ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. فقال ابن تيمية والزركشى وغيرهما من الحفاظ: لا أصل له.

وكذا: كنت نبياً ولا آدم ولا طين.

لكنهما رواية بالمعنى وهى جائزة وتعلم أن هذا الحديث يحتمل احتمالات كلها صحيحة أحدها أن يكون معناه: وآدم لا روح ولا جسد كما جرى [٧٢] عليه غير واحد من المحققين وعليه قول الشيخ نجم الدين كما نقله عنه فى " شرح الإحياء " فى الكلام على حديث العقل أى لم يكن بعد روحا ولا جسدا انتهى.

وقول الشيخ عبد الرزاق القاشانى فى " شرحه لتائية ابن الفارض الكبرى " أى لا روح ولا جسد قال: هكذا فسره المحققون، وأودعه الشيخ الكبير شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى تغمده الله برحمته فى كتابه المسمى " بالرشف " لأن نبوة الروح الأعظم سابقة على وجود الأرواح والأجساد، ومن يدرك هذا المعنى يفهم سر ختم النبوة انتهى منه المراد بلفظه.

وقول ابن زكرى فى " شرحه للصلاة المشيشية " بعد ذكره للحديث ما نصه: والبينية فى الحديث السابق الظاهر أن المراد بها عدم الطرفين الروح والجسد لا روح ولا جسد كما صرح به فى رواية: لا آدم ولا ماء ولا طين. لأنك إذا قلت: مسكنى بين البصرة والكوفة، علم أنه ليس بهما فأريد به لازم معناه بطريق الكناية وليس المراد به قريبا منهما كما يقال الورد بين البياض والحمرة، ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل، وليس معنى بين الماء والطين أنه لم يكن ماءً صرفا، ولا طينا صرفا لنبو المقام عنه وعدم ملاقاته لما قررناه، ذكره الشهاب رحمه الله تعالى انتهى.

وكأنه مراد القيصرى فى " شرح الفصوص " بقوله: وهو النبى الحقيقى والقطب الأزلى الأبدى وآخرا وظاهرا وباطناً وهو الحقيقة المحمدية ﷺ كما أشار إليه بقوله: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. أى بين العلم والجسم انتهى.

يعنى فى علم الله [٧٣] قبل وجود روحه وجسمه فيكون إشارة إلى بعثة حقيقته لسائر الحقائق قبل خلق الأرواح والأجسام وكان هذا أيضاً مراد من قال: إنه بعث فى الأزل وآمنت به الأنبياء فى الأزل، يريدون به أول الخلق أى ما قبل وجود الأرواح والأشباح وهو عالم الحقائق فهو عبارة عن الوقت الذى لم يكن للأرواح والأشباح فيه وجود وذلك أزل الحادث.

وعبارة الشيخ عبد الرحمن العيدروس فى " شرحه لصلاة القطب البدوى " فى أوله بعد ما قرر عموم بعثته ﷺ ما نصه: وهذا كله من حيث صورته البشرية، وإلا فقد آمنت به جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى الأزل ولهذا كان هو نبيهم وهم نوابه وورائه عليه الصلاة والسلام انتهى المراد منه.

ثم رأيت فى " شرح الإمام سعد الدين الفرغانى " أستاذ القيصرى وتلميذ الصدر القونوى على " التائية الكبرى " لابن الفارض: أن مقتضى عهد المحبة المعبر عنها بأحببت أن أعرف الواقع من الذات الأقدس الأعلى وجمعيتها فى حضرة أحدية الجمع وهى حضرة التعين الأول أن تبعث الحقيقة الأحمدية الجامعة سائر تعينات هذه الذات الأقدس رسولاً إلى سائر تفاصيلها الظاهرة فى حضرة التعين الثانى المتصور بعضها بصور الحقائق والأسماء الإلهية المضافة إليها الفاعلية وبعضها بصور الحقائق الكونية الممكنة المضافة إليها القابلية متميزا بعضها من بعض فى هذه الحضرة بحسبها حتى يدعوها هذا الرسول من [٧٤] جزئيتها وتقيد كل واحد منها بوصف وحكم مخصوص إلى كليته واشتماله على الكل، وأنه تنــزل من هذه الحضرة الجمعية بعد قيامه بحق دعوته فيها وبعد تحقق الأمر الإيجادى وقبوله خطاب كن فكان بصورة القلم الأعلى وتفصل وجوده المجمل فى حقيقة اللوح المحفوظ بحكم أمر اكتب ما هو كائن فظهر بصورة الروحانيين من الملائكة وجميع الأرواح الإنسية والجنية وروحانية كل شيء فقام هذا الرسول من حيث صورته الروحية القلمية لدعوة هذه الأرواح كلها من جزئيتها وتقيدها إلى كليته وعين لها طريقا يقربها إلى هذه الكلية ووظيفة من العبودية يعصمها بأدائها عن البعد عن هذه الكلية والاشتمال على الكل وهداها إلى

القيام نحو ذلك الطريق وأداء تلك الوظيفة ثم تنـــزل فى ضمن الأمر الإيجادى إلى العرش والكرسى وعين لروحانية كل واحد وكل جزء منهما ولصورته أيضاً طريقا مستقيما يقربها إلى الوحدة والكلية ويبعدها عن الهوى إلى هاوية الجزئية والكثرة ثم تنـــزل إلى السماوات باطناً فى الأمر الموحى به فيها وعين لها ولروحانيتها والملائكة النازلين بها وظائف تختص كل وظيفة بظهور كمال مختص بكل واحد منها فكانت رسالته واقعة وثابته من حال عهد المحبة الذاتية المذكورة ثم تنـــزل ساريا فى الأمر الإيجادى إلى العناصر ثم كامنا فى سر الاعتدال إلى المركبات معيناً لكل ما يوصله إلى ما يخصه من الكمال المناسب لمرتبته ويحفظه مما لا يليق بمنـــزلته [٧٥] هكذا فى الجماد والنبات والحيوان إلى أن ظهر بلبسة الصورة البشرية الآدمية باطناً فى كل فرد من أفراد الأنبياء والرسل وعين لكل واحد شريعة موصلة له ولأتباعه إلى الجمعية والكلية وكانت حقائق هؤلاء الرسل والأنبياء كالصور التفصيلية لحقيقته التى هى حقيقة الحقائق وبدا لهم بآيات ومعجزات يستدل بها على صدق كل واحد منهم إلى أن ظهر بكسوة هذه الصورة البشرية المحمدية فهدى كل شيء إلى ما فيه صلاحه وكماله هداية خفية من جهة الفطرة المضافة إلى ذلك الشيء إلى أن بعث فى هذه الصورة فأنذر هذه الأمة بقرب البعث والنشور والتسيير إلى دار البعث والقيامة فكانت رسالته قبل هذا البعث والإنذار وبعده فكان رسول الله ﷺ رسولاً من الأزل إلى الأبد راجع عبارته لدى قول ابن الفارض:

ومـــن عهـــد عهـــدى قبل عصر إلى دار بعـــث قـــبل إنـــذار بعـــثى
إلى رسولاً كنـــت منى مرســـلا وذاتـــى بآيـــاتى عـــلىَّ استدلـــت

وقد علم منه أن المراد بالأزل فى كلامهم القدم جريا على مقتضى الكشف وما فهموا أنه الواقع لا أول الخلق كما ذكرناه أولاً تأويلا لعباراتهم جريا على الأصول الظاهرة وكشفهم أرقى وأكمل ومعرفتهم بالله ورسوله أوسع وأشمل.

الثاني: أن يكون معناه ما قاله جماعة روح بلا وجود جسد أصلاً وعليه قول الشيخ عبد الرءوف المناوى فى " التيسير " فى تفسير الحديث بمعنى أنه تعالى أخبره

بنبوته وهو روح [٧٦] قبل إيجاد الأجسام الإنسانية كما أخذ الميثاق على بنى آدم قبل إيجاد أجسامهم انتهى.

وقول العارف الحفنى: أى حين كانت روح آدم مع الأرواح قبل خلق جسده انتهى.

وقول الشهاب فى " النسيم الظاهر ": أن قوله: بين الروح والجسد. ظرف زمان بمعنى أن نبوته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق جسده حيث نبأه فى عالم الأرواح وأطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته والإقرار بها انتهى.

ويؤيده ما أخرجه ابن أبى شيبة عن محمد بن كعب القرظى قال: خلق الله الأرواح قبل أن يخلق الأجساد فأخذ ميثاقهم ذكره السيوطى فى جمع الجوامع.

الثالث: أن يكون معناه جسدا بلا روح أى جسدا مصورا ما نفخت فيه الروح بعد فيكون إشارة إلى بعثة درته فى عالم الذر حين استخراجهم من الطينة الأصلية المحمدية عند إرادة نقلهم منها إلى الطينة الآدمية أو حين استخراجهم من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه بناء على ما ورد فى بعض الأحاديث من أن استخراج ذرية آدم منه كان قبل نفخ الروح فيه روى ذلك عن سلمان وغيره.

قال الحافظ ابن رجب فى " لطائفه ": ويدل له ظاهر قوله ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ** ﴾ الآية [الأعراف: ١١] على ما فسر به مجاهد وغيره أن المراد إخراج ذرية آدم من ظهره قبل أمر الملائكة بالسجود له، ويحتمل أن يدل له أيضاً قوله: وآدم بين الروح والجسد. جواباً لمتى استنبئت، وما أخرجه الحاكم فى المستدرك وابن عساكر والخطيب فى تاريخهما عن أبى هريرة قال [٧٧] سئل النبى ﷺ متى وجبت لك النبوة فقال فيما بين خلق آدم ونفخ الروح فيه.

ومن مجموع هذه الاحتمالات تستفاد بعثته فى الأحوال الثلاثة المذكورة كلها فتكون كلها صحيحة كما ذكرناه، ويصح حمل الحديث على كل واحد منها وعلى جميعها فتدبره فإنه نفيس، وقل من نبه عليه، والحديث حينئذ من جوامع كلمه عليه

الصلاة والسلام، وذلك كله من خصائصه إذ غيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا حين بعثته بعد وجوده ببدنه العنصرى واستكماله شرائط النبوة.

ومن هذا تفهم أن له عليه الصلاة والسلام نشآت ثلاثا: نشأة حقيقته المحمدية، ونشأة روحه السمية، ونشأة طينته الزكية، وكلها أصول لغيرها، فحقيقتها أصل جميع الحقائق، وروحه أصل جميع الأرواح، وطينته أصل جميع الأجسام، وأكمل الأولياء من كان على قلبه ﷺ فى هذه النشآت كلها، وراجع رسالة " فيوض الحرمين " للعارف بالله ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى عند تعرضه فيها لشرح قول ابن مشيش فى صلاته: واجعل الحجاب الأعظم حياة روحى.

– قبل ميثاق ألست بربكم مواثيقه –

تنبيه: ذكر غير واحد من العارفين الكبار ممن تكلم على ميثاق يوم ألست بربكم، أن هناك قبل هذا الميثاق مواثيق أخر كلياهما ست، وأن هناك من الأولياء من يعلمها ويعلم ما وقع فيها ويستحضرها.

قال العارف بالله صدر الدين محمد بن إسحاق القونوى – وهو [٧٨] ربيب الشيخ الأكبر وأجل تلاميذه وله تآليف جمة من جملتها " تفسير الفاتحة " و " كشف ستر الغيرة عن سر الحيرة " ورسالة " فتوح الغيب " وهى رسالة عظيمة مفيدة من أغمض الرسائل وأدقها وقد ذكر أنه لم يضعها لكافة الناس وعامتهم بل ولا للخاصة ولكن لقوم هم خلاصة الخاصة فى هذه الرسالة بعد ما ذكر فيها أن من أهل الله من يتصف بالمعرفة بالله فى حال افتراق أجزاء جسده ويتمكن من تدبير أجزائه الجسمانية قبل اجتماعها وقبل تعين الروح وتمكينه بهذا المزاج على ما هو مذهب المحققين – ما نصه: فإن قيل كيف يتصف بالعلم من لم يتعين بعد؟ فنقول اعلم أن أرواح الكمل وإن سميت جزئية بالاعتبار العام المشترك فإن منها ما هو كلى الوصف والذات فيتصف بالعلم وغيره قبل تعينه بهذا المزاج العنصرى من حيث تعينه بنفس تعين الروح الإلهى الأصلى فى معرفة ما شاء الله أن يعرفه من علومه على مقدار سعة دائرة مرتبته

التي يظهر تحققه بها في آخر أمره ثم يتعين هو في كل مرتبة وعالم يمر عليه إلى حين اتصاله بهذه النشأة العنصرية تعيناً يقتضيه حكم الروح الأصلي الإلهي في ذلك العالم وتلك المرتبة فيعلم حالتئذ مما يعلمه الروح الإلهي ما شاء الله على ما سبق التنبيه عليه فافهم هذا فإنه من أجل الأسرار ومتى كشفته عرفت سر قوله ﷺ كنت نبياً وآدم بين الماء [٧٩] والطين. وسر قول ذو النون المصري رضي الله عنه وقد سئل عن ميثاق مقام ألست هل تذكره؟ فقال كأنه الآن في أذني.

وقول السيد الآخر من المحققين وقد سئل عن هذا السر فقال مستغربا لعهد ألست هذا الميثاق بالأمس كان وأشار إلى معرفة حضرات أخرى ومواثيق قبل ألست.

ورأيت من يستحضر قبل مواثيق ألست ستة مواطن أخرى ميثاقية فذكرت ذلك لشيخنا رضي الله عنه يعني الشيخ الأكبر فقال: إن قصد القائل بالحضرات ألست التي عرفها قبل ميقات ألست الكليات فيسلم وأما إن أراد جملة الحضرات الميثاقية التي قبل ألست فهي أكثر من هذا فنبه بهذا وغيره في ذلك المجلس وسواد أنه يستحضر قبل ألست مواطن جمة يعني كثيرة ويستنبط الحال فيها فاعلم ذلك تلمح الأسرار الإنسانية الكمالية الإلهية إن شاء الله تعالى انتهى منه بلفظه.

وبعد ما ذكر الفرغاني في أوائل " شرحه للتائية الكبرى لابن الفارض " أن المواثيق ستة وبينها قال ما نصه: سمعت سيدنا الحبر الكامل المحقق صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي قدس الله سره يقول: اجتمعت يوما بالشيخ سعد الدين الحموي قدس الله روحه بجبل الصالحية فقال في أثناء تقريره: إن المواثيق كانت ستة. ولم يفصلها قال: فأخبرت الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه بذلك فقال: كأنه أراد به الكليات وإلا فهي أكثر من ذلك وصدق [٨٠] رضي الله عنه في ذلك واختبر عن تحقيق فإن باعتبار كل كامل ومتبوع بل كل قابل لأمانة الجمعية المعروضة على السموات والأرض وقبولها الإنسان كان ميثاق واقع وإليه الإشارة بقوله ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٧] وبقوله عز وجل ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] انتهى منه بلفظه.

ثم هذه المرتبة يعبر عنها بحضرة عالم الأرواح وسماها بعضهم بحضرة عالم الجبروت وهى الحضرة الثالثة من الحضرات الخمس أو الست المنبه عليها وعالمها هو عالم الأرواح والله أعلم.

الرابعة: مرتبة عالم المثال وهى عبارة عن الأشياء الكونية المركبة اللطيفة التى لا تقبل التجزئة والتبعيض ولا الخرق والالتئام.

وقال فى " نقد النصوص ": العالم المثالى هو عالم روحانى من جوهر نورانى شبيه بالجوهر الجسمانى فى كونه محسوسا مقداريا وبالجوهر المجرد العقلى فى كونه نورانيا وليس بجسم مركب مادى ولا جوهر مجرد عقلى لأنه برزخ وحد فاصل بينهما وكل ما هو برزخ بين الشيئين لابد وأن يكون غيرهما بل له جهتان يشبه بكل منهما ما يناسب عالمه إلا أن يقال إنه جسم نورانى فى غاية ما يكون من اللطائفة فيكون حدا فاصلا بين الجواهر المجردة اللطيفة وبين الجواهر الجسمانية المادية الكثيفة، وإن كان بعض من هذه الأجسام أيضاً ألطف من بعض كالسماوات بالنسبة إلى غيرها فليس بعالم عرضى كما زعم بعضهم لزعمه أن الصور المثالية منفكة عن حقائقها [٨١] كما زعم فى الصور العقلية والحق أن الحقائق الجوهرية موجودة فى كل من العوالم الروحانية والعقلية والخيالة ولها صور بحسب عوالمها انتهى.

وقال آخرون عوالم المثال عالم لطيف بالنسبة إلى الأجرام كثيف بالنسبة إلى الأرواح فهو برزخ بين عالمى المجردات والأجسام لتجرده عن المواد كالمجردات وامتداده كامتداد الأجسام غير قابل للفصل والوصل مثل قبول هذه الأجسام وقال هذه العبارات واحد سمى بالعالم المثالى لكون أول مثال صورى لما فى الحضرة العلمية الإلهية من صور الأعيان والحقائق ولكونه مشتملا على صور ما فى العالم الجسمانى من عرش وكرسى وسماوات وأرضين وما فى جميعها من الأملاك وغيرها وليس هناك معنى من المعانى الممكنة ولا روح من الأرواح إلا وله صورة مثالية مطابقة لما هو عليه إذ لكل منها نصيب من الاسم الظاهر وكل ما له وجود فى العالم الحسى هو فى العالم المثالى

دون العكس ولذلك قال أرباب الشهود: إن العالم الحسى بالنسبة للعالم المثالى كحلقة ملقاة فى بيداء لا نهاية لها والأصل فى وجوده الكتاب والسنة والكشف الصحيح.

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧].

وأما السنة فأحاديث كثيرة منها قوله فى حديث بدء الوحى فى البخارى وغيره « وَأَحْيَاناً يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ »(١).

وأما الكشف فأجمع العارفون بالله على إثباته كشفاً وشهودا خلافا لمن أنكره مستدلا على إنكاره بطريق النظر والعقل ثم [٨٢] هو عند من أثبته قسمان: قسم يشترط فى إدراكه القوة المتخيلة المتصلة بنشأة الإنسان فلا يدرك إلا بها ويذهب بذهابها ويسمى مثالا مقيدا ومثالا متصلاً وهو نوعان: نوع مقيد بالنوع ونوع غير مقيد به، ولكنه مشروط بحصول غيبة وفتور ما فى الحس كما فى الواقعات المشهورات للصوفية وأول ما يراه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الوحى إنما هو الصور المثالية المرئية فى النوم والخيال، ثم يترقون إلى رؤية الملك فى المثال المطلق أو المقيد فى غير حال النوم لكن مع فتور فى الحس. وقسم لا يشترط فيه ذلك أعنى القوة المتخيلة فيحصل بدونها ولا يذهب بذهابها ويسمى مثالا مطلقا، ومثالا منفصلا، وهو حضرة ذاتية قابلة دائما للمعانى والصور فتجدها بخاصيتها لا يكون غير ذلك، ومن هذا القسم الثانى وهو المطلق الصور المرئية فى المرايا ونحوها من الأجسام الصقيلة وتشكل الملك كجبريل عليه السلام بمثل صورة دحية الكلبى أو غيره، والأنبياء والأولياء بمثل أشكالهم العنصرية وتصور الأعمال الصالحة بصور حسنة جميلة، والسيئة بصور ظلمانية قبيحة، والأنبياء والكمل أكثر ما يرون الأشياء ويشاهدونها فى حضرة المثال المطلق وكل ما يرى فيها لابد أن يكون حقا مطابقا للواقع أى للصورة الخارجية من غير اختلال، ومن ثم لا

---

(١) أخرجه البخارى (١/ ٤ ،رقم ٢).

يحتاج فيها إلى تعبير بخلاف حضرة المثال المقيد فشأنها أن يعبر عن الصورة الممثلة فيها إلى المعاني المقصودة منها فمن ثم تحتاج إلى التعبير فى الغالب [٨٣] وهو الجواز من صورة ما رأى إلى أمر آخر وهو المعنى المراد بها.

ومن الأول: وهو المثال المقيد الصور المتخيلة المناسبة لما هى صورة له، وإن لم تكن مطابقة له بحسب الظاهر كتصور الكبش فى صورة الذبيح، وهو إسماعيل عليه السلام على ظاهر القرآن، وهو الذى عليه أكثر المفسرين والمحدثين والفقهاء وجمهور العلماء، واقتصر عليه الشيخ الأكبر فى رسالة " المبشرات " ورجحه كثيرون وألف جماعة فى إثباته مؤلفات.

وفى " الجامع " لابن المشرى نقلاً عن شيخه أبي العباس التيجانى قال: الذبيح إسماعيل قولا واحداً، ولا عبرة بغير هذا القول لدليل فى الكتاب ثم ذكرهما فانظره أو إسحاق على ما وقع التصريح به فى بعض الأحاديث الصحيحة، وقاله جماعة من الصحابة والتابعين ورجحه آخرون وجرى عليه الشيخ الأكبر فى " فصوصه " ونُسب أيضاً لمذهب الجمهور لسيدنا إبراهيم عليه السلام مناما لمناسبة واقعة بينهما وهى الاستسلام والانقياد فظن أنه أمر بذبح ولده حملا للرؤيا على ظاهرها من غير تعبير ولا تأويل، وهو إنما أمر حقيقة بذبح الكبش المتصور له بصورة الولد الذى هو أعنى الكبش تعبير رؤيا عند الله ولكن أخبر ذلك عنه سبحانه فى ذلك الحال لحكمة اقتضته فمن رأى هذه الرؤيا فرؤياه معتبرة قطعا إلا أنها تحتاج إلى تأويل وتعبير يعرب عما هو المراد بها فى أكثر الصور وأغلب المرائى.

ومنه أيضاً: الصور المتخيلة الغير المناسبة لما هى صورة له بأن لم يكن بينها وبين معانيها ارتباط بوجه ما أصلاً [٨٤] كأكثر الصور المرئية للمجانين والمبرسمين، والمرئية فى المنامات للعامة، ومن رأى هذه الصور فرؤياه كاذبة بيقين، وتسمى أضغاث أحلام ولا تعبر أصلا، وهذه المرتبة تسمى بحضرة عالم الملكوت، وهى الحضرة الرابعة من الحضرات المذكورة وعالمها هو عالم المثال والله أعلم.

– عالم الأجسام –

الخامسة: مرتبة عالم الأجسام ويسمى بعالم الحس وعالم الشهادة وعالم الناسوت وهى عبارة عن الأشياء الكونية المركبة الكثيفة التى تقبل التجزئة والتبعيض والخرق والالتئام وهى خمس عشرة كرة:

الأولى: منها كرة العرش المحيط بالكل الذى هو أول مخلوق من عالم الأجسام والجامع للموجودات الجسمانية وهو منتهى الأجسام وليس وراءه جسم مركب ذو شكل ومقدار.

والثانية: كرة الكرسى وهو جسم محسوس هو فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض إلا أنه كالعرش لا حركة فيه. وأثبتهما فى " الفصوص " وفى الباب الخامس والتسعين ومائتين من " الفتوحات " فلكين فوق الأطلس.

قال القيصرى والجامى فى " شرحيهما على الفصوص "، والحكماء ما جزموا بأنه ليس فوق التسعة فلك آخر بل جزموا بأنه لا يمكن أن يكون أقل منها انتهى.

وفى أول الثالث والخمسين من " الفتوحات " قال: جعل الله الأفلاك تسعة أفلاك فانظر ما ظهر من الحكمة الإلهية فى حركات هذه التسعة انتهى.

وانظر ما أراد بها هل الفلك الأطلس فما تحته من الأفلاك الثمانية كما هو مذهب الحكماء أو أراد العرش والكرسى والأفلاك السماوية السبعة كما ذكره فى الباب الأحد [٨٥] والسبعين وثلاثمائة من " الفتوحات " فى الفصل التاسع ويوافقه قوله فى كتاب " التدبيرات الإلهية ": أن العرش محيط بالعالم وهو الفلك التاسع وهذا هو الظاهر جمعا بين كلاميه.

وممن سمى العرش من الصوفية فلكا الجيلى فى " إنسانه " فإنه قال فيه فى الباب الثانى والستين: اعلم أن جملة الأفلاك التى خلقها الله تعالى فى هذا العالم ثمانية عشر فلكا الفلك الأول العرش المحيط، الفلك الثانى الكرسى ثم تمم بقيتها راجعه.

الثالثة: كرة الفلك الأقصى وهو الفلك الأطلس أى الخالى من الكواكب الثوابت والسيارات وهو فلك البروج لأن الله تعالى لما خلقه قسمه اثنى عشر قسماً وسماها

بروجا، وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلى والحوت.

قال الجامى فى " شرح الفصوص ": وتسميته بفلك البروج على أن البروج إنما تتقدر فيه، وإن كانت أساميها بملاحظة ما يحاذيها من كواكب فلك المنازل انتهى.

ويسمى أيضاً بفلك الأفلاك، وبالفلك المحيط لإحاطته بجميعها، وبالدور الأعلى، ولا يعرف مقدار الحركة الواحدة منه ولا تتعين، وإليه ينتهى علم علماء الهيئة والأرصاد وعلى الحقيقة إنما ينتهى إلى الكوكب.

وفى " الفتوحات " فى الباب الخامس والتسعين ومائتين: أن الأطلس هذا هو عرش التكوين أى عنه ظهر الكون والفساد والتغير والاستحالات بواسطة الطبائع الأربع ومستوى الرحمن هو العرش العظيم الذى ما وفقه جسم، ومستوى الرحيم الكرسى [٨٦] الكريم راجعه.

الرابعة: كرة الفلك المكوكب، ويقال له فلك الكواكب الثابتة سميت ثابتة لأن الأعمار لا تدرك حركتها لقصر الأعمار لأن كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الأقصى فى مائة سنة وقال بعضهم فى ستين سنة، وهو فلك المنازل الثمانية والعشرين المشار إليها بقوله ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس: ٣٩] وهذه الكرات الأربع بسائط لها طبيعة خامسة غير طبائع العناصر الأربعة.

الخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة، والعاشرة، والحادية عشر كرات السموات السبع للأفلاك السبعة أو نقول للكواكب السبعة وهى السيارة القمر فى سماء الدنيا، والكاتب وهو عطارد فى الثانية، والزهرة فى الثالثة، والشمس فى الرابعة وهى أوسط الأفلاك السماوية وقلب الأفلاك وأعلاها مكانة ورتبة إذ من روحانيتها يصل الفيض إلى الأفلاك جميعا كما أن من كوكبها تتنور الأفلاك جميعا.

وفى " الفصوص " قال: أعلى الأمكنة يعنى بالمكانة والمرتبة المكان الذى يدور عليه عالم الأفلاك وهو فلك الشمس، وفيه مقام روحانية إدريس عليه السلام.

والأحمر وهو المريخ فى الخامسة، وبهرام وهو المشترى فى السادسة، وكيدان وهو زحل ويسمى بالمقاتل فى السابعة وهو أعنى السموات وما تولد منها من الملائكة عنصرية مركبات من العناصر كسائر المركبات تكونت من الدخان المرتفع كما ذهب إليه الحكماء الإسلاميون والمحققون – من أهل الذوق والشهود [٨٧] كالشيخ محيى الدين وأضرابه وما فوقها من الأفلاك إلى العرش والملائكة التى فيه طبيعى غير عنصرى.

الثانية عشر: كرة الأثير وهو النار.

الثالثة عشر: كرة الهواء.

الرابعة عشر: كرة الماء.

الخامسة عشر: كرة الأرض أو نقول التراب وهذه الكرات أربعة كما ذكره الشيخ فى الباب الأحد والسبعين وثلاثمائة من " الفتوحات " وليست بأفلاك، وإطلاق اسم الفلك عليها فى " الفصوص " كأنه من باب التغليب.

قال الجامى فى " شرح الفصوص " سمى ﷺ كرات العناصر أيضاً أفلاكا تغليبا انتهى.

ويدل على هذا تسميته لها فى " الفصوص " بعد كرات.

لكن الجيلى فى " إنسانه " سماها أيضاً أفلاكا لأنه ذكر أن جملة الأفلاك التى خلقها الله فى هذا العالم ثمانية عشر فلكا وعدها، وعد منها هذه الكرات المذكورة كلها وزاد عليها بين الأطلس والمكوكب ثلاثة وهى فلك الهيولى، وفلك الهباء، وفلك العناصر وهو آخرها مما يلى المكوكب قال وهى أفلاك وهمية حكمية لا وجود لها إلا فى الحكم دون العين قال: وقال بعض الحكماء: ثم فلك رابع وهو فلك الطبائع قال ثم لكل موجود فى العالم فلك وسيع يراه المكاشف ويسبح فيه ويعلم ما يقتضيه فلا تحصى الأفلاك لكثرتها قال الله تعالى ﴿ **كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [الأنبياء: ٣٣] انتهى. وربك أعلم.

وهى – أعنى الكرات الأربع الأخيرة – بسائط متخالفة الطبائع ومنها تتكون المركبات العنصرية ويقال لها: المولدات وهى أربعة المعادن وهى ثلاث طبقات [٨٨]

مائيات وترابيات وحجريات، والنباتات وهى أيضاً ثلاثة نابتات ومغروسات ومزروعات، والحيوانات وهى أيضاً ثلاثة مولدات مرضعات ومحضونات ومعفنات، والإنسان ؛ فالمعدن كل جماد لا نمو له مائعا كان أو منعقدا، والنبات كل نام من الأجسام لا روح فيه طبعا، والحيوان كل نام ذى روح من الأجسام، والإنسان كل حيوان ناطق ؛ ثم هذه المرتبة تسمى بحضرة عالم الملك وهى الحضرة الخامسة وعالمها هو عالم الأجسام والله أعلم.

السادسة: المرتبة الجامعة وتسمى أيضاً بمرتبة الجمع وبالحضرة الجامعة وبحضرة التجلى الأخير واللباس الأخير والمظهر الجامع لجميع المظاهر فى كل المراتب وهو الحقيقة الإنسانية التى هى متعلق الإرادة الأولى والعين المقصودة من الوجود بمعنى أنها المحبوب لعينه والمراد لله على التعيين وما سواه مراد لأجله وبالتبعية لها وهى من حيث حقيقتها التى هى برزخ البرازخ مرآة الذات ولوازمها وهذه هى الحضرة السادسة وعالمها هو عالم الإنسان الجامع لجميع العوالم وما فيها وذلك أن التعين الأول مع ما فيه من العلم بالذات وبسائر الصفات والتعينات والماهيات علماً إجماليا غير تفصيلى ظهر فى التعين الثانى، والتعين الثانى مع ما فيه من العلم بالجميع علماً تفصيليا ظهر فى العوالم الثلاثة الروحانية والمثالية والجسمية وهى التى توجد فيها تلك المعانى وجوداً عينيا تفصيليا والمرتبة الإنسانية [٨٩] الكمالية يوجد فيها جميع ما فى هذه المراتب لاشتمالها عليها مع اشتمالها على معنى الأحدية الجمعية الحقيقية الكمالية التى لا يتصور الزيادة عليها من جهة التمام والكمال والصورة الكاملة الإلهية الظاهرة بحسب جميع هذه المظاهر لا يمكن ظهورها من حيث هى كذلك إلا فى هذا المظهر ولذا خليفة مسجود للملائكة وهذه المراتب الأربع كلها كونية منسوبة إلى الكون وكلها حادثة كما سبق وقد قال الإمام السيد الشريف على بن محمد الجرجانى فى كتاب " التعريفات " له ما نصه: الحضرات الخمس الإلهية حضرة الغيب المطلق وعالمها عالم الأعيان الثابتة فى الحضرة العلمية وفى مقابلتها حضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالم الملك وحضرة الغيب المضاف وهى تنقسم إلى ما يكون أقرب من الغيب المطلق وعالمه

عالم الأرواح الجبروتية والملكوتية أعنى عالم العقول والنفوس المجردة وإلى ما يكون أقرب من الشهادة المطلقة وعالمه عالم المثال ويسمى بعالم الملكوت والخامسة الحضرة الجامعة للأربعة المذكورة وعالمها عالم الإنسان الجامع لجميع العوالم وما فيها فعالم الملك مظهر عالم الملكوت وهو العالم المثالى (١) المطلق وهو مظهر عالم الجبروت أى عالم المجردات وهو مظهر عالم الأعيان الثابتة وهو مظهر الأسماء الإلهية والحضرة الواحدية وهى مظهر الحضرة الأحدية انتهى، والله أعلم. [٩٠]

– فصل –

قال الجامى فى شرحه " لنقش الفصوص " فى الوصول التى ذكرها وصل الوجود العارض للممكنات المخلوقة ليس بمغاير للوجود الحق الباطن المجرد عن الأعيان والمظاهر إلا بنسب واعتبارات كالظهور والتعين والتعدد الحاصل بالاقتران وقبول حكم الاشتراك، ونحو ذلك من النعوت التى تلحقه بواسطة التعلق بالمظاهر فللوجود اعتباران أحدهما من حيث كونه موجودا فحسب وهو الحق وإنه من هذا الوجه لا كثرة فيه ولا تركيب ولا صفة ولا نعت ولا اسم ولا رسم ولا نسبة ولا حكم بل وجود بحت، والاعتبار الآخر من حيث اقترانه بالممكنات وشروق نوره على أعيان الموجودات وهو سبحانه إذا اعتبر تعين وجوده مقيدا بالصفات اللازمة مثل متعين من الأعيان الممكنة فإن ذلك التعين والتشخص يسمى خلقها وسوى وينضاف إليه سبحانه إذ ذاك كل وصف ويسمى بكل اسم ويقبل كل حكم ويتقيد بكل رسم ويدرك بكل متشعر من بصر وسمع وعقل وفهم شعر:

لى حبيب قد تسمى ... بأسامى كل مسمى
فإنا عن ذاك أكنى ... فى صريح أو معمى
لست أعنى برباب ... وهند وبسلمى

(١) الأبيات من بحر الطويل.

غـــــــيره فـــاعـــتـــــــبروه فهـــــو الاســـــم والمســـــمى

وذلك لسريانه فى كل شيء بنوره الذاتى المقدس عن التجزؤ والانقسام والحلول فى الأرواح والأجسام، ولكن كل ذلك متى أحب وكيف شاء، وهو فى كل وقت وحال قابل لهذين الحكمين المذكورين المتضادين [٩١] بذاته لا بأمر زائد عليه إذا شاء ظهر فى كل صورة وإن يشاء لا تنضاف إليه صورة لا يقدم تعينه وتشخصه بالصور واتصافه بصفاتها فى كمال وجوده وعزته وقدسه ولا ينافى ظهوره فى الأشياء وظهور تعينه وتغيره وتقيده بها وبأحكامها من حيث هى علوه وإطلاقه عن كل القيود وغناه بذاته عن جميع ما وصف بالوجود بل هو سبحانه الجامع بين ما تماثل من الحقائق وتخالف من وجه فيأتلف وبين ما تنافر منها وتباين فيختلف انتهى منه بلفظه وقد ذكر القاشانى فى لطائف الأعلام نحوه مع زيادة فى ترجمة وجهتى الإطلاق والتقييد فراجعه والله أعلم.

– فصل –

ذكر المتكلمون على وحدة الوجود أن هاهنا وحدات ثلاثاً الأولى منها وحدة كل موجود على انفراده ومعناها أن كل فرد من أفراد الموجودات الظاهرة والباطنة من حيث هو له من الله تعالى وجه خاص يلقى إليه منه ما يشاء لا يشاركه فيه أحد وله منه أيضاً وجهة معينة وصفة مخصوصة لا تكون لغيره بها يتميز عن غيره من سائر المخلوقات وهذه الوجهة هى حقيقته المختصة به وصفته المخصوصة.

قال فى " الفتوحات " فى الفصل الخامس عشر من الباب الثامن والتسعين ومائة ما نصه: وأما الله تعالى فهو مع كل شيء فلا يتقدمه شيء ولا يتأخر عنه شيء وليس هذا الحكم لغير الله تعالى ولهذا له إلى كل موجود وجه خاص لأنه سبب كل موجود وكل موجود لا يصح أن يكون اثنين انتهى.

يشير إلى هذه الوحدة وإن شئت زيادة بيان لها فقل إنه ما من عين مخلوقة إلا ولها من الله خاصية وعلامة تميزها عن غيرها [٩٢] من كل ما خلقه الله من الأعين من

ابتداء الوجود إلى انتهائه كما أن لها منه مادة مخصوصة لا يشاركها فيها عين أخرى، وإن قلنا أن هذه العين مثل هذه كزيد مثلا مثل عمرو أو هذه الحبة من البر أو غيره مثل هذه فما هى مثلية حقيقية إذ كل واحد منهما لابد له من مميز يدرك ذلك من خالطه المخالطة الخاصة أو تأمله كذلك أو فتح الله عين بصيرته وذلك المميز هو وجهه المختص به وهو حقيقته الخاصة وصفته المخصوصة فهذه هى وحدة كل موجود.

– الموجودات من حيث جملتها –

الثانية: وحدة جميع الموجودات الكونية من حيث جملتها وهى وحدته ﷺ ومعناها أن العالم كله من أوله إلى ما لا نهاية له منه شيء واحد بالذات أعنى نورانيته واحدة وحقيقة متحدة متضمنة لجميع الحقائق وهى نورانيته ﷺ وحقيقته المفاضة من الذات العلية فيضانا متحدا بالفيض الأقدس أولاً فى العلم ثم بالفيض المقدس ثانيا فى العين والخارج وما لها من التفاصيل والوجوه والقيود والاعتبارات والخيالات العارضة لا يعددها ولا يكثرها كالذات الواحدة الإنسانية فإنها حقيقة واحدة لا يكثرها ويعددها ما لها من الأعضاء والحواس الظاهرة والباطنة وإن كانت متعددة، وهذا معنى ما بلغنا عن بعضهم من أنه كان يقرر وحدة الوجود فيه ﷺ وكان بعض أشياخنا ممن جمع بين الظاهر والباطن يومئ إليها فيقول إذا رأى إنسانا مقبلا عليه أى إنسان كان مرحبا بالنور المحمدى حتى [٩٣] صار يلقب بهذا اللقب فيقال له النور المحمدى وكان يشير بذلك إلى أن الأكوان كلها إنما هى مظاهره ﷺ وأنوراه المتحدة بالذات، وإن تعددت بالاعتبارات، وأن وجوده إنما هو بوجوده ﷺ وإمداده المستمد من الحضرة العلية التى هى حضرة الأحدية.

وفى " الجامع " لأبى عبد الله محمد بن المشرى نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى قال: الحقيقة المحمدية هى الكون بأسره فلو رفع الحجاب لم تر إلا الحقيقة المحمدية بارزة وحدها عليها أفضل الصلاة والسلام انتهى.

يريد أنها سارية فيه كسريان الماء في العود الأخضر بحيث لو زال هذا السريان لصار عدما محضاً في الحال قبل المآل ولو زالت هذه المظاهر التي هي الحاجبة عنها لم تر إلا هي بارزة وحدها وإلى هذه الوحدة يشير في " الفتوحات " عقب ما مر عنه في الوحدة قبلها بقوله: وهو واحد فما صدر عنه إلا واحد فإنه في أحدية كل واحد وإن وجدت الكثرة فبالنظر إلى أحدية الزمان الذى هو الظرف فإن وجود الحق في هذه الكثرة في أحدية كل واحد فما ظهر عنه إلا واحد فهذا معنى لا يصدر عن الواحد إلا واحد ولو صدر عنه جميع العالم لم يصدر عنه إلا واحد فهو مع كل واحد من حيث أحديته، وهذا لا يدركه إلا أهل الله، وتقوله الحكماء على غير هذا الوجه وهو مما أخطأت فيه انتهى منه بلفظه.

وقد ذهب الأشاعرة والمتكلمون إلى جواز استناد آثار متعددة لمؤثر واحد بسيط [٩٤] لأنهم قائلون بأن جميع الممكنات المتكثرة كثرة لا تحصى مستندة بلا واسطة إلى الله تعالى مع كونه منـــزها عن التركيب والحكماء منعوا هذا أعني جواز استناد الآثار المتعددة إلى المؤثر البسيط الواحد الحقيقي من جميع الجهات، وقالوا إنه لا يجوز أن يستند إليه إلا أثر واحد، وقالوا في معنى ما صدر عن الواحد إلا واحد أن الحق تعالى ما خلق إلا واحداً وهو العقل الأول، والعقل الأول أوجد الفلك الأول بمادته وصورته ونفسه الناطقة المدبرة له وأوجد العقل الثاني ثم العقل الثاني أوجد فلكه ومادته وصورته ونفس والعقل الثالث، وهكذا إلى العقل العاشر، ثم خلق العقل العاشر العناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة بأنواعها الكثيرة ونفوسها وقواها، وغير ذلك إلى ما شاء الله. هذا ما قالوا، وحمل الأكثرون كلامهم هذا على الظاهر من إثبات فاعل ومؤثر غير الله تعالى عما لا يليق به وحقق المحقق الدواني في بعض رسائله أن تحقيق مذهبهم أنه لا فاعل في الوجود إلا الله تعالى وبين ذلك بالبيان الشافي فلينظر.

وأهل الله تعالى يقولون معنى ما صدر عن الواحد إلا واحد أن وجوده تعالى في أحدية كل واحد وأنه مع كل واحد من حيث أحديته كما قاله الشيخ الأكبر، أو أنه

ما صدر عن الحق تعالى إلا واحد وهو الوجود المفاض من الذات العلية فيضانا متحدا والعقل الأول وغيره من سائر الموجودات سواء فى هذا الوجود المفاض كما قاله غيره.

وقال العارف [٩٥] الجامى فى " الدرة الفاخرة الملقبة بحط رحلك " فى ترجمة القول فى صدور الكثرة عن الوحدة: الظاهر أن الحق ما ذهب إليه الحكماء من امتناع صدور الكثرة عن الواحد الحقيقى ولذا وافقهم الصوفية المحققون فى ذلك لكن خالفوهم فى كون المبدأ الأول كذلك فإنهم يثبتون له تعالى صفات ونسبا تغايره عقلاً لا خارجا كما سبق فَيُجَوِّزُون أن يصدر عنه باعتبار كونه مبدءا للعالم كثرة من حيث كثرة صفاته واعتباراته وأما من حيث وحدته الذاتية فلا يصدر عنه إلا أمر واحد من تلك الصفات والاعتبارات أى وهو نسبة العموم والانبساط للوجود المفاض المعبر عنه بالعما قال وبواسطته يلحقه سائر الاعتبارات وبواسطة كثرة الاعتبارات كثرة وجودية حقيقية انتهى منه بلفظه.

وقال صدر الدين القونوى فى رسالة " مفتاح الغيب " فى ترجمة فصل شريف يشتمل على علم غزير خفى لطيف ما نصه: الوجود فى حق الحق عين ذاته وفى من عداه أمر زائد على حقيقته وحقيقة كل موجود عبارة عن نسبة تعينه فى علم ربه أزلا وتسمى باصطلاح المحققين من أهل الله عيناً ثابتة.

وفى اصطلاح غيرهم ماهية والمعدوم الممكن والشيء الثابت ونحو ذلك والحق سبحانه من حيث وحدة وجوده لم يصدر عنه إلا واحد لاستحالة إظهار الواحد غير الواحد وإيجاده من كونه واحداً أكثر من واحد لكن ذلك الواحد عندنا هو الوجود العام المفاض على أعيان الممكنات ما وجد منها وما لم يوجد [٩٦] معا سبق العلم بوجوده وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلى الذى هو أول موجود عند الحكيم المسمى بالعقل الأول وبين سائر الموجودات وليس كما يذكره أهل النظر من الفلاسفة بأنه ما ثم عند المحققين إلا الحق والعالم، والعالم ليس بشيء زائد على حقائق معلومة لله تعالى أولاً كما أشرنا إليه من قبل متصفة بالوجود ثانيا فالحقائق من حيث

معلوميتها وعدميتها لا توصف بالجعل عند المحققين من أهل الكشف والنظر أيضاً إذ المجعول هو الموجود فما لا وجود له لا يكون مجعولا، ولو كان كذلك لكان للعلم القديم فى فى تغير معلوماته فيه أزلا أثر مع أنها غير خارجة عن العالم بها فإنها معدومة لا نفسها لا ثبوت لها إلا فى نفس العالم بها فلو قيل بجعلها لزم أما مساواتها للعالم بها فى الوجود أو أن يكون العالم بها محلا لقبول الأثر من نفسه فى نفسه وظرفا لغيره أيضاً وكل ذلك باطل لأنه قادح فى صرافة وحدته سبحانه أزلا وقاض بأن الوجود المفاض عرض لأشياء موجودة لا معدومة، وكل ذلك محال من حيث أنه تحصيل للحاصل، ومن وجوه أخر لا حاجة إلى التطويل بذكرها فافهم فثبت أنها من حيث ما ذكرنا غير مجعولة وليس ثمة وجودان كما ذكر بل الوجود واحد وهو مشترك بين سائرها مشتفاد من الحق سبحانه وتعالى.

ثم إن هذا الوجود الواحد العارض للممكنات المخلوقة ليس بمغاير فى الحقيقة للوجود الحق الباطن المجرد عن الأعيان والمظاهر إلا بنسب واعتبارات [٩٧] كالظهور والتعين والتعدد الحاصل له بالاقتران وقبول حكم الاشتراك ونحو ذلك من النعوت التى تلحقه بواسطة التعلق بالمظاهر انتهى المراد منه بلفظه، وقد نقله ببعض حذف منه الجامى فى " الدرة الفاخرة ".

وفى " لطائف الأعلام فى إشارات أهل الإلهام " فى الكلام على الأمر الوحدانى ما نصه: هو المشار إليه بقوله تعالى ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠] وأمره الواحد عبارة عن تأثيره الوحدانى بإفاضة الوجود الواحد المنبسط على الممكنات القابلة الظاهرة به والمظهرة إياه متعددا متنوعا بحسب ما اقتضته حقائقها المتعينة فى العلم الأزلى وذلك لأن الحق من حيث وحدة وجوده لا يصدر عنه إلا واحد لاستحالة إيجاد الواحد من كونه واحداً ما هو أكثر من واحد إلا أن أرباب النظر العقلى من الفلاسفة يرون أن ذلك الواحد هو العقل الأول وعلى قاعدة الكشف هو الوجود العام وينبغى أن تعلم أنه ليس المراد بالعموم أنه كلى لا يمنع تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه فإن ذلك مما لا يصلح أن يكون موجودا فى الأعيان بل المراد

بالعموم اشتراك جميع الممكنات فى أنه هو المفاض عليها المضاف إليها ما وجد منها وما لم يوجد مما سبق العلم بوجوده وهذا الوجود مشترك بين القلم الأعلى الذى هو أول موجود المسمى بالعقل الأول وبين سائر الموجودات إذ ليس ثم إلا الحق والعالم، العالم ليس بأمر زائد على حقائق [٩٨] معلومة الحق أولاً متصفة بالوجود ثانيا انتهى منه بلفظه.

وقد تعرض فى " جواهر المعانى " فى الفصل الثالث من الباب الخامس نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى لإيضاح هذه الوحدة وبيانها على مذهب القوم وإبطال ما قاله أهل الظاهر من إحالتها وإبطال ما ألزموه لمن قال بها وهو أنها تستلزم تساوى الشريف والوضيع واجتماع المتنافيين والضدين إلى غير ذلك مما قالوه وحاصل كلامه: أن العالم الكبير كذات الإنسان فى التمثيل وهى إذا نظرت إليها وجدتها متحدة مع اختلاف ما تركبت منه فى الصورة والخاصية وما ذكروه لا يلزم لأنه وإن كانت الخواص متباعدة والأحكام مختلفة فالأصل الجامع لها ذات واحدة كذات الإنسان سواء بسواء وأيضا فلوحدته وجه ثان وهو اتحاد ذاته فى كونه مخلوقا لله تعالى وأثرا لأسمائه وصفاته فلا يخرج فرد من أفراد هذا العالم عن هذا الحكم وإن اختلفت أنواعه فإن الأصل الذى برز عنه واحد ووجه ثالث وهو اتحاد وجوده من حيث فيضان الوجود عليه عليه من حضرة الحق فيضانا متحدا ثم اختلفت خواصه وأجزاؤه بحسب ما تفصل ذلك الوجود فإنه يتحد فى عين الجملة ويفترق فى حال التفصيل راجع كلامه، وراجع أيضاً كتاب " الجامع " لابن المشرى فإنه تعرض فيه أيضاً لهذه الوحدة وبيانها نقلاً عن شيخه المذكور.

– وحدة الوجود الذى به يتحقق حقيقة كل موجود –

الثالثة: وحدة الوجود الذى به يتحقق حقيقة كل [٩٩] موجود وهى وحدة الحق سبحانه ومعناها أن الوجود من حيث هو حقيقة واحدة وهى لله تعالى وحده لا مشارك له فيها فهو الموجود على الإطلاق ووجود هذه الكائنات إنما كان باستنادها

إليه واستمدادها منه واستنشاقها لروائح الوجود من وجوده وإشراق شعاع وجوده عليها فهى موجودة بهذا الوجود الذى له تعالى لا بوجود آخر ثان فلم تكن غيرا من كل وجه لأن الغير فى عرفهم هو الذى يكون له الوجود من ذاته ويتصور أن يكون له بنفسه قوام وهى وجودها ليس من ذاتها ولا يتصور أن يكون لها قوام بنفسها.

وقد قال الشيخ الأكبر فى كتاب " التجليات " له من لم يكن له وجود من ذاته فمنـــزلته منـــزلة العدم وهو الباطل قال: وهذا من بعض الوجوه التى بها يمتاز الحق تعالى عن الخلق وهو كونه موجودا أعنى وجوده من ذاته انتهى.

كما أنها ليست عيناً لما بين التقييد والإطلاق من تقابل التضاد وعليه فإثبات الوجود لها توهم لأنه يتوهم الجاهل بحالها وحقيقتها أن لها وجوداً وفى الحقيقة ونفس الأمر ما ثم إلا وجوده تعالى لأن به ظهرت الأشياء كلها ولذا قيل:

هـــذا الوجـــود وإن تعـــدد ظاهرا	وحـــياتكم مـــا فـــيه إلا أنـــتم
أنـــتم حقـــيقة كـــل موجـــود بدا	ووجودهـــا ذى الكائـــنات توهـــم
فى بـــاطنى مـــن نوركـــم ما لو بدا	أفـــتى بســـفك دمـــى الذى لا يعلم
ولـــو أنـــنى أبـــدى سرائر جودكم	قال العواذل ليس هذا مسلم[١٠٠]

وفى " الإحياء " فى كتاب التوحيد والتوكل فى الكلام على قول لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ....

ما نصه: أي كل ما لا قوام بنفسه وإنما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وإنما حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فإذًا لا حق بالحقيقة إلا الحى القيوم الذى ليس كمثله شيء فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل انتهى.

وقال القاشانى فى " لطائفه " فى مبحث التحقيق ما نصه: التحقيق هو رؤية الحق بما يجب له من الأسماء الحسنى والصفات العلى قائما بنفسه مقيما لكل ما سواه وأن الوجود بكمالات الوجود أى التى هى القوى والمدارك إنما هو له تعالى بالحقيقة والأصالة ولكل ما سواه بالمجاز والتبعية بل تسميته غيره غير أو سوى مجاز أيضاً إذ ليس معه غير بل كل ما يسمى غيرا فإنما هو فعله والفعل لا قيام له إلا بفاعله فليس

هو بنفسه ليقال فيه غيرا وسوى فكان مرجع التحقيق أن ليس فى الوجود إلا عين واحدة قائمة بذاتها مقيمة لتعيناتها التى لا يتعين الحق بها لاستحالة الانحصار عليه أو التقييد فهو تعالى الظاهر فى كل مفهوم والباطن عن كل فهم إلا عن فهم من قال إن العالم صورته وهويته فلهذا صار صاحب التحقيق لا يثبت العالم ولا ينفيه أى لا يثبت العالم إثبات أهل الحجاب ولا ينفيه نفى المستهلكين فافهم انتهى منه بلفظه.

فهذا المعنى هو مراد أهل الله بوحدة الوجود وبالوحدة [١٠١] المطلقة وغير ذلك من العبارات التى يذكرها العارفون من أهل التحقيق وليس مرادهم المعنى الفاسد الذى عند أهل الزندقة والإلحاد، وقد أنكرته عليهم علماء الأمة وقد كشف عن هذا الشيخ عبد الغنى النابلسى فى رسالة له سماها " إيضاح المقصود عن معنى وحدة الوجود ".

وفى " الحكم العطائية ": الكون كله ظلمة أى عدم صرف بالنظر إلى أصله وحقيقة ذاته، قال: وإنما أناره يعنى أظهره وأزال ظلمة العدم عنه ظهور الحق فيه أى تجليه عليه أولاً بأنوار الإيجاد وتوجهه إليه ثانيا بما يقوم به ويدوم به وجوده من أنواع الأمداد فلم يكن وجوده لنفسه وذاته حتى يعد وجوداً مستقلا، وإنما كان وجوده تعالى وبظهور هذا الوجود فى الأشياء ظهرت وبإشراق وشعاعه عليها أشرقت على حسب ما تقتضيه طبائعها وقابليتها واستعداداتها الثابتة فى العلم، ثم قال فى الحكم فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار يعنى أن من نظر إلى الكون ولم يشهد الحق تعالى ببصيرته فيه أو عنده أو معه كما هو حال أهل التوسط الذين يرون الله فى الأشياء أو عندها أو معها ويقولون: ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله فيه أو عنده أو معه أو يشهده قبله كما هو حال أهل الشهود والعيان الذين يرون الأشياء بالله ويقولون: ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله أو يشهده بعده كما هو حال أهل الدليل والبرهان الذين [١٠٢] يرون الله بالأشياء ويقولون: ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله بعده كان معدودا من أهل الظلام محجوبا عن الله تعالى بسحب الكون أو الجهل والغفلة والآثام ومن شهده فى كل شيء أو عنده أو معه أو قبله أو بعده أو فيه وعنده ومعه وقبله وبعده

كان من أهل الأنوار وممن لم تنحجب عنهم شموس المعرفة بسحب الآثار ومن زال عنه الوهم والعناء وكان فى مقام المحو والفناء وغلب عليه شهود الوجود الحق الحقيقى الذى به كل شيء موجود يرى الله وحده، ولذا ينفى ما عداه ولا يثبت شيئا سواه ويقول ما رأيت شيئا سوى الله ومن قول بعضهم فى الدار غيره ديار وقول آخر سوى الله والله ما فى الوجود ويقول عما سواه أنه ظل، وأنه خيال، وأنه سراب، وأنه هالك، وأنه مضمحل زائل أو لا وجود له أصلا، وهو صادق فى ذلك كله لأن وجود ما سوى الحق إنما هو بالفرض والتقدير أو الوهم والتخييل والوجود الحق الحقيقى إنما هو وجوده تعالى ووجود ما عداه بوجوده لا بوجود آخر مما عداه ليس له من نفسه وجود أصلاً فهو بالنظر إلى نفسه عدم صرف، وبالنظر إلى إشراق شعاع الوجود المطلق عليه كالظل له تابع له والتحقق بهذا المعنى هو زبدة التوحيد وعمدة أهل التفريد وفى ذلك يقول قائلهم:

الله قــل وذر الوجــود وما حوى	إن كنــت مــرتادا بلــوغ الكمال
فـــالكل دون الله إن حققتــــه	عــدم عــلى التفصــيل والإجمــال
واعــلم بــأنك والعــوالم كــلها	لــولاه فى محــو وفى اضــمحلال
مــن لا وجــود لذاتــه مــن ذاته	فوجــوده لــولاه عين محال [١٠٣]
فالعــارفون فــنوا ولمــا يشــهدوا	شــيئا ســوى المتكــبر المــتعال
ورأوا ســواه عــلى الحقيقة هالكا	فى الحــال والماضــى والاســتقبال

وقد حكى عن الصديق ﷺ أنه كان يقول ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله.

وعن عمر ﷺ أنه كانيقول ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله بعده.

وعن عثمان ﷺ أنه كان يقول ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله معه.

وعن على ﷺ أنه كان يقول لا تعبد ربا لم نره يعنى لم نشهده وفى الحديث عن رسول الله ﷺ قال كان الله ولا شيء معه . . . الله وحده بلا شيء.

وفى " الإحياء " فى كتاب المحبة والشوق فى ترجمة بيان السبب فى قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى ما نصه: وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته أى قوته

فإنه فى حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره ويعلم أنه ليس فى الوجود إلا الله تعالى وأفعاله أثر من آثار قدرته فهى تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وإنما الوجود للواحد الحق الذى به وجود الأفعال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر فى شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث إنه سماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر فى شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث إنه أثره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث إنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظراً إلا فى الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا لله وكان هو الموحد للحق الذى لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله فهذا هو الذى يقال فيه إنه فنى فى التوحيد وإنه فنى عن نفسه أيضاً وإليه الإشارة [١٠٤] بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا وبقينا بلا نحن انتهى منه، وقد نقله السيوطى أيضاً فى " تأييد الحقيقة العلية "

وفى كلام بعض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية وإحاطة الديمومية.

وقال بعضهم: لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع فإنه لا غير معه حتى أشهده معه.

ومن كلام مولانا عبد السلام بن مشيش العلمى لوارثه أبى الحسن الشاذلى: حدد بصر الإيمان تجد الله تعالى فى كل شيء، وعند كل شيء، ومع كل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، وفوق كل شيء، وتحت كل شيء، وقريبا من كل شيء، ومحيطا بكل شيء بقرب هو وصفه وبحيطة هى نعته إلى آخر ما قال.

وقال بعض العارفين: الحق تعالى منـــزه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة، ومع ذلك لا يخلو منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا

جوهر ولا عرض لأنه للطفه سار فى كل شيء ولنورانيته ظاهر فى كل شيء ولإطلاقه وإحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد بذلك ومن لم [ير] هذا و لم يشهده فهو أعمى البصيرة محروم من مشاهدة الحق انتهى.

ومن كلام القطب سيدى على وفا ﷺ:

هو الحق المحيط بكل شيء ... هو الرحمن ذو العرش المجيد
و النور المبين بغير شكه ... هو الرب المحجب فى العبيد
هو المشهود فى الأشياء يبدو ... فيخفيه الشهود عن الشهيد
هو العين العيان لكل غيب ... هو المقصود من بيت القصيد [١٠٥]
جميع العالمين له ظلال ... سجود له فى القريب وفى البعيد
وهذا القدر فى التحقيق كاف ... فكف النفس عن طلب المزيد

– الإيمان بالله –

واعلم أن الإيمان بالله هو التصديق الجازم بوجوده أولاً وبوحدانيته ثانياً وباتصافه بصفات الكمال اللائقة به ثالثاً وبتقديسه عن سمات الحوادث رابعا، وهذا التصديق له مراتب ذكر فى " القوت " و " الإحياء " أنها ثلاثة وهى فى الحقيقة تسعة لأن كل مرتبة من المراتب الثلاث منقسمة إلى ثلاثة، وذكر الغزالى فى آخر كتابة إلجام العوام ستة منها وهى أقسام المرتبتين الأولين، وأما المرتبة الثالثة فذكرها بأقسامها فى كتابه " مشكاة الأنوار "، ونحن إن شاء الله تعالى نذكر خلاصة المرتبتين الأوليين مع التوسع فى المرتبة الثالثة لأنها المقصودة هنا.

فنقول المرتبة الأولى:مرتبة إيمان العوام، وهو إيمان التقليد المحض وفيها ثلاث مراتب لأنه إما أن يكون مستنداً إلى السماع ممن حسن فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق عليه كالعلماء والأولياء أو إلى أمارة يظنها العامى دليلا كالقرائن الشاهدة له أو غير مستند إلى شيء أصلاً كأن يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه فيبادر إلى

التصديق به بمجرد موافقته لطبعه، وهذه أضعف التصديقات لأنه فيما قبله استند إلى دليل ما وإن كان ضعيفا.

المرتبة الثانية: مرتبة إيمان المتكلمين وهو الإيمان الممزوج بنوع من الاستدلال وفيها أيضاً ثلاث مراتب لأنه إما أن يكون حاصلا [١٠٦] بالبرهان المحرر المستقصى لشروطه بأصوله ومقدماته أو بالأدلة الرسمية الكلامية المبنية على أمور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين أكابر العلماء وشناعة إنكارها أو بالأدلة الخطابية التى جرت العادة باستعمالها فى المحاورات والمخاطبات الجارية فى العادات.

المرتبة الثالثة: مرتبة إيمان العارفين، وهو المشاهد بنور اليقين وفيها أيضاً ثلاث مراتب. الأولى: مشاهدة أن الوجود كله لله وأنه لا شريك له فيه أصلاً لأن كل ما سواه إذا اعتبرت ذاته فهو من حيث ذاته لا وجود له بل وجوده مستعار من غيره، ولا قوام لوجود المستعار بنفسه بل بغيره ونسبة المستعار إلى المستعير مجاز محض فإذا انكشفت هذه الحقيقة للعبد بنور اليقين علم أن الوجود كله له تعالى لا مزاحم له فيه أصلاً وأن نسبته لغيره مجاز لا حقيقة.

الثانية: ترقى أصلها من حضيض المجاز إلى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس فى الوجود إلا الله وأن كل شيء هالك إلا وجهه أزلا وأبدا لا يتصور فيه إلا ذلك لا أنه يصير هالكا فى وقت من الأوقات لأن كل ما سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم صرف وإذا اعتبرت من الوجه الذى يسرى إليه الوجود من الأول فهو موجود لا من وجهه وذاته بل من الوجه الذى يلى موجده فيكون الموجود هو وجه الله فقط وحينئذ فلكل شيء وجهان وجه إلى نفسه ووجه إلى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار [١٠٧] وجه ربه موجود فإذًا لا موجود إلا الله ووجهه كما قال ﴿ كُلُّ شيء هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٨٨] يعنى فليس هالك.

وهؤلاء يفتقروا لقيام القيامة ليسمعوا نداء البارى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً ولم يفهموا من معنى قوله اَللهُ أكبر أنه أكبر من

غيره حاش الله إذ ليس فى الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود إلا من الوجه الذى يليه فالوجود وجهه فقط فمحال أن يكون أكبر من وجهه بل معناه أكبر من أن يقال له أكبر بمعنى الإضافة والمقايسة وأكبر أن يدرك غيره كنه كبريائه نبياً كان أو ملكاً بل لا يعرف كنهه إلا هو تعالى.

الثالثة: أهلها بعد ما عرجوا إلى سماء الحقيقة ولم يروا فى الوجود تحقيقا إلا الواحد الحق وأفعاله لكن منهم من كان له هذا الحال عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك ذوقاً حاليا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية استغرقوا فى الفردانية المحضة واستلبت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيها ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً فلم يكن عندهم إلا الله فسكروا سكرا وقع دون سلطان عقولهم، فقال أحدهم: أنا الحق. وقال الآخر: سبحانى ما أعظم شانى. وقال الآخر: ما فى الجبة إلا الله. وكلام العشاق فى حال السكر يطوى ولا يحكى، فلما خف عنهم سكرهم وردوا إلى سلطان العقل الذى هو ميزان الله فى [١٠٨] الأرض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه الاتحاد مثل قول العاشق فى حال فرط عشقه: أنا من أهوى ومن أهوى أنا.

وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحالة فناء بل فناء الفناء لأنه فنى عن نفسه وفنى عن فنائه فإنه ليس يشعر بنفسه فى تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره كان قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحالة بالنسبة إلى المستغرق بها بلسان المجاز اتحادا وبلسان الحقيقة توحيدا وانظر " مشكاة الأنوار " لأبى حامد الغزالى، وشرح الإحياء للشيخ مرتضى الزبيدى فى أول نصفه الثانى وفى مبحث السماع.

وفى " لطائف الأعلام فى إشارات أهل الإلهام " للقاشانى بعد ما ذكر فيه الاتحاد وأنه يطلق ويراد به عدة معانى ما نصه: ومنها أن يراد بالاتحاد جميع الموجودات فى الوجود الواحد من غير أن يلزم من ذلك ما يظن من انقلاب الحقائق أو حلول شيء فى شيء بل المراد من ذلك أن كل ما سوى الحق سبحانه لا حقيقة له إلا بالحق

سبحانه بمعنى أن الوجود الذى صار به كل موجود موجودا إنما هو الوجود الواجب وهذا منكر عند أرباب العقول المحجوبة بظلمة الأكوان فإنهم لا يشاهدون وجهه تعالى فى الأشياء لوقوفهم معها وإلى وحدة الوجود المشترك بين جميع الماهيات المتكثرة أشار الأكابر بقولهم الوحدة للوجود والكثرة للعلم أى للمعلومات فإنها هى التى كثرت الوجود الواحد المظهر لها بها انتهى منه بلفظه.

وفيها [١٠٩] أيضاً ما نصه: وحدة الوجود – يعنى به عدم انقسامه إلى الواجب والممكن – وذلك أن الوجود عند هذه الطائفة ليس ما يفهمه أرباب العلوم النظرية من المتكلمين والفلاسفة فإن أكثرهم يعتقد أن الوجود عرض بل الوجود الذى ظنوا عرضيته هو ما به تحقق حقيقة كل موجود وذلك لا يصح أن يكون أمره غير الحق عز شأنه انتهى المراد منه بلفظه أيضاً.

وقال السعد فى " شرح المقاصد " بعد أن أبطل الحلول والاتحاد ما نصه: وها هنا مذهبان آخران يوهمان الحلول والاتحاد وليسا منه فى شيء.

الأول: السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله وفى الله استغرق فى بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى فى الوجود إلا الله وهذا الذى يسمونه الفناء فى التوحيد وإليه يشير الحديث الإلهى: فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ. وحينئذ فربما صدرت منه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف عنه بالمقال ونحن على ساحل التمنى نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان ونعترف بأن طريق غيرنا فيه العيان دون البرهان.

الثانى: أن الواجب هو الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه أصلاً وإنما الكثرة فى الإضافات والتعينات التى هى بمنـــزلة الخيالات والسراب إذ الكل فى الحقيقة واحد يتكرر على الظاهر لا بطريق المخالطة والانضمام ويتكثر فى النواظر لا بطريق الانقسام ولا حلول هنا ولا اتحاد لعدم الاثنينية والغيرية انتهى على نقل شارح الإحياء والله أعلم. [١١٠]

– فصل –

هذه المسألة وهى مسألة وحدة الوجود الحق أكثر العلماء فيها الكلام قديماً وحديثا وردها المتكلمون لعدم فهمهم لها على الوجه الموافق للشريعة، وآخرون من أهل الله منهم الإمام الربانى مجدد الألف الثانى الشيخ أحمد الفاروقى السرهندى والشيخ علاء الدين السمنانى سدا للذريعة لما فى ظاهرها من الإشكال ولما تؤدى إليه من تخبط الجهال، ووقوعهم فى الضلال والمحال وأثبتها كثير من العلماء المحققين وأهل الله العارفين كالشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى، وتلميذه الشيخ شرف الدين بن الفارض، والشيخ سليمان عفيف الدين التلمسانى، والشيخ عبد الحق بن سبعين، والشيخ عبد الكريم الجيلى وأمثالهم فإنهم قائلون بها هم وأتباعهم وصنف كثير منهم فيها التصانيف العديدة منهم الشيخ القطب صفى الدين أحمد بن محمد القشاشى المدنى فإنه كتب فيها رسالة ونقل فيها عن ابن كمال باشا رحمه الله ومن خطه نقل كما صرح به أنه يجب على ولى الأمر أن يحمل الناس على القول بالتوحيد الخالى من الشرك الخفى الذى أشار إليه الشيخ العارف أرسلان فى أول رسالته بقوله: كلك شرك خفى ولا يبين لك توحيد إلا إذا أخرجت عنك انتهى.

ومنهم خليفته الشيخ الملا إبراهيم بن حسن الكورانى المدنى فإنه كتب فيها أيضاً رسالة وهى من أجمع ما ألف فيها سماها " مرقاة الصعود إلى صحة القول بوحدة الوجود ".

ومنهم الشيخ الإمام العلامة الهمام العارف المحقق أبو عبد الله محمد بن الشيخ [١١١] فضل الله الهندى من أجل تلامذة الشيخ الإمام وجيه الدين العلوى فإنه كتب فيها رسالة صغيرة سماها بـــ " التحفة المرسلة إلى رسول الله ﷺ " وهى مفيدة جدا وقد ذكرها بلفظها أبو سالم العياشى فى " رحلته ".

ومنهم الشيخ السامى الملا نور الدين عبد الله بن أحمد الجامى له رسالتان فى وحدة الوجود إحداهما تعرف بـــ " اللوائح " وهى رسالة مفيدة إلا أنها باللسان الفارسى وترجمها بعض المتأخرين باللسان العربى.

ولشيخنا العارف العلامة المشارك الشيخ حبيب الرحمن الهندى الحسينى الكاظمى حاشية على هذه الترجمة قلت والملا هذا كان آية من آيات الله فى الظاهر والباطن وهو شارح " النصوص " وشرحه عليها من أحسن الشروح وأتقنها، وشارح " كافية " ابن الحاجب وهو أيضاً من أحسن شروحها وهو من أكبر ساداتنا أهل سلسلة الخواجة الغوث الأعظم عبيد الله الملقب بالأحرار صاحب أصحاب حضرة الخواجة الكبير بهاء الدين محمد المعروف بنقشبند نفعنا الله بهم.

ومنهم الشيخ العارف سيدى عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى له أيضاً رسالة لطيفة حسنة جميلة سماها " إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود " وله أيضاً شرح على رسالة الجامى العربية وهو المسمى " بالظل الممدود فى معنى وحدة الوجود " وشرح آخر على " التحفة المرسلة " المشار إليها سابقا سماه " نخبة المسألة فى شرح التحفة المرسلة " إلى غير ذلك من الرسائل الكثيرة، واستدل بعضهم على إثباتها بالدلائل النقلية من الكتاب والسنة والدلائل [١١٢] الكشفية من أقوال العارفين وكلامهم، وإن كان أكثر المتكلمين لم يعرفوها ولم يقولوا بها كما أنهم لم يقولوا بوحدة الصفات ولم يعرفوها وقد ذكر الملا إبراهيم أنه رأى فى كلام العارف بالله عبد الجليل بن موسى القصرى مؤلف " شعب الإيمان " وهو من أشياخ الشيخ محيى الدين بن عربى ما يشير إلى أن من لم يصدق بوحدة الوجود ووحدة الصفات لم يقدر على فهم شيء من أقوال العارفين خصوصاً فى المعتقدات نقله أبو سالم العياشى فى " رحلته " لكن ذكروا أنه لا يكمل أحد فى فهم معناها إلا إن حصل له الذوق الصحيح والكشف الصريح وإلا فهى مزلة الأقدام إلا من حفظه الملك العلام ومن ثم يعبرون عنها فى اصطلاحهم بالمسألة الغامضة لكونها من أغمض المسائل وأدقها كما يعبرون بذلك أيضاً عن مسألة الخلق الجديد وعن مسألة الأعيان الثابتة بأغمض المسائل من حيث أنها تدل على أنه لا وجود لنا بل نحن معدومون وأكثر الناس فى فهم مسألة وحدة الوجود هذه على ظن وتخمين وبمعزل عن تحقيق ما أراده القوم منها على اليقين فصاروا لذلك بعض يقبلها ويرد مقابلها وبعض منكرها ويكفر قائلها لأن ظاهرها وهو أنه لا وجود إلا الله

مشكل جدا لما يؤدى إليه من اللوازم الصعبة التى منها اتصاف المخلوق بصفة الألوهية أو الحكم عليه بالعدم وكلاهما باطل وموجب لسقوط التكليف وإبطال الشرائع لأنا إن قلنا بالأول كان المكلف هو الإله، ولا يصح ذلك عقلاً ولا نقلاً بل هو باطل [١١٣] بإجماع العقلاء والشرائع، وإن قلنا بالثانى وقلنا إن المكلف هو العبد لم يصح على قولهم لأن العبد عندهم من حيث ذاته عدم لنفسه وتكليف العدم ممتنع بالضرورة إذ لا يتأتى منه امتثال ولا انتهاء ولا تصورهما وهذا هو معنى قول الشيخ محيى الدين فى بيتيه المشهورين: على سبيل اللغز، وقد ذكرهما فى خطبة الفتوحات وهما:

العبد عبد والرب رب ... يا ليت شعرى من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف

وقد أجابه العارف بالله سيدى عبد الرحمن بن محمد الفاسى بقوله:

نعم بحق إثبات عبد ... بنعت فرق به يكلف

والعبد ميت بغير رب ... لسر عون منه تكلف

ولهذا لما سئل والد الشيخ محمد بن أحمد الرملى من فقهاء الشافعية وأئمتهم عن القائل بوحدة الوجود قال: يقتل هذا المرتد، وترمى جيفته للكلاب، لأن قوله هذا لا يقبل تأويلاً، وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى، واستحسن ابن حجر الهيتمى منه هذه الفتوى بعد أن كان يتمحل لمذهب الصوفية القائلين بها ويأول كلامهم فرجع عن التأويل.

وفى "الطبقات الشعرانية" فى ترجمة الولى العارف بالله تعالى محمد بن أبى جمرة – وهو غير العارف المشهور أبى محمد عبد الله بن أبى جمرة شارح الأحاديث التى انتخبها من البخارى – أنه كان يقول: لو قدرت أن أمثل من يقول لا موجود إلا الله لفعلت فما بقول هذا فى بوله وغائطه وعجزه [١١٤] عن دفع الآلام عن نفسه، وشرط الإله أن يكون قادرا فكيف يقول: أنا عين الحق. هذا من أضل الضلال انتهى.

وفى " العهود المحمدية " فى عهد أن نطعم الطعام أنه سمع بعض من قنع بلبس الصوف وجلس على سجادة يخبط فى دين الله يقول: ما ثم موجود إلا الله قال فقلت له فأنت ايش فقال كلاما والله لو كان معى شاهد آخر يشهد لذهبت به إلى حكام الشريعة يضربون عنقه قال ولم يكن هذا الأمر فى الأشياخ الذين أدركناهم إنما هو الزهد والورع واتباع السنة المحمدية رضى الله عنهم أجمعين، فإياك أن تجالس من يتكلم فى الذات والصفات بغير ما صرحت به الشريعة أو تصغىَ لقوله والله يتولى هداك، وهو يتولى الصالحين انتهى.

– الجواب القائلين بوحدة الوجود –

وأجيب عن القائلين بوحدة الوجود بجوابين.

أحدهما: أن المراد بها ما اتفق عليه علماء الدين وأئمة السنة المهتدين من أن جميع العوالم على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها موجودة من العدم بوجوده تعالى لا بنفسها محفوظ عليها الوجود فى كل لمحة بوجود الله لا بنفسها وإذا كانت كذلك فوجودها الذى هو موجودة به فى كل لمحة هو وجود الله تعالى لا وجود آخر غير وجوده، فالعوالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الأصلى ومن جهة وجود الله تعالى موجودة بوجوده فوجود الله ووجودها الذى هى موجودة به وجود واحد وهو وجود الله تعالى فقط وهى لا وجود لها من جهة نفسها أصلاً وليس المراد بوجودها الذى قلنا أنه وجود [١١٥] الله عين ذواتها وصورها بل المراد به ما به ذواتها وصورها ثابتة فى أعيانها وما ذاك إلا وجوده تعالى بإجماع العقلاء وأما ذواتها وصورها من حيث هى فى أنفسها مع قطع النظر عن إيجاد الله تعالى لها بوجوده سبحانه فلا وجود لأعيانها أصلاً فليس قولهم بوحدة الوجود مخالفا لما عليه أهل السنة والجماعة وحاشاهم من المخالفة وإنما المنكر عليهم وعلى أمثالهم ينكر من قصور فهمه وقلة معرفته باصطلاحاتهم وعدم علمه فإن علومهم مبنية على الكشف والعيان وعلوم غيرهم مستفادة من الخواطر الفكرية والأذهان وبداية طريقهم السلوك إلى الله تعالى بالعمل

الصالح والتقوى وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب مع مخالطة الهوى ونهاية علومهم الوصول إلى شهود حضرة الملك العلام ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظائف والمناصب وجمع الحطام والقائلون من علماء الرسوم والكلام أن الوجود اثنان وجود قديم ووجود حادث مرادهم بالوجود الحادث نفس أعيان الذوات والصور فقط ولهذا كان مذهب الأشعرى رحمه الله أن وجود كل شيء عين ذات ذلك الشيء لا زائد عليه كما تقرر فى موضعه وأما الوجود الذى به تلك الذوات والصور موجوده فلا شك أنه وجود الله تعالى عند جميع العقلاء وكلام المحققين من أهل الله ليس فى الوجود الذى هو عين ذات الموجود بل فى الوجود الذى به كل موجود موجود والرادون للقول بوحدة [١١٦] الوجود فهموا أن المراد بالوجود عين ذات الموجود فردوها لإثباتهم وجوداً حادثا هو عين ذات الموجود الحادث ومع ذلك فردهم للقول بها محض خطأ لأن هذا الوجود الحادث الذى زعموا أنه وجود ثان غير وجود الله تعالى قائم عندهم بوجوده تعالى فرجع الوجود كله إلى وجود الله تعالى عندهم أيضاً وحينئذ فالخلاف بين الفريقين لفظى بحسب تفسير الوجود وأهل الله لما فَسَّروه بما به الذوات والصور ثابتة فى أعيانها قالوا لا وجود إلا وجوده تعالى فإنه لا غنى للموجود الممكن عن الموجود القديم أصلاً فوجوده هو وجوده وذات الموجود الممكن وصورته غير الموجود القديم فهما اثنان والوجود الذى هما موجودان به وجود واحد هو للقديم بالذات وللحادث بالغير فالقديم موجود بوجود هو عين ذاته وهو وجود واحد لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتجزأ ولا ينتقل ولا يتغير ولا يتبدل أصلاً وهو مطلق عن الكيفيات والكميات والأماكن والأزمان والجهات ولا يتصور فيه الحلول فى شيء ولا الاتحاد مع شيء والحادث موجود بوجود هو عين ذات القديم وليس الحادث هو عين ذات القديم ولا القديم هو عين ذات الحادث بل كل واحد مباين للآخر فى ذاته وصفاته وإن اجتمعا فى الظهور بالوجود الواحد وثبوت العين به قلب الوجود الواحد للقديم بذاته وللحادث بالقديم لا بذاته فالوجود الواحد فى القديم وجود مطلق على وجه لا أعظم منه وفى الحادث وجود مقيد على وجه يليق بالحادث.

وقد قال الجامى فى " شرحه [١١٧] الفصوص " ما نصه: وصل ليس حال ما يطلق عليه السوى والغير إلا كحال الأمواج على البحر الزخار فإن الموج لا شك أنه غير الماء عند العقل من حيث أنه عرض قائم بالماء وأما من حيث الوجود فليس شيئا غير الماء فمن وقف عند الأمواج - التى هى وجودات الحوادث وصورها وغفل عن البحر الزخار الذى بتموجه يظهر من غيبه إلى شهادته ومن باطنه إلى ظاهره هذه الأمواج - يقول بالامتياز بينهما ويثبت الغير والسوى ومن نظر إلى البحر وعرف أنها أمواجه والأمواج لا تحقق لها بأنفسها قال بأنها أعدام ظهرت بالوجود فليس عند إلا الحق سبحانه وما سواه عدم يخيل أنه موجود متحقق فوجوده خيال محض والمتحقق هو الحق لا غير، لذلك قال الجنيد قدس سره: هو الآن كما كان عند سماعه حديث رسول الله ﷺ كان الله و لم يكن معه شيء.

ولله در الشيخ مؤيد الدين الجندى حيث قال:

البحر بحر على ما كان فى قدم	إن الحوادث أمواج وأنهار
لا يحجبنك أشكال تشاكلها	عمن تشكل فيها فهى أستار

انتهى منه بلفظه.

وقال القاشانى فى " لطائفه " فى الكلام على أغمض المسائل ما نصه: اعلم أنه لما كان الأمر لا يخلو عن أحد قسمين وهو أنه إما أن يقال بأن ما ثمة موجود إلا الله كما تقتضيه قاعدة الكشف أو يقال بأن مع الله موجودا آخر لكن الله موجود لذاته والممكنات موجودة به كما تقتضيه قواعد العقل من جهة نظره وفكره وما ثم أمر زائد على هذين القولين لكن القول الثانى [١١٨] يرجع عند التحقيق إلى الأول لأن الوجود الذى صارت به الممكنات موجودة فى زعم صاحب النظر العقلى لا يصح أن يكون ممكنا وإلا لما أفادها وجوداً لأنها إذا كانت إنما افتقرت من جهة إمكانها فكيف يزول فقرها بجهة إمكانية أيضاً فلم يبق إلا الوجود الحق الواجب فمن انكشف له هذا وعلم بأن حقيقة الحق لا يصح عليها الانقلاب إلى حقيقة الخلق ولا العكس علم أن الحق هو الموجود أزلا وأبدا بلا تبدل وإن الممكنات أعيان ثابتة أزلا وأبدا بلا تبدل،

وإنما يظهر الحق بأحكامها وهذا الذى ذكرناه هو ذوق الكمال وبلسانه فمتى أخبر مخبر من أهل الله بما يخالف هذا بحيث يفهم من كلامه أن الأعيان ظهرت أو وجدت أو أنه ينبغى لها ذلك فإنما ذلك بمعنى أن الوجود الحق ظهر بأحكامها أو أن يكون ذلك القول منه بحسب الأذواق المقيدة ببعض المراتب وبلسانها فافهم ذلك انتهى منه بلفظه.

وقال أيضاً فى الكلام على التجلى السارى فى جميع الذدارى قال ويقال له التجلى المضاف ويقال له التجلى المفاض ما نصه: ويعنى بالكل الوجود الذى به صارت جميع الممكنات موجودة وهو وجود واحد لا اثنينية فيه فى قاعدة الكشف بخلاف ما يظنه أكثر علماء الرسوم من أن للممكنات الموجودة وجودات متعددة وهى أعراض لها وذلك لأن ما به يتحقق حقيقة الشيء فى الوجود لا يصح أن يكون عرضا له بل ولا يصح أن يكون أمرا ممكنا إذ الجهة الإمكانية لا تقتضى الوجود وبهذا يعلم أن حقيقة [١١٩] الوجود ليس غير الوجود الواجبى عز شأنه انتهى منه بلفظه أيضاً.

فإن قلت كيف يقول أهل الله تعالى وأهل الكشف أنه لا موجود إلا الله ونحن نرى زيدا وخالدا والأرض والسماء وغير ذلك من المخلوقات.

قلنا لما أجمع ما سوى الله على أن وجود ما سواه إنما هو بوجوده وإيجاده رد العارفون ما هو لله إلى الله وقالوا لا موجود إلا هو سبحانه إذ كان وجود كل ما عداه منطوياً فى وجوده.

الجواب الثانى: أن مرادهم بها وحدة الشهود وذلك أن العارف لما بدت له أنوار الذات العلية من غير تشبيه ولا تكييف وأشرق عليها شعاعها وغلب على قلبه شهودها وتمكن من بصيرته وجودها غاب عنه عند شهودها شهود كل ما سواها من جمع الكائنات مع وجودها نظير النجوم فإنها ثابتة ولكنها تغيب عند بدو الشمس قال بعض ومن زعم أن وحدة الوجود غير وحدة الشهود لم يشم رائحة معنى الوحدة انتهى.

وفى " الإحياء " فى كتاب التوحيد والتوكل بعد ما ذكر فيه أن التوحيد له أربع مراتب والرابعة أن لا يرى فى الوجود إلا واحداً وهى مشاهدة الصديقين وتسمية

الصوفية الفناء فى التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً لا يرى نفسه أيضاً وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا فى التوحيد كان فانيا عن نفسه فى توحيده بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق ما نصه: فإن قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحداً وهو يشاهد السماء والأرض [١٢٠] وسائر الأجسام المحسوسة وهى كثيرة فكيف يرى الكثير واحداً فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر فى كتاب فقد قال العارفون إفشاء سر الربوبية كفر ثم هو غيرَ متعلق بعلم المعاملة نعم؟ ما يكسر صولة استبعادك لممكن وهو أن الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الإنسان كثير الالتفات إلى روحه وجسمه وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ تقول إنه إنسان واحد فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد وكم من شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه فى حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق فى واحد ليس فيه تفرق وكأنه فى عين الجمع والملتفت إلى الكثرة ناظراً فى تفرقه فكذلك كل ما فى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد وباعتبارات أخر سواه كثير بعضها أشد كثرة من بعض ثم قال: وهذه المشاهدة التى لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تظهر كالبرق الخاطف وهو الأكثر والدوام نادر عزيز انتهى وراجعها.

واعلم أن الموجودات لما كانت مظاهر الحق تعالى ومنازل تدليه ومرائى تجليه على تفاوت درجاتها ومراتب تعيناتها انقسم الناس فى [١٢١] واجب الوجود الآمر الناهى ولا يجب عليه شيء بإجماع العقلاء وليس للعبد من حيث ذاته لأنه عدم لنفسه وتكليف العدم ممتنع وإنما هو له من حيث أنه موجود بالله تعالى متنور بنور الوجود الحق فإن كل موجود وإن ظن فى نفسه عدماً له وجه إلى الموجود الواجب بالذات به فليس موجوداً صالحاً لقبول التكليف من حيث اتصافه بالقدرة والإرادة والعلم والحياة

عن تجلى تلك الصفات الوجودية عليه وملاحظة هذا المعنى هو الإخلاص الخاص بالخواص وعظيم الأعمال فتدبره والله أعلم.

قال العارف بالله سيدى عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى فى " إيضاح المقصود " وأما القائلون بوحدة الوجود من الجهلة الغافلين والزنادقة الملحدين الزاعمين أن وجودهم المفروض المقدر هو بعينه وجود الله تعالى وذواقم المفروضة المقدرة هى بعينها ذات الله تعالى وصفاقم المفروضة المقدرة هى بعينها صفات الله تعالى الذين يحتالون بذلك على إسقاط الأحكام الشرعية عنهم وإبطال الملة المحمدية وإزالة التكاليف عن نفوسهم فالطعن عليهم بسبب القول بوحدة الوجود على هذا المعنى الفاسد طعن صحيح وعلماء الظاهر مثابون بذلك كمال الثواب من الملك الوهاب، والعارفون المحققون معهم فى هذا الطعن من غير خلاف.

وقد أشار إليهم الشيخ عبد الكريم الجيلى قدس سره فى كتابه المسمى " شرح الخلوة " فى أوائله من الوصايا حيث قال: يا أخى رحمك الله [١٢٢] شهودهم للحق بحسبها إلى ثلاثة أقسام فأهل الحجاب انحجبوا بصورة العالم عن رؤية معناه المقيم لها وهو الوجود الحق وأهل الشهود الحالى المستهلكون فى الله نفوا وجود العالم و لم يقروا بوجود شيء سوى الحق تعالى وأهل كمال الشهود شهدوا الحق فى مجاليه فصارت مراتب رؤية الحق بحسب مظاهره منحصرة فى هذه المراتب الثلاث والثانية منها وهى مرتبة شهود حق بلا خلق حال أهل وحدة الشهود والثالثة وهى شهود خلق قائم بحق حال أهل وحدة الوجود عند من يقول بمغايرقما لوحدة الشهود والله أعلم.

وقول بعض الصوفية الحق ذات كل شيء والمحدثات أسماؤه معناه أن الحق تعالى هو المقيم للأشياء كلها والموجد لها ولا يقيمها ويحققها إلا هو فلما كان وجودها وبقاؤها بالاستناد إليه تعالى ولا يصح لها وجود ولا بقاء بدونه أصلاً أطلق عليه ذاقا وأما كونها أسماءه فلأنها تدل عليه دلالة لازمة ذاتية لها كما هو شأن دلالة المفعول على الفاعل والاسم ما دل بذاته على ما وضع له فمن ثم سموا المحدثات أسماء لقيومها الذى أوجدها ومعنى ذلك أنها تدل عليه وتشير كلها بالوحدانية الحقيقة إليه كما قيل:

وفى كـــــل شـــــىء له آيـــــة تـــدل عـــلى أنـــه الواحـــد

راجع " الطبقات الشعرانية " فى ترجمة سيدى على بن وفا، وأما لغز الشيخ محيى الدين السابق فجوابه أن التكليف ليس للرب تعالى لأنه [١٢٣] قد سافرت إلى أقصا البلاد وعاشرت أصناف العباد فما رأت عينى ولا سمعت أذنى أشر ولا أقبح ولا أبعد عن جنات الله تعالى من طائفة تدعى أنها من كمل الصوفية وتنسب نفسها إلى الكمال وتظهر بصورهم ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر لا تتقيد بالتكاليف الشرعية وتقرر أحوال الرسل وما جاءوا به بوجه لا يرتضيه من فى قلبه مثال ذرة من الإيمان فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم فى بلاد أذربيجان وشروان وجيلان وخراسان لعن الله جميعهم فالله الله يا أخى لا تسكن فى قرية فيها واحد من هذه الطائفة لقول الله تعالى ﴿ **وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً** ﴾ [الأنفال: ٢٥] وإن لم يتيسر لك ذلك فاجهد أن لا تراهم ولا تجاورهم فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم وإن لم تفعل فما نصحت نفسك والله الهادى انتهى كلامه هذا عن القائلين بوحدة الوجود على حسب ما ذكرناه من المعنى الفاسد ولكن علماء الظاهر إذا ترقوا من الطعن فى هؤلاء الرعاع السفلة المارقين من الدين مروق السهم من الرمية إلى الطعن فى تلك السادة الأئمة العارفين المحققين بظنهم أنهم يقولون بوحدة الوجود مثل قولهم كان ذلك أمرا شنيعا فى الدين ولا يرضى به من يؤمن بالله واليوم الآخر فإن السادة الأئمة العارفين كتبهم ومصنفاتهم مشحونة بإثبات الوجود الحادث المفروض المقدر صريحا وإشارة والحكم بأنه غير [١٢٤] الوجود القديم وإن كانوا قائلين بوحدة الوجود انتهى المراد منه بلفظه والله أعلم.

وهنا انتهى ما جر إليه الحال وإن لم يكن ابتداء فى القصد والبال . . .

فهذه النصوص المتقدمة كالآيات والأحاديث والآثار السابقة كلها تدل على أن الإحاطة به تعالى وبما لدية من الصفات والنعوت والأسماء متعددة على كل مخلوق ولو بلغ ما بلغ وأنها غير حاصلة لأحد لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ولو لسيد الخلق ﷺ.

وأما قول بعض العارفين وهو الشيخ شرف الدين أبو حفص عمر بن الفارض وقد سأله الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم الجعبرى وذلك وقت أن كان الشيخ أبو حفص محتضرا فقال له يا سيدى هل أحاط أحد بالله علماً؟ فنظر إليه نظر معظم له وقال له نعم إذا حوطهم يحيطون يا إبراهيم فتقدم عن العارف بالله الشعرانى فى كتابه " كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان ": أنه على سبيل الفرض والتقدير وأنه لم يبلغه حصول هذا المقام لأحد وقال غيره معناه أنه إذا أعلمهم بأنه لا يحاط به وأطلعهم على ذلك شهودا وذوقا فإنهم يحيطون به أى يعلمون بالشهود والذوق أنه لا يحاط به بوجه من الوجوه ولا فى حال من الأحوال.

قلت [١٢٥] أو يكون محمولاً على إحاطة ما نسبية يمكن حصولها للعبد وعلى كل حال فليس على ظاهره وحصول الإحاطة الحقيقية لأحد كان ما كان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا كما أن معرفته تعالى بالكنه والحقيقة لم تحصل ولا تحصل لأحد لا دنيا ولا آخرة كما تقدم فى كلام غير واحد وهو مذهب الصوفية أجمع من غير خلاف بينهم وتقدم من نصوصهم فيه ما فيه كفاية.

وأما المتكلمون فلهم ها هنا خلاف فى جواز ذلك وفى وقوعه فى الدنيا والآخرة والمحققون منهم على عدم الوقوع فى الدنيا لا للبشر ولا لغيرهم من جميع المخلوقين.

وذهب كثير منهم أو أكثرهم إلى الوقوع بأن الخلق مكلفون بالعلم بوحدانية الله تعالى وذلك متوقف على العلم بحقيقته.

قال الجلال المحلى وغيره وأجيب بمنع التوقف على العلم به بالحقيقة وإنما يتوقف على العلم به بوجه وهو تعالى يعلم بصفاته كما أجاب بها موسى عليه الصلاة والسلام فرعون السائل عنه تعالى كما نص علينا ذلك بقوله تعالى ﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢٣] ...واختلفوا هل يجوز عقلاً علمها فى الآخرة؟

فقال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها وبعضهم لا والرؤية ولا تفيد الحقيقة لأنه يرى على خلاف الرؤية المعتادة بلا كيف ولا جهة ولم يرجح ابن السبكى ولا الجلال المحلى شيئا، وقال شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى: الصحيح أنه لا سبيل للعقول إلى

علمها وأقره عليه جماعة ممن نقله ونص التاج فى " جمع الجوامع " فى هذه المسألة [١٢٦] حقيقته مخالفة لسائر الحقائق قال المحققون ليست معلومة الآن واختلفوا هل يمكن علمها فى الآخرة انتهى.

قال الكمال ابن أبى شريف ثم لا يخفى أن قولهم ليست معلومة الآن يعنون فى الدنيا إنما هو كلام فى الوقوع وقولهم واختلفوا هل يمكن علمها فى الآخرة كلام فى الجواز العقلى انتهى.

وهو إشارة لإشكال كلام ابن السبكى السابق التابع لكلامهم وهو كذلك فإنه مشكل والصواب أن الخلاف فيهما جوازا ووقوعا وميل المحققين من المتكلمين فيهما إلى الجواز مع عدم الوقوع.

وعبارة العلامة اليوسى فى " حواشيه على شرح الكبرى " هى ما نصه: نسب السعد القول بعدم حصول العلم بحقيقة الله لكثير من المحققين ونسب القول الآخر لجمهور المتكلمين وعبارته فى شرح " المقاصد ": اختلفوا فى العلم بحقيقة الله تعالى للبشر قال أى معرفة ذاته بكنه الحقيقة فقال بعدم حصوله كثير من المحققين خلافا لجمهور المتكلمين ثم القائلون بعدم الحصول جوزوه خلافا للفلاسفة انتهى قال أعنى اليوسى: وقد ظهر من كلام السعد أن الخلاف عند المتكلمين إنما هو فى الوقوع لا فى الجواز وعدم الجواز إنما هو عند الفلاسفة وهو ظاهر كلام المصنف يعنى السنوسى انتهى.

وقال فيها أيضاً ما نصه: اختلفوا إذا رئى الله تعالى فى الآخرة هل تعلم حقيقته أما لا وقد تقدم الخلاف فى أن حقيقته تعالى هل تعلم فى الدنيا فمن جوزها فى الدنيا ففى الآخرة أحرى ومن منع ذلك فى الدنيا اختلف هل يقع العلم فى الآخرة والصحيح أن الرؤية لا تستلزم [١٢٧] الوقوع ثم ساق كلام صاحب قطب العارفين شاهدا على ذلك فانظره.

وفى " شرح رسالة ابن أبى زيد القيروانى " للقاشانى لدى قولها لا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون ما نصه: قال بعض الشراح يفهم من كلام الشيخ

نفى العلم بالحقيقة واختاره جماعة من المتكلمين، وقال الجنيد ﷺ: لا يعرف إلا الله واختاره أكثر المتأخرين وإليه ذهب الضرير وكان من المحققين، وأنكر القاضى أبو بكر هذا القول ورده وتبعه الإمام أبو المعالى فى طائفة وقال: البارى تعالى يعلم والعلم يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه فلو تعلق العلم به على خلاف ما هو به لكان العلم جهلا وقد أجمعت الأمة على وجوب معرفة الله ولو كانت مستحيلة لما أجمعت عليه، قيل وهو خلاف فى حال فإن من أثبت العلم بالحقيقة مقر بأنه تعالى لا يحاط به ومن نفى مقر بأنه تعالى عرفه العارفون بدلالة الآيات وتحققوا اتصافه بواجب الصفات وتيقنوا تنـزيهه عن التشبيه بالمحدثات وتقديسه عن الحدود والكيفيات قال الأستاذ أبو الحجاج الضرير رحمه الله:

والنفى للعلم بذى الحقيقة	مثبت من هذه الطريقة
ولا يحيط عارف بذاته	علما كما قال ولا صفاته
ولو رآه خلقه تعالى	لأكثروا الإعظام والإجلال
فدل ذاك أنه على صفة	من الكمال لم تنلها معرفة [١٢٨]

انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ زروق فى شرحها أيضاً لدى قولها إثر ما تقدم: يعتبر المتفكرون فى آياته ولا يتفكرون فى مائية — أى حقيقة ذاته – بعد ذكر الخلاف فى إطلاق المائية والحقيقة على الله تعالى ما نصه: واختلفوا هل يمكن تعلقها فقال المحققون ليست حقيقة ذاته معلومة لنا فى الدنيا واختلفوا هل يمكن علمها فى الآخرة قال فى " المباحث ": حقيقة واجب الوجود وما يجب له من صفات الكمال ونعوت الجلال غير ممكنة الحصول لنفوسنا زاد الآمدى لقوله تعالى ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ علماً ﴾ [طه: ١١٠] وعزا استحالة ذلك لإمام الحرمين والغزالى وعزاه الإمام لجمهور المحققين وهو الذى يدل عليه كلام المتصوفة كالجنيد وغيره.

وذهب بعض المتكلمين إلى أنها معلومة محتجين بأنا نعلم وجوده ووجود نفس ذاته واختار الفهرى الوقف فأما فى الدار الآخرة فقال قوم بالإمكان.

وفى " شرح الإرشاد " للشريف عن القاضى المنع وللإمام والآمدى عنه الوقف والله أعلم انتهى بلفظه أيضاً من " شرح سلم العلوم فى علم المنطق " لأبى العياش محمد عبد العلى اللكنوى الحنفى وهو الملقب ببحر العلوم فى أوله ما نصه: وها هنا برهانان عرشيان يعنى عاليين عظيمين على امتناع تصوره تعالى بكنهه الأول ما أفاده الشيخ الأكبر والإمام الأعظم سند الأولياء والأتقياء معدن الهداية خاتم فص الولاية حسنة من حسنات سيد المرسلين الذى كان وليا أى بالفعل عالماً بولايته وآدم بين الماء والطين [١٢٩] الشيخ محيى الملة والدين محمد بن العربى قدس سره ﷺ فى " فتوحاته المكية ": من أنه تعالى يخالف المخلوقات ولا نسبة بينه وبين خلقه البتة وكيف يشبه من لا يقبل المثل من يقبل المثل فالعلم بالله تعالى عزيز عن إدراك العقل والنفس إلا من حيث أنه موجود تعالى وتقدس وكل ما يتلفظ به فى حق المخلوقات أو يتوهم فى المركبات وغيرها فالله تعالى فى نظر العقل السليم بخلاف ذلك لا يجوز عليه ذلك التوهم انتهى ملخصا هذا كلام متين يعجز عن فهمه إلا من أتى الله بقلب سليم.

قلت وقد ذكره الشيخ الأكبر أول الباب الثالث فى " تنـزيه الحق تعالى " فلتراجع عبارته ثم قال أبو العياش: الثانى ما نقل عن المعلم الأول أرسطاطاليس أنه سبحانه جلى غاية الجلاء بحيث لا جلاء فوقه فيتحير العقل ويمتنع عن تمام إدراكه كالنور إذا اشتد يمنع البصر عن الرؤية ثم إنهم بعد الاتفاق على عدم وقوع تصوره بكنهه اختلفوا فمنهم من اقتصر على ذلك وجوز إمكانه وهو يلوح من كلام الشيخ الرئيس يعنى أبى على بن سينا وقال الإمام يعنى فخر الدين الرازى عليه الرحمة بالاستحالة وهو مذهب قدماء الفلاسفة والصوفية الصافية كثرها الله تعالى وهكذا نقل عن إمامنا الأعظم إمام الأئمة الباذل جهده فى إعلاء السنة وقمع البدعة أبى حنيفة - رحمه الله - الكوفى والدلائل المذكورة تعطى امتناعه بالذات وهو - الصواب [١٣٠] انتهى منه بلفظه.

وبه وبكلام زروق قبله نعلم ما فى قول اليوسى أخذاً من كلام السعد أن عدم الجواز إنما هو عند الفلاسفة كما أنه بكلام اليوسى وما بعده تعلم ما فى قول أبى

العياش أنه اتفق على عدم وقوع تصوره تعالى بكنهه فإنه لا اتفاق بل جمهور المتكلمين على الوقوع كما فى كلام السعد المتقدم، إلا أن يريد اتفاق الصوفية والحكماء والله أعلم.

– نصوص أهل الله –

وهذه نصوص أهل الله تعالى المعلنه بما نقلناه عنهم قبل من هذا المطلوب ونسبناه إلى جنابهم من ذلك التفصيل المحبوب.

فنقول رأيت فى رسالة لبعض العارفين من المتأخرين أثناء كلام له فيها فى العلم النبوى بعد ما قرر أنه عليه الصلاة والسلام مرسل لجميع العوالم وأنه أعطى كل ما يحتاجون إليه من الشئون التدبيرية كل ذرة من العوالم على حدتها وأنه أعطى العلم بها وبمراتبها وأسمائها وجميع شئونها قبل وجودها وبعد الوجود ثم بعده لم تكن لها تلق فى سائر ما تحتاج إليه إلا منه ﷺ فكانت برزخيته منسحبة على جميع الخلق وهو يتلقى من حضرة الحق ما نصه فله ﷺ الإحاطة بجميع معلومات العلم القديم من حيث الكون وأما من حيث ذات الحق تعالى فعلمه ﷺ بها لا يشم له أكابر الأنبياء والرسل رائحة ، وأما كنهها ففى القرآن ﴿ **لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ أى لا تحيط به ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾ [الأنعام آية: (٩١)] انتهى منها بلفظها.

وفى " روح البيان " لدى قوله تعالى ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ الآية [١٣١] ما نصه: وفى " التأويلات النجمية " قلت وهى للعارف بالله نجم الدين محمد بن محمد الكبرى يعلم محمد ﷺ ما بين أيديهم من الأمور الأوليات قبل خلق الخلائق كقوله: أول ما خلق الله نورى، وما خلفهم من أهوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الأنبياء وقولهم نفسى نفسى وحوالة الخلق بعضهم على بعض حتى بالاضطرار يرجعون إلى النبى ﷺ لاختصاصه بالشفاعة ولا يحيطون بشيء من علمه يحتمل أن تكون الهاء كناية عنه عليه السلام يعنى هو شاهد على أحوالهم يعلم ما بين أيديهم من سيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وما خلفهم من أمور الآخرة

وأحوال أهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيئا من معلوماته إلا بما شاء أن يخبرهم عن ذلك انتهى.

ثم قال فى " روح البيان " بعد كلام ذكر فيه قول البوصيرى:

وكلهم من رسول الله ملتمس ...

البيتين ما نصه: حاصله أن علوم الكائنات وإن كثرت بالنسبة إلى علم الله عز وجل بمنـــزلة نقطة أو شكلة ومشربها بحر روحانية محمد ﷺ فكل رسول ونبى وولى آخذون بقدر القابلية والاستعداد معا لدية وليس لأحد أن يعدوه أو يتقدم عليه انتهى.

ومثله بحروفه ذكره شارحها الشيخ محيى الدين محمد بن مصطفى المعروف بالشيخ زاده وقال فى " روح البيان " أيضاً لدى قوله فى سورة ن ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ٢] ما نصه: وفى " التأويلات النجمية ": ما أنت بنعمة ربك بمستور [١٣٢] عما كان من الأزل وما سيكون إلى الأبد لأن الجن هو الستر وما سمى الجن جنا إلا لاستتاره من الإنس وأنت عالم بما كان، خبير بما سيكون، ويدل على إحاطة علمه قوله عليه الصلاة والسلام: فوضع كفه على كتفى فوجدت بردها فى ثديى فعلمت ما كان وما سيكون انتهى.

وفى نقش الفصوص فى الفص المحمدى ما نصه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير :٢٢]أى ما ستر عنه شيء قال شارحه الجامى فى " نقد النصوص ": ﴿وَمَا صَاحِبُكُم ﴾ يعنى محمدا ﷺ ﴿ بِمَجْنُونٍ ﴾ من الجنون بمعنى الستر أى ما ستر عنه شيء إذ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء من حيث حقيقته وإن كان يقول أنتم أعلم بأمور دنياكم من حيث بشريته انتهى منه بلفظه.

وفى " التنبيهات التى هى على علو الحقيقة المحمدية " مقالات وهى رسالة لطيفة فى نحو من نصف كراسة اشتملت على أحد وعشرين تنبيها و لم أقف الآن على اسم مؤلفها فى التنبيه العشرين فى بيان المعانى المرادة من حديث وضع الحق تعالى يده الشريفة بين كتفيه ﷺ حتى أحس ببرد أنامله بين ثدييه فعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما نصه: اعلم أن الحق تعالى منـــزه عن اليد الحسية وأناملها وإنما هى يد

امتنان واصطفاء بإفاضة الأنوار النبوية والرسالة والولاية على جوهره حتى شاهد بتصيرته وبصره العوالم كلها أولها وآخرها ظاهرها وباطنها كلياتها وجزئياتها دنيا وأخرى ولذلك أخبرنا ﷺ بالأوائل والأواخر بما كان [١٣٣] وبما يكون فى الدنيا والآخرة لأن الحضرات الكونية صارت أمام بصيرته وبصره حتى أنه ﷺ كان يرى من وراءه كما يرى من أمامه، وإنما خص وضع اليدين على الكتفين لأن النور الإلهى لا يأتى إلى من خصصه الله تعالى به إلا من وراءه، وأما برد الأنامل التى أحس بها بين ثدييه ﷺ فهو عبارة عن اللذة التى حصلت له بما كشفه الله تعالى له من الأمور الغيبية وظهورها له وهذا كله إنما هو بمقتضى مرتبته وأما من حيث بشريته فقال: إنى أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

وأمثال ذلك من الستر عليه فى بعض الأمور إنما هو لأمر عارض اقتضاه الحكم الإلهى ولذلك قال ﷺ لست أنسى ولكن أنسى لأسن انتهى منها بلفظها.

وقد نقلها بتمامهاحضرة الأستاذ العلامة المتعلق بالجناب النبوى المداح له الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى متع الله به فى كتابه " جواهر البحار " فارجع إليها فيه.

قلت وحديث: إنى أمرت أن أحكم بالظاهر. ذكره القاضى أبو بكر بن العربى فى " أحكامه " بلفظ: إنما أمرت بالظاهر. بل وذكره النووى أيضاً فى " شرح مسلم " وكثير من الشافعية ولكن جزم العراقى بأنه لا أصل له يعنى من كلام الرسول ﷺ وكذا أنكره الحافظ المزى وغيره يعنون من حيث اللفظ وإن كان صحيح المعنى مؤسس المبنى راجع " المقاصد الحسنة " للسخاوى فى أمرت.

وفى كتاب " كنــــز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية [١٣٤] الغيبية " للسيد شيخ بن محمد الجفرى العلوى بعد كلام له ما نصه: وبهذا يقع مزيد البيان فى تقرير معجزته ﷺ بكونه أوتى علم الأولين والآخرين ممن تقدمه فى الصورة وعاصره ولحقه إلى يوم الدين وقوله السابق أوتيت علم الأولين والآخرين فكل ناطق من الأولين السابقين فعنه وبه وله وكل ناطق من الآخرين والمعاصرين كذلك فلذا توقف كل محدث إلى آخر الدهر على ورود أمره عليه من الأولين والآخرين فهو بتقريره يقرر

أولاً وآخراً فما خرج عنه شيء ولا شذ منه شيء مما تقدم أو تأخر كما مر فكل هذه العلوم الآدمية أولاً وآخرا من علومه إلى أن قال فالرسول محيط بالأولين والآخرين من عامة الأمة أجمعين وشاهده أيضاً حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما أنه ﷺ الأول خلقاً وأن جميع الأشياء مخلوقة منه من أولها إلى آخرها حسها ومعناها إنسا وجنا وملكا وملكا وسماء وأرضا وجنة ونارا ونورا ومعرفة وإقرارا وجحودا كما هو فى علمه ﷺ قال تعالى ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا** ﴾ [النساء: ٤١] فهو الشهيد على الكل من المتقدمين والمتأخرين بشهادة الله به عليهم لقوله وجئنا بك على هؤلاء الحاضرين ولا تكون الشهادة إلا بالعلم فلهذا علم علم الأولين والآخرين وإلا فكيف يشهد بما لا يعلم ومن المشار إليهم بهؤلاء من كان قبل ظهوره فى عالم الصورة البشرية [١٣٥] ومنهم من عاصره ومنهم من أتى بعده وهو شهيد على الكل فلو لم يكن المحيط بهم والحاضر بالحقيقة لديهم وإن غاب بالصورة لما تأتت الشهادة وهى شهادة فى شهادة فتأمل.

وقال تعالى ﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا** ﴾ [الزخرف: ٤٥] فلو لم يكن الكل عنده حاضراً لما أمكنه السؤال أيضاً فتأمل انتهى منه بلفظه.

وقال الشيخ العلامة العارف بالله وجيه الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس - نـــزيل مصر المتوفى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف وهو أحد أشياخ السيد مرتضى الزبيدى شارح " الإحياء " والعلامة الأمير الكبير وغيرهما - فى شرحه لصلاة أبى الفتيان أحمد البدوى المعروفة بشجرة الأصل النورانية وهو المسمى بـــ " فتح الرحمن فى شرح صلاة أبى الفتيان " لدى قوله فيها: ومعدن الأسرار الربانية بعد ما ذكر أن الصحيح أنه ﷺ أوتى علم كل شيء حتى الخمس حسبما تقدم ذلك عنه ما نصه: ومع هذا فقد قال ﷺ أحمد ربى بمحامد يوم القيامة لا أعلمها الآن هذا وقد أمره الله بأن يقول ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ [طه: ١١٤] فبان بذلك أنه لم يزل فى كل نفس مترقياً فى الكمالات والعلوم التى لا تتناهى انتهى منه بلفظه، وهو إشارة إلى الترقى فى علوم الذات وكمالاتها وأسرارها لعدم نهايتها وعدم الإحاطة بها لغير الله

تعالى وقال أيضاً بعد هذا لدى قوله: وخزائن العلوم الاصطفائية ما نصه: وذلك لما كانت الروح المحمدية مشتملة على الخلافة [١٣٦] بالتبعية كان لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء من حيث مرتبته وإن كان يقول أنتم أعلم بأمر دنياكم من حيث بشريته فهو ملكوتى الباطن بشرى الظاهر وهذه الرتبة لها الإحياء والإماتة واللطف والقهر والرضى والسخط وجميع الصفات لتتصرف فى العالم وفى نفسها وبشريتها أيضاً لأنها منه وبكاؤه ﷺ وضجره وضيق صدره لا ينافى ما ذكرته فإنه بعض مقتضيات ذاته وصفاته إلى أن قال: هذا ومما يحسن كتابته لمناسبته لما فى الأصل قوله ﷺ وضع ربى يده بين ثديي من غير تكييف ولا تحديد فوجدت بردها بين كتفى فأورثنى علم الأولين والآخرين وقول بعض ذريته وورثته وهو سيدى عبد القادر الجيلى نفع الله به أن النبى ﷺ فتح فاه ليلة الإسراء وقطرت فيه قطرة من بحر العلم الأزلى فعلم بها ما هو كائن أو كان انتهى المراد منه بلفظه.

قلت أما حديث وضع اليد بين الثديين أو بين الكتفين الواقع ليلة الإسراء وهو مراده هنا فتقدم الكلام عليه وأنه نقله أبو الحسن بن غالب فى كتاب " أحاديث الحجب " عن أبي الربيع بن سبع فى شفاء الصدور من حديث ابن عباس عن على وتقدم قول الحافظ الشامى فيه أنه كذب، وأما كلام الشيخ عبد القادر ﷺ فأصله فى رواية أخرى من حديث ابن عباس المذكور فى حديث الإسراء وذلك أنه وقع فيها أنه عليه السلام قال: ثم احتملت حتى وصلت إلى العرش فلما رأيت [١٣٧] العرش اتضح كل شيء عند العرش ثم إن الله تعالى بحوله وقوته وتمام نعمته علىَّ قربنى عند العرش فأبصرت أمرا عظيما لا تناله الألسن فسألت إلهى أن يمن على بالثبات حتى أستتم نعمته فمن الله على وقوانى لذلك ثم دلى لى قطرة من العرش فوضعت على لسانى فما ذاق الذائقون شيئا قط أحلى منها فأنبأنى الله بها نبأ الأولين والآخرين ونور

قلبى وغشى نور عرشه بصرى فلم أر شيئا فجعلت أرى بقلبى ولا أرى بعينى يعنى [بصيرته] بدليل ما بعده ورأيت من خلفى ومن بين كتفى كما رأيت أمامى... الحديث.

قال فى " المواهب " رواه أى ذكره والذى قبله فى كتاب " شفاء الصدور " كما ذكره ابن غالب والعهدة فى ذلك عليه انتهى.

قال فى شرحها: قال الشامى بعد نقل كلام المصنف هذا وهو كذب بلا شك انتهى.

والشيخ عبد القادر كأنه علم صحته كشفاً فلذلك أورد الكلام بصيغة الجزم وإن كان لم ينسبه للحديث ويؤيد ذلك ذكر غير واحد من الأولياء الكبار له كالشيخ القطب سيدى المختار بن أحمد الكنتى فى كتابه " نــزهة الراوى وبغية الحاوى " فى الباب الخامس فى بدء الوحى والإسراء لكنه نسبه لتخريج أبى الشيخ ابن حبان فى كتاب " العظمة " فلتحرر هذه النسبة إن لم يكن وقع فى الكلام سقط أو تحريف والله أعلم.

وفى " الفتوحات " فى الباب العاشر فى معرفة دور الفلك بعد ما ذكر فيها أنه عليه الصلاة والسلام الملك والسيد على جميع بنى آدم وأن جميع من تقدمه كان ملكا له وتبعا والحاكمين [١٣٨] فيه نواب عنه وأن الإنسان هو الكلمة الجامعة ونسخة العالم وأنه الآخر فى الخلق والخليفة على هذه المملكة وأنه إنما وجد أخيرا ليكون إماما بالفعل حقيقة لا بالصلاحية والقوة فعند ما أوجد عينه لم يوجده إلا واليا سلطانا ملحوظا وأنه جعل له نوابا حين تأخرت نشأة جسده ما نصه: فأول نائب كان له وخليفة آدم عليه السلام ثم ولده واتصل النسل وعين فى كل زمن خلفاء إلى أن وصل من نشأة الجسم الطاهر المحمدى ﷺ فظهر مثل الشمس الباهرة فاندرج كل نور فى نوره الساطع وغاب كل حكم فى حكمه وانقادت جميع الشرائع إليه وظهرت سيادته التى كانت باطنة فهو ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الحديد: ٣] فإنه قال: أوتيت جوامع الكلم [١]، وقال عن ربه: ضرب بيده بين كتفى

---

(١) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد(١/١٧٣)وقال رواه أبو يعلى وفيه عبد الرحمن بن إسحاق ضعفه أحمد وجماعة.

فوجدت برد أنامله بين ثدي فعلمت علم الأولين والآخرين فحصل له التخلق والنسب الإلهي من قوله تعالى عن نفسه ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[الحديد: ٣] وجاءت هذه الآية فى سورة الحديد الذى فيه بأس شديد ومنافع للناس فلذلك بعث ﷺ بالسيف وأرسل رحمة للعالمين انتهى منه بلفظه.

- أسماء الله التى سمى بها نبيه ﷺ -

قلت الأول والآخر والظاهر والباطن والعليم أسماء إلهية سمى الحق تعالى بها نفسه فى كتابه وهى مما سمى به النبى ﷺ من أسماء الله تعالى لكن معانيها بالنسبة إليه ﷺ غير معانيها [١٣٩] بالنسبة إلى الله تعالى ككل ما سمى به النبى ﷺ من أسماء الله تعالى.

فمعنى الأول بالنسبة إليه ﷺ المتقدم الذى لم يسبقه أحد من الخلائق فى الخلق ولا فى فضيلة من الفضائل ومعنى الآخر المتأخر عن غيره من الأنبياء فى الدنيا وفى البعث إلى الخلق.

وقد أخرج ابن عساكر فى " تاريخه " عن أبى هريرة مرفوعاً لما خلق الله آدم خبره بنيه فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض فرأى نورا ساطعا فى أسفلهم فقال يا رب من هذا قال هذا ابنك أحمد هو الأول وهو الآخر وهو أول شافع وأول مشفع. ذكره السيوطى فى جمع الجوامع.

وأخرج ابن سعد فى " طبقاته " عن قتادة مرسلاً كنت أول الناس فى الخلق وآخرهم فى البعث.

وأخرج ابن لال وغيره عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة مرفوعاً كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث.

ومعنى الظاهر الغالب على جميع الظاهرات ظهوره وعلى جميع الأديان دينه.

ومعنى الباطن الذى لا يدرك ولا يعرف لقصور العقل عن معرفته وإدراكه أو المطلع على بواطن الأمور وحقائق الأشياء بواسطة ما يلقيه الله إليه وأسراره وأنواره.

ومعنى العليم الذى له كمال العلم وثباته.

قال فى " شرح المواهب ": سمى به لما حازه من العلم وحواه من الاطلاع على ملكوت السماوات والأرض والكشف عن المغيبات وأوتى علم الأولين والآخرين وأحاط بما فى الكتب المنـــزلة وحكم الحكماء وسير الأمم [١٤٠] الماضين مع احتوائه على لغة العرب وغريب ألفاظها وضروب فصاحتها وحفظ أيامها وأمثالها وأحكامها ومعانى أشعارها مع كلماته فى فنون العلوم ﷺ انتهى.

وأيضا هو ﷺ الأول من حيث مرتبته وحقيقته التى تقصر عقول الخلائق كلهم عن معرفتها وإدراك كنهها، الآخر من حيث صورته الظاهرة وبشريته.

الظاهر: من حيث دعوته وشريعته.

الباطن: من حيث اتصال مدده بجميع المخلوقات وسرايته.

العليم: من حيث علمه بعلوم الأوليين والآخرين من سائر الخلق أجمعين وزيادته.

أو تقول هو الأول بالقصد والإرادة لكونه العين المقصودة والعلة الغائبة من إيجاد العالم ومن شأن العلة الغائبة التقدم فى العلم والإرادة والآخر بالفعل أو تقول بالنشء والإيجاد فى سلسلة الموجودات والظاهر بالصورة الجسمية العنصرية.

والباطن بالروح المتصرفة المدبرة أو تقول بالسورة والمنـــزلة والشرف بالمرتبة التى هى الخلافة العظمى عن الله تعالى العليم بعلوم المخلوقات وبما ليس لغيره من علوم الذات أو تقول هو الأول من حيث الصورة الإلهية والآخر من حيث الصورة الكونية والظاهر بالصورتين والباطن عن الصورة الكونية بما عنده من الصورة الإلهية العليم بما كان ويكون وبما لم يحصل العلم به لبشر سواه والشيخ الأكبر أراد بقوله وهو بكل شيىء عليم أنه عليه السلام أوتى علم كل شيىء كما ورد فى بعض الروايات السابقة أن الله علمه [١٤١] كل شيء يعنى من الأشياء الممكنة وذلك علم الكون كله فإن قلنا إنه أراد به العموم فى كل شيء حمل بالنسبة للذات العلية وأوصافها على العلم الإجمالى المناسب لمقامه الأجلى لا التفصيلى أو الإحاطى فإنه غير ممكن ولا سبيل إليه كما تقدم.

وفى " الفتوحات " أيضاً فى الباب الرابع والثمانين وثلاثمائة بعد ما ذكر فيه أن الحق تعالى لا يكلم عباده ولا يخاطبهم إلا من وراء حجاب صورة يتجلى لهم فيها تكون له تلك الصورة حجابا عنه ودليلاً عليه ما نصه: وتسمى هذه الحضرة التى منها يكون الخطاب الإلهى لمن شاء من عباده حضرة اللسن ومنها كلم الله موسى عليه السلام ألا تراه تجلى له فى صورة حاجته ومنها أعطى ﷺ جوامع الكلم فجمع له فى هذه الحضرة صور العالم كلها فكان علم أسماء هذه الصور علم آدم عليه السلام وأعيانها لمحمد ﷺ مع أسمائها التى أعطيت آدم عليه السلام فإن آدم من الأولين الذين أعطى الله محمدا ﷺ علمهم حين قال عن نفسه أنه أعطاه الله علم الأولين والآخرين ومنها آتى الله دواد الحكمة وفصل الخطاب وجميع الصحف والكتب المنـــزلة من هذه الحضرة صدرت ومنها أملى الحق على القلم الأعلى ما سطره فى اللوح المحفوظ وكلام العالم كله غيبه وشهادته من هذه الحضرة والكل كلام الله فإنها الحضرة الأولى انتهى منه بلفظه أيضاً.

وفيها أيضاً فى الباب الرابع [١٤٢] والتسعين وثلاثمائة ما نصه: والممكن الكامل المخلوق على الصورة الإلهية المخصوص بالصورة الإمامية لابد وأن يكون جامعا لجميع الخير كله ولهذا استحق الإمامة والنيابة العامة فى العالم ولهذا قال فى آدم عليه السلام ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] وما ثم إلا اسم ومسمى وقد حصل علم الأسماء محمد ﷺ حين قال علمت علم الأولين والآخرين فعلمنا أنه قد حصل عنده علم الأسماء فإنه من العلم الأول لأن آدم له الأولية فهو من الأولين فى الوجود الحسى وقال عن نفسه فيما خص به على غيره أنه أوتى جوامع الكلم والكلم جمع كلمة والكلم أعيان المسميات قال تعالى ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ [النساء: ١٧١] وليست غير عيسى فأعيان الموجودات كلها أعيان كلمات الحق وهى لا تنفد فقد

حصل له الأسماء والمسميات فقد جمع الخير كله فاستحق السيادة على جميع الناس وهو قوله: أنا سيد الناس يوم القيامة [١] .

وهناك تظهر سيادته لكون الآخرة محل تجلى الحق العام فلا يتمكن لتجليه دعوى من أحد فيما ينبغى أن يكون لله أو يكون من الله لمن شاء من عباده انتهى منه بلفظاه أيضاً.

وقد فسر الكلم بأعيان المسميات أى مسميات أسماء آدم التى هى أعنى المسميات الموجودات وفسر الشيخ عبد الرحمن الجامى فى " شرحه لفصوص الحكم " جوامع الكلم بأمهات الحقائق الإلهية والكونية الجامعة بجزئياتها قال كما هى يعنى الحقائق مسميات آدم وعليه فمسميات أسماء آدم هى الحقائق الإلهية والحقائق الكونية الظاهرة فى التعين الثانى والمرتبة الثانية التى هى أعنى الحقائق المذكورة [١٤٣] ظلال وصور للشئون الذاتية التى هى اعتبارات الوحدة المندرجة فيها فى التعين الأول والمرتبة الأولى وأسماء آدم هى أسماء تلك الحقائق وهى من البارى تعالى أسماء الصفات التى لها تعلق وارتباط بالكون ومن المكونات أسماء كل مخلوق من العرش إلى ما تحت الأرض وليس المراد بها خصوص الأسماء النازلة وهى التى تشعر بالمسمى فى الجملة كما عليه المفسرون لأنه لا يظهر بذلك كبير خصوصية لآدم عليه السلام وإنما المراد بها الأسماء العالية كما ذكره الشيخ الأكبر ونقله " فى الإبريز " وفى " جواهر المعانى " كل منها عن شيخه وهى التى تشعر بأصل المسمى ومن أى شيء هو وبفائدته ولأى شيء يصلح وبكيفية ترتيبه ووضع شكله وما يطرأ عليه من ابتدائه إلى انتهائه لأنه ما من مخلوق فى الكون إلا وله اسم على قدره فى العظم وبه قوامه إذا سمعه العارف يفهم منه المسمى بجميع أحواله وسائر ما يتعلق به فكان سيدنا آدم عليه السلام يعلم من كل مخلوق من المخلوقات الناطقة والجامدة بمجرد سماع اسمه العالى أو خطوره فى ذهنه كل ما يتعلق به من هذه الأمور المذكورة وهى علوم آدم عليه السلام التى أشار إليها ابن مشيش فى

---

(١) أخرجه البخارى (١٧٤٥/٤، رقم ٤٤٣٥).

قوله: وتنــزلت علوم آدم وهى أيضاً علوم أولاده من الأنبياء والأولياء الكمل كما ذكره فى " الإبريز " نقلاً عن شيخه وأراد بالأولياء الكمل الأفراد الجامعين وهم الأقطاب الخلفاء قال وإنما خص آدم بالذكر لأنه أول من علم [١٤٤] هذه العلوم ومن علمها من أولاده فإنما علمها بعده انتهى.

وعلى هذا فالكلية فى قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] هى إحاطته بجميع متعلقات الكون حتى لا يشذ عليه منها شيء وإن شئت قلت هى إحاطته بجميع الأسماء الكونية وكذا الإلهية التى بها نظام الكون ومما يشهد له قوله ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ ﴾ [البقرة: ٣١]لأن المعروض عليهم إنما هو صور الكائنات ومسمياتها فدل على أن المراد بالأسماء الأسماء الكونية والتى يطلبها الكون من أسمائه تعالى.

وفى " الفتوحات " فى الباب الثامن والأربعين المراد من قوله كل الأسماء الإلهية التى تطلب الآثار فى العالم وما يمتد به من أسماء التنــزيه والتقديس انتهى.

وقال قبله بقليل خص آدم بعلم الأسماء كلها التى لها توجه إلى العالم ولم يكن ذلك العلم أعطاه الله للملائكة وهم العالم الأعلى الأشرف قال الله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾ ولم يقل بعضها وقال عرضهم ولم يقل عرضها فدل على أنه عرض المسميات لا الأسماء انتهى.

قال فى الباب التاسع عشر وثلاثمائة ما نصه: ولما أوجد الله العالم أوجده إنسانا كبيرا وجعل آدم وبنيه مختصر هذا العالم ولهذا أعطاه الأسماء كلها أى كل الأسماء المتوجهة على إيجاد العالم وهى الأسماء الإلهية التى يطلبها العالم بذاته إذ كان وجوده عنها انتهى.

وقال فى " جواهر المعانى " وكذا فى " الجامع " نقلاً عن شيخهما أبى العباس التيجانى وأما: الأسماء [١٤٥] الخارجة عن الكون فلا تمكن الإحاطة بها ولا نهاية لها

قال سبحانه وتعالى ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلماً ﴾ [طه : ١١٠]قال: فإن العارفين والأقطاب والنبيين والمرسلين من فتحهم فى المعرفة ينكشف لهم فى كل مقدار طرفة عين من أسماء الله الباطنة أمر لا حد له ثم يبقون على هذا الحال أبداً سرمدا فى طول عمر الدنيا وفى طول عمر البرزخ وفى طول عمر يوم القيامة وفى طول عمر الأبد فى الجنة بلا نهاية فى كل مقدار طرفة عين ينكشف لهم من أسماء الله الباطنة ما لا حد له ولا غاية له فى طول هذه المدة ولا نهاية لانكشاف الأسماء علَى طول أبد الأبد فكيف يقال أحاط بها كلها وإنما الكلية فى الأسماء التى يطلبها الكون فقط انتهى منه بلفظه.

وقد ذكره صاحب " الجواهر " فى الفصل الأول من الباب الخامس.

ونحوه قوله فى " الإبريز " نقلاً عن شيخه بعد تخصيصه لأسماء آدم بالتى يطيقها آدم ويحتاج إليها البشر أو لهم بها تعلق ما نصه: وإنما خصصناها بما يحتاج إليه وذريته وبما يطيقونه لئلا يلزم من عدم التخصيص الإحاطة بمعلومات الله تعالى انتهى.

فإن قلت يلزم مما ذكرته علم آدم عليه السلام بالأسماء والمسميات معا كما وقع ذلك لنبينا ﷺ فما وجه الخصوصية لنبينا قلت آدم عليه السلام أوتى الأسماء التى هى كالقشر والغلاف الصائن للشيء بطريق الأصالة فكان مظهرها وحطت له المسميات بطريق التبع ونبينا ﷺ أوتى [١٤٦] المسميات التى هى اللب والمقصود بطريق الأصالة والأسماء تابعة لها وكان مظهرا للكل وأيضا فالرسوخ التام والتنزل الحقيقى إنما هو له ﷺ وفيه دون غيره فإنه لم يحصل له من الرسوخ والتمكن فيها مثل ولا مقارب ما حصل له ﷺ ولذا عجز الخلائق كلهم آدم وغيره فافهم وأمهات الحقائق هى أصولها وأئمتها التى ترجع إليها والحقائق الإلهية هى مسميات الأسماء الإلهية أى مفهوماتها بخصوصياتها الامتيازية والمراد بها هنا خصوص التى يفتقر العالم إليها وأمهاتها سبعة الحياة والعلم والإرادة والقدرة والكلام والجود والأقساط والحقائق الكونية هى مسميات أسماء الموجودات كلها وهى مع ما ذكر الحقائق الإلهية كلمات الله التى لا نفاد لها المشار إليها بقوله تعالى ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّى...** ﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية وقوله ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ**

وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧] فإن المراد بها هنا على ما ذكره المحققون أمران:

أحدهما: الحقائق الإلهية الأسمائية والصفاتية وإن كانت الحقائق الإلهية قد تطلق أيضاً على ما هو منه ﷺ وبسببه من أسرار الحق التي فرقها في خلقه وهي ثلاثمائة وسته وستون سرا ظهرت في الحيوانات والجمادات وسائر المخلوقات على ما أراده الحق تعالى وهي ما جعله فيهم من المنافع والعلوم [١٤٧] والأسرار وأوصاف الكمال من الصدق والتحمل وغير ذلك.

ثانيهما: الحقائق المظهرية الكونية وهي الموجودات كلها محسوسة كانت أو معقولة أو موهومة أو تقول روحانية كانت أو مثالية أو جثمانية سميت هذه بكلمات الله لصدورها عن الله تعالى بكن لكل شيء منها فيكون وكن كلمة الله فسمى ما صدر عنها باسمها تسمية للمسبب باسم السبب.

وفي " الفتوحات المكية " في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة ما نصه: فآدم ومن دونه إنما هو وارث محمد ﷺ لأنه كان نبياً وآدم بين الماء والطين لم يكن بعد موجودا فالنبوة لمحمد ﷺ ولا آدم والصورة الطبيعية لآدم ولا صورة لمحمد ﷺ وعلى آدم وجميع النبيين فآدم أبو الأجسام الإنسانية ومحمد ﷺ أبو الورثة من آدم إلى خاتم الأمر من الورثة فكل شرع ظهر وكل علم إنما هو ميراث محمدي في كل زمان ورسول ونبي من آدم إلى يوم القيامة ولهذا أوتي جوامع الكلم ومنها علم الله آدم الأسماء كلها فظهر حكم الكل في الصورة الآدمية والصورة المحمدية فهي في آدم أسماء وفي محمد ﷺ كلمات وكلمات الله سبحانه لا تنفد وموجوداته من حيث جوهرها لا تنفد وإن ذهبت صورها وتبدلت أحكامها فالعين لا تذهب ولا تتبدل انتهى منه بلفظه.

وفيها أيضاً في الفصل الثاني من الباب الثاني ما نصه: نكتة [١٤٨] وإشارة قال رسول الله ﷺ أوتيت جوامع الكلم.

وقال تعالى ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ [التحريم: ١٢].

ويقال قطع الأمير يد السارق، وضرب الأمير اللص فمن ألقى عن أمره شيء فهو ألقاه فكان الملقى محمد ﷺ ألقى عن الله كلمات العلم بأسره من غير استثناء شيء منه البتة فمنه ما ألقاه بنفسه كأرواح الملائكة وأكثر العالم العلوى ومنه أيضاً ما ألقاه عن أمره فيحدث الشيء عن وسائط كبرة الزراعة ما تصل إلى أن تجرى فى أعضائك روحا مسبحا وممجدا إلا بعد أدوار كثيرة وانتقالات فى عالم وتنقلب فى كل عالم من جنسه على شكل أشخاصه فرجع الكل فى ذلك إلى من أوتى جوامع الكلم انتهى المراد منه بلفظه أيضاً وراجعه.

وفيها أيضاً فى الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة ما نصه: وأما منـــزلته ﷺ فى العلوم خاصة فأحاطه بعلم كل عالم بالله من العلماء به تعالى متقدميهم ومتأخريهم ثم ذكر أن من كماله ﷺ أنه خص بست لم تكن لنبى قبله ثم قال والخصلة الثانية أوتى ﷺ جوامع الكلم والكلم جمع كلمة وكلمات الله لا تنفد فأعطى علم ما لا يتناهى فعلم بما لا يتناهى ما حصره الوجود وعلم ما لم يدخل فى الوجود وهو غير متناه فأحاط علماً بحقائق المعلومات وهى صفة إلهية لم تكن لغيره انتهى المراد منه بلفظه [١٤٩] أيضاً.

وقال الأمير عبد القادر الجزائرى فى " مواقفه " فى الموقف السادس والثمانين ومائتين أثناء كلام له ما نصه: وكما أن الحق تعالى علم كل شيء من علمه بنفسه لأن جميع الأشياء كذلك هو ﷺ علم جميع الأشياء إجمالا وتفصيلا من علمه بذاته وحقيقته التى هى حقيقة الحقائق ومصدر كل كائن ومبدأ الكل وخزانة العلوم الإلهية والكونية منه تخرج وعلى يديه تقسم فالقلم الأعلى وهو العقل الأول والنفس الكلية وهى اللوح المحفوظ وسائر الأرواح العلوية والسفلية من ذواته تكتب وبعينه تبصر ومن مشكاته تنظر فهو بكل شيء عليم بيده مفاتيح الخزائن الإلهية وكل ما ظهر فى العالم مطلقا فلا يظهره الاسم الإلهى إلا عن إذن محمد ﷺ.

فإن قيل ما الفرق بين علمه ﷺ وبين علم الحق تعالى فى مقام الفرق؟

قلنا هو أنه تعالى علم الأشياء وهى فى العدم لا عين لها فى الوجود بوجه من الوجوه وهو ﷺ إنما علم الأشياء بعد أن صار لها ضرب من الوجود وهو الوجود العلمى فإنه ما علمها إلا وهى موجودة فى علم الحق تعالى، ثم قال: أما علمه ﷺ بربه فإنه عَلم عِلم الأولين قبله - أى قبل اتصال روحه بجسمه الشريفين ﷺ - والآخرين بعده من كل ما خلق الله تعالى كما أخبر بذلك عن نفسه فى حديث الضربة وأما [١٥٠] علمه ﷺ بالعالم وهو كل ما سوى الحق تعالى فالعالم على ضربين ضرب وجدت أجناسه وأنواعه وبعض أشخاصه وأفراده ولأفراده نهاية كالنوع الإنسانى مثلا فهذا الضرب يعلمه ﷺ تفصيلاً لأنه ﷺ علم جميع الأسماء المتوجهة على إيجاد العالم كلياتها وجزئياتها وما من حقيقة كونية إلا وهى مرتبطة بحقيقة جزئية الإلهية ومستندة إليها لابد من ذلك وقد علم ﷺ الأسماء فأحرى آثارها فإن آدم عليه السلام الذى هو قطرة من بحره وجزء من كله علمه الله الأسماء كلها فكيف به ﷺ والضرب الآخر من العالم وجدت أجناسه وأنواعه وبعض أشخاصه ولا نهاية لأفراده وأشخاصه فهذا الضرب الذى لا تتناهى أفراده أبد الآبدين ودهر الداهرين يعلمه ﷺ غير متناه فإنه أخبر أنه أوتى جوامع الكلم وكلمات الله لا تنفد بمعنى مقدوراته ومراداته فقد أعطى ﷺ ما لا يتناهى إجمالا كما أعطى علم ما يتناهى تفصيلاً خصوصية له ﷺ فإنه ما أعطى مخلوق علم جميع العالم أجناسه وأنواعه وأشخاصه ما يتناهى منه وما لا يتناهى غيره ﷺ ثم قال فأحاط ﷺ **علماً** بحقائق المعلومات المتناهية وغير المتناهية وعلم أجناسها وأنواعها على التفصيل وبعض [١٥١] شخصياتها وجزئياتها كذلك وعلم ما لا يتناهى من الأفراد والجزئيات على الإجمال وهذه صفة إلهية لم تكن لغيره ﷺ.

فإن قيل: ما الفرق بين علمه ﷺ وعلم الحق بما لا يتناهى؟

قلنا: هو أنه تعالى علم التفصيل فى الإجمال وهو ﷺ علم الإجمال من التفصيل فالقول بأنه ﷺ علم ما كان وما سيكون حق صدق انتهى المراد منه بلفظه.

وكأنه قصد بهذا الكلام شرح كلام الشيخ الأكبر المذكور قبله وفهم أن مراد الشيخ بما حصره الوجود ما دخل فى الوجود ولأفراده نهاية وقال إنه عليه السلام يعلم

هذا الضرب تفصيلاً وبما لم يدخل فى الوجود وهو غير متناه ما لم يحصره الوجود مما ليس لأفراده نهاية وقال إنه عليه السلام يعلم هذا الضرب إجمالا أى يعلم أفراده وجزئياته التى لم توجد بطريق الإجمال لا التفصيل ثم يحصل له الترقى بعد فى مدارج جزئياته من الأسماء الإلهية والحوادث الكونية ومقتضى هذا عدم دخول الأعيان العدمية فى كلام الشيخ وعدم إحاطة علم النبى ﷺ بها ويحتمل عندى أن يكون مراد الشيخ بما حصره الوجود ما دخل فيه بالفعل وبما لم يدخل فى الوجود وهو غير متناه أمرين أحدهما الممكنات التى تعلق العلم بوجودها و لم توجد إلى زمن الحال وهى من الأعيان الثابتة فإنها كما قال غير متناهية وله ﷺ العلم [١٥٢] الإحاطى بها كما يدل على ذلك ما تقدم من الأحاديث كحديث إنه « عُرِضَ عَلَيَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَأَمْرِ الآخِرَةِ ».[1]

وحديث « إنه رَأَى مُنذ قام يُصَلِّى مَا هُمْ لاَقُونَ فِى أَمْرِ دُنْيَاهُمْ وأُخراهُمْ ».[2]

وحديث: ما من شيء « مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلاَّ رَأَيْتُهُ فِى مَقَامِى حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ».[3]

وقد قال الهروى فى الكلام على حديث مسلم عن أبى هريرة منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مديها ودينارها ومنعت مصر أردبها ودينارها وعدتم من حيث بدأتم ما نصه: أخبر النبى ﷺ بما لم يكن وهو فى علم الله تعالى كائن فخرج لفظه بصيغة الماضى لأنه ماض فى علم الله تعالى انتهى على نقل السيوطى فى " الخصائص الكبرى ".

---

(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (٣٩٣/١٤)، وأبو عبد الله المقدسى فى المختارة(١٢١/١).

(٢) أخرجه ابن حبان فى صحيحه (١٠٢/٧) والحاكم فى المستدرك(٤٧٩/١)وقال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، وأحمد فى مسنده (١٦/٥).

(٣) أخرجه البخارى (٤٤/١، رقم ٨٦).

الثاني: الممكنات التي تعلق العلم بعدم وجودها وهي التي يسمونها بالأعيان العدمية فإنها أيضاً لم تدخل في الوجود وهي غير متناهية وعلمه ﷺ متعلق بها أيضاً تعلق إحاطة على ما يفيده كلام الشيخ هذا بهذا الفهم ويدل عليه أيضاً من حيث الجملة عدة أحاديث كحديث: لو عاش إبراهيم لكان صديقا نبياً أخرجه الباوردي عن أنس وابن عساكر في تاريخه عن جابر وعن ابن عباس وعن ابن أبي أوفى.

وحديث: « لَوْ آمَنَ عَشَرَةٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ آمَنُوا بِي كُلُّهُمْ ». أخرجه البخاري عن أبي هريرة.[1]

وأخرج أحمد عنه أيضاً مرفوعاً: لو آمن بي عشرة من أحبار اليهود لآمن بي كل يهودي على وجه الأرض.

وحديث: « لَوْ كَانَ مِنْ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ». أخرجه أحمد والترمذي والحاكم عن [١٥٣] عقبة بن عامر، والطبراني في الكبير عن عصمة بن مالك.[2]

وفي " التيسير " في الكلام عليه ما نصه: أخبر عما لم يكن لو كان كيف يكون انتهى.

وفي " جواهر المعاني " نقلاً عن شيخه أبي العباس أحمد التيجاني ﷺ في " شرحه لياقوتة الحقائق " لدى قوله فيها: أسألك اللهم بمرتبة هذه العظمة وإطلاقها في وجد وعدم ما نصه: أراد أن هذه العظمة وهي الحقيقة المحمدية سارية في جميع ذوات الوجود من كل ما نفذت المشيئة به من إخراجه من العدم إلى الوجود وكل ما نفذت المشيئة بإبقائه في طي العدم وهو المراد بقوله وإطلاقها في وجد وعدم أراد بها هنا

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٤/٣، رقم ٣٧٢٥)بدون لفظ كلهم، وأحمد (٣٦٣/٢)باللفظ الموجود.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٤/٤) والترمذي (٦١٩/٥) والحاكم (٩٢/٣)وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٨٠/١٧).

الحقيقة المحمدية وهى الروح السارى فى جميع ذوات موجوده ومعدومه لكن سريانها فى الموجود ظاهر وسريانها فى المعدوم الباقى فى طى العدم بحيث أن لا وجود له صعب المدرك لا تطيق العقول فهمه ولا إدراكه ولا يعلمه على حقيقته إلا الله تعالى فهذا إطلاقها فى وجد وعدم انتهى منه بلفظه.

وقال فيه أيضاً لدى قوله فى هذه الصلاة بعد والنور السارى الممدود ما نصه: وقوله الممدود معناه هو الذى لا غاية له وهو أنه امتدت سرايته فى جميع الأكوان من كل ما انطبقت عليه كرة العالم بل وجميع ما دخل تحت حيطة الطوق الأخضر من جميع مخلوقات الله وزاد امتداده ﷺ حتى سرى فى جميع المعلومات التى أحاط العلم الإلهى بها ونفذت المشيئة الربانية بأن لا خروج [١٥٤] لها من العدم إلى الوجود أصلاً وكيفية السراية فى هذا المعدوم أيضاً لا يطيقها العقل تصورا وقبولا بل هى من إحاطة العلم الإلهى فلا يعلم كيفيتها وصورتها إلا الله تعالى انتهى بلفظه أيضاً.

وفيها أيضاً نقلاً عن الشيخ فى " شرحه لجوهرة الكمال " لدى قوله فيها ونور الأكوان المتكونة ما نصه: فإن الأشياء المقدرة فى العلم الأزلى منقسمة قسمين قسم منها أعيان ثابتة وهى التى سبق فى علمه أنها تخرج من العدم إلى الوجود وقسم منها أعيان عدمية وهى التى سبق فى علمه أنها لا تخرج إلى الوجود وتبقى فى طى العدم فإنه علمها أن لو خرجت إلى الوجود على أى حالة تكون وبأى أمر تتكون وفى أى مكان وزمان تقع وماذا ينصب عليها من الأحكام الإلهية ضراً ونفعاً فإنه محيط بجميعها علماً وهو ﷺ نورها انتهى بلفظه أيضاً والله أعلم.

وقول الشيخ الأكبر فيما سبق عنه فأحاط علماً بحقائق المعلومات لم يرد بالمعلومات جميعها حتى يشمل الذات العلية وأسماءها وأوصافها كما قد يتوهم لأن هذه لا تمكن الإحاطة بها لأحد سوى الحق تعالى كيف وقد ذكر فى " الفتوحات " فى الباب الرابع والتسعين وثلاثمائة أن العلم بذات الحق تعالى محال حصوله لغير الله تعالى وإنما أراد بها ما تقدم من الممكنات المتناهية وغير المتناهية والأسماء والصفات التى لها تعلق وارتباط بها كما أنه ليس [١٥٥] المراد بالأسماء والصفات ذواتها لأنها مجهولة لا

تعرف وإنما المراد أسرارها الباطنية وما يميزها من حيث الجملة وتعرف به من آثارها ولوازمها وتعلقاتها وما يكون عنها من التجليات وأنواع الظهورات، وقوله وهى صفة إلهية لم تكن لغيره معناه أن الإحاطة بالممكنات المتناهية وغيرها وجودية كانت أو علمية وبالأسماء والصفات التى لها تعلق وارتباط بها صفة إلهية ظهر سرها وعلمها فيه ﷺ ولم يكن ذلك لغيره أصلاً.

فإن قيل كلامه هنا حيث قال إنه ﷺ أعطى علم ما لا يتناهى معارض لما سبق عنه من أن أحداً لم يتعلق علمه بما لا يتناهى.

قلنا: لا معارضة أصلاً وقرائن الكلام السابقة واللاحقة وقواعدهم المؤسسة بالبراهين القطعية تبين وما سبق عنه محمول على الذات العلية وأسمائها وأوصافها فإنه لم يتعلق بها علم أحد تعلق إحاطة وكشف عن حقيقة أبداً وما هنا فى الممكنات الغير المتناهية الوجودية والعلمية فإنه تعلق بها علمه ﷺ تعلق إحاطة وكشف عن حقائقها وذلك مختص به ولم يقع لأحد سواه.

وبهذا التحقيق يرتفع عن هذا الكلام الإشكال ولا يبقى فيه توهم لمساواة العلم الحادث للعلم القديم بحال ومثله ما تقدم فى كلام الشيخ الكبير أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن البكرى الصديقى [١٥٦] من أنه عليه السلام كان يعلم جميع علم الله فإنه لا يحمل على إطلاقه بل يأول بأنه أراد أنه كان يعلم جميع علمه من حيث المكونات لا مطلقا من حيث الذات وجميع الصفات فإنه لا يحيط بهما أحد بوجه ولا حال وكذا ما يأتى عن الشيخ عبد الكريم الجيلى فى " كمالاته " من أنه عليه السلام كان متصفا بصفة العلم الإحاطى يحمل على ما ذكرناه من أن المراد أنه ظهر فيه سرها وعلمها من حيث الجملة لا مطلقا فلا مساواة بين علمه تعالى وعلم غيره أصلاً ولو نبياً أو رسولاً أو ملكاً تعالى الله عن أن يساويه فى علم أو مرتبة ما علواً كبيراً وكأن هذه العبارات وأمثالها هى التى غرت من صرح هنا أو صار يقول بلسانه من بعض المتصوفين أنه عليه السلام كان عالماً بجميع معلومات الله ذاتا وغيرها مؤيدا ذلك ببعض العمومات السابقة.

ومن سلك هذا المسلك الفقيه المتصوف أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الحبيب الحسنى الفلالى فى شرحه لمنظومة شيخه أبى العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالى فى الأسماء الحسنى وهو المسمى بـ " المقتبس الأسنى فى بيان طرف من معانى نظم الأسماء الحسنى " ونصه على نقل من نقل عنه لأنه بعدت عنى الآن مراجعة كلامه فى محله وأما الفرق بين العلم القديم والحادث فهو جلى من وصفى القدم والحدوث وأيضاً الأول شامل لكل ما يمكن أن يعلم واجباً أو جائزاً أو مستحيلاً والثانى وإن كان قد يعم كما فى علم [١٥٧] النبى ﷺ فإنه يلاحظ فيه الأولية أى أنه مسبوق بجهل والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا قال وها هنا دقيقة وهى أنه يجب علينا أن نعتقد أن نبى الله ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى حصل له العلم بجميع المعلومات للحديث الصحيح: أوتيت علم كل شيء وتجلى لى كل شيء وما ورد مما يخالفه منسوخ بهذا وبهذا تظهر مزيته ﷺ وفضيلته العلمية على غيره من سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد إشراكهم فى علم الغيب المستثنى لهم فى آية ﴿ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] وقال فيها بعض المفسرين يريد أو ولى ففيه حذف أو مع ما عطفت لأن الولى وارث لعلم النبوة انتهى.

قال وعلى ما مر اقتصر الإمام ابن العربى وابن أبى جمرة فى شرحه لـ " صحيح البخارى " والشهاب الأنبرى فى بعض تآليفه والجلال السيوطى وإمام المحدثين أبو عبد الله الأفرانى والمحدث المشارك أبو مروان عبد الملك بن محمد السجلماسى المتقدم ذكره وهو الذى ألف فى المسألة تأليفا مفيدا لما وقع بينه وبين الشيخ أبى على بن مسعود اليوسى منازعة طويلة الذيل كثيرة المقال والقيل حتى ألف الشيخ اليوسى أيضاً فيها تأليفا مضمنه أن اعتقادنا بعلم النبى ﷺ لكل شيء بوجه مساواته مع الحق سبحانه فى وصف العلم فرد عليه المحدث أبو مروان المذكور بوجود الفارق وهو قدم العلم الإلهى وحدوث [١٥٨] العلم النبوى وبأن الحديث الذى هو: أوتيت علم كل شيء. عام فيبقى على عمومه وصرفه إلى المجاز خلاف الأصل وهو متأخر فيكون ناسخا لكل ما يوهم خلافه إلى آخر كلامه.

قال الشيخ الوفراني فيما وقفت عليه بخط يده بفطرة تأليف أبي مروان والحق ما قاله أبو مروان فالعجب من الشيخ اليوسي كيف خفي عليه هذا مع شهرته لليوسي ولغيره فالكمال لله انتهى.

قال أعني ابن عبد القادر المذكور وقد كنت أشرت إلى تحصيل ما مر بأبيات في جواب سؤال وهي هذه:

علم النبي بالكل حتى الخمس	بسه أجز من ورد بحث اليوسي
بحجة بالغة للعجل	من قوله أوتيت علم الكل
فاندرجت أقسام حكم العقل	أما المجاز فخلاف الأصل
فيتعلق بسر القدر	بلا نهاية لدى المعتبر
حدوثه قدم علم الباري	بينهما مورد فرق جاري
فابن أبي جمرة والسيوطي مع	شهابهم وغيرهم بذا قطع
مع ابن عبد القادر المجيب	محمد المدعو بالحبيب

قال وإن تشوقت نفسك إلى البسط في المسألة فراجع التأليف المذكور لأبي مروان رحمه الله وجميعهم وإيانا معهم انتهى ما رأيته منقولاً عنه.

وأقول قوله يجب علينا أن نعتقده لا مستند له فيه بل العقيدة الصحيحة التي عليها سلف الأمة وخلفها وهي عقيدة أهل الله تعالى بخلافه وهي أن - العلم بجميع المعلومات [١٥٩] قديمها وحديثها واجبها وجائزها ومستحيلها إنما هو لله وحده وليس جميعه لأحد سواه لا من نبي ولا من غيره والحديث الذي ذكره وهو قوله: أوتيت علم كل شيء. لم نقف عليه إلا بهذا اللفظ والمشهور إنما هو حديث: أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس. فعليه إثبات من خرجه أو ذكره من الأئمة الحفاظ إلا إن في معناه حديث: فتجلى لي كل شيء.

وحديث: فعلمني كل شيء.

وحديث: ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا.

والعموم فيها محمول على الكوائن خاصة لأدلة أخرى تقدمت فإن حملنا اللفظ فيها على إطلاقه وقلنا بدخول الذات العلية فيه فعلى حسب ما يمكن ويليق بالعبد من غير إحاطة ولا معرفة بالكنه تعالى سبحانه عن أن يعرفه غيره أو يحيط به مخلوق كائنا من كان.

وقوله وما ورد مما يخالفه منسوخ بهذا فيه أن مثل هذا لا يسمى نسخاً فى الاصطلاح وإنما يقال فيه لم يكن عنده أولاً العلم بكذا ثم أعلمه الله به وفيه أيضاً أن العموم فيما زعمه ناسخا مراد فى شيء خاص وهو الكوائن وعلى تسليم شموله للذات العلية نقول: لا يلزم من رؤيتها والعلم بها معرفة كنهها، والإحاطة بها لأنها رؤية إجمالية وعلم إجمالى لا تفصيلى خلافاً لما زعمه.

وقوله وبهذا تظهر مزيته ﷺ وفضيلته العلمية على غيره من سائر الأنبياء يقال عليه مزيته عليهم وفضيلته ظاهرة بدون هذه الدعوى [١٦٠] لأنه أوتى علومهم كلها وزاد عليهم بأضعاف مضاعفة مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقوله وعلى ما مر اقتصر ابن العربى أى أراد به المعافرى الفقيه فبعيد ذلك من مرامه ولم أطلع له الآن على شيء فى هذه المسألة وإن أراد به الحاتمى الصوفى فهو وإن كان بعض كلامه يوهم ذلك فبعضه يصرح بخلافه كما سبق.

وقوله وابن أبى جمرة فى " شرحه لصحيح البخارى " قد راجعت شرحه المذكور فلم أر فيه شيئا مما نسبه له بل وجدت فيه ما يخالفه فى الكلام على حديث أسماء فى صلاة الكسوف لدى قوله عليه السلام فيه: ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته فى مقامى هذا حتى الجنة والنار. ونصه: ويرد على هذا السؤال وهو أن يقال ما المراد بقوله عليه الصلاة والسلام: ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته. هل المراد به جميع الغيوب أو المراد به ما يحتاج به الإخبار إلى أمته وما يخصه عليه الصلاة والسلام فى ذاته المكرمة.

والجواب أن لفظ الحديث محتمل للوجهين معا والظاهر منهما الوجه الأخير وهو أن يكون المراد به ما يحتاج به الإخبار إلى أمته وما يخصه عليه الصلاة والسلام فى ذاته المكرمة أو مما أكرمه الله بالاطلاع عليه والأول ممنوع يدل على ذلك الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿ قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥].

وأما الحديث فقوله ﷺ مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض [١٦١] الأرحام إلا الله ولا يعلم ما فى غد إلا الله ولا يعلم متى يأتى المطر إلا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله.

ولأنه لا يمكن أن يحمل على جميع الغيوب لأن ذلك يؤدى إلى استواء الخالق والمخلوق وهو مستحيل عقلاً وقد قال عز وجل فى كتابه ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩] والأشياء منها ما وقع قبل خلق بنى آدم ومنها ما يقع بعد موتهم فكان ذلك مستحيلا من طريق العقل والنقل انتهى منه بلفظه.

فانظر حكمه بمنع حمل الحديث على جميع الغيوب واستدلاله على ذلك بالكتاب والسنة وقوله إن ذلك يؤدى إلى استواء الخالق والمخلوق وهو مستحيل عقلاً كاستحالته من طريق النقل فإنه مناقض لما نسبه له صاحب هذا الكلام.

وقد فهم ابن أبى جمرة من الآية الأولى فى كلامه أن المراد بالغيب فيها جميعه وأنه هو المختص به تعالى دون البعض فإنه قد يعلمه غيره من نبى أو ولى أو ملك بإعلامه وهذا وجه صحيح فيها وفيها وجه آخر وهو أنه تعالى هو العالم بالغيب استقلالاً بذاته من ذاته وغيره إذا علمه فإنما يعلمه بإعلام الله لا من نفسه، وفهم أيضاً من الحصر المذكور فى الحديث أنه حقيقى بناء على مذهب الجمهور من أن هذه الخمس لا يعلمها إلا الله وحده والمحققون على خلافه وأنه إضافى راجع ما تقدم.

وقوله ولأنه لا يمكن أن يحمل هذا على جميع الغيوب صحيح إن حمل الجميع فيه على ما يشمل الذات العلية وأوصافها وأما إن حمل على المغيبات الكونية [١٦٢] خاصة صح حمل الحديث على جميعها لعدم تأديته إلى المحذور المذكور والله أعلم.

وقول ابن عبد القادر المذكور والجلال السيوطى فيه أن السيوطى لم يقل إنه عليه السلام حصل له العلم بجميع المعلومات كما قال هو وإنما قال فى خصائصه الكبرى والصغرى إنه عليه السلام أوتى علم كل شيء إلا الخمس وقيل إنه أوتيها أيضاً وأمر بكتمها وهذا ليس فيه تصريح بجميع المعلومات بل كلامه محتمل لأن يريد كل شيء من المكونات بل هذا هو الظاهر بدليل الاستثناء فى كلامه وإلا للزم استثناء الذات العلية أيضاً لأنه إذا حجبت عنه الخمس على هذا القول مع أنها من علوم الكوائن فلأن تحجب عنه الذات العلية بما لها من الصفات أولى وحرر هذه النسبة التى نسبها لبقية من ذكر فى كلامه هل هى نسبة صحيحة أو وقع فيها تحريف كما وقع فى غيرها والله أعلم انتهى من خطه.

وقال الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلى اليمنى الشافعى فى " الكمالات الإلهية " فى الكلام على اتصافه ﷺ بأسماء الله تعالى ما نصه: وأما اسمه العليم فإنه ﷺ كان متصفا بصفة العلم الإحاطى أى ظاهراً عليه سرها وعلمها من حيث الجملة كما سبق التنبيه عليه قال والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فعلمت علم الأولين والآخرين وعلم الأولين والآخرين علم الكون بأسره فهذا دليل معرفته ﷺ بالمخلوقات كلها أولها وآخرها [١٦٣] دنياها وأخرها وأما دليل علمه بالله فالحديث المروى عن النبى ﷺ وهو قوله للكمل من أمته: أنا أعرفكم بالله وأشدكم خوفاً له انتهى منه بلفظه.

وقال فيها أيضاً ما نصه: وأما اسمه السميع فإنه ﷺ كان متصفا به والدليل على ذلك ما روى عن نفسه أنه سمع صريف الأقلام وقد علمت أنها جفت من الأزل بما

هو كائن إلى الأبد فسماعه لصريفها إنما هو بالصفة السمعية الإلهية الأزلية إحاطة بما كان وما هو كائن انتهى بلفظه أيضاً.

وقال فيها ما نصه: ... فقد كان ﷺ متصفا بالصفة الخبرية وقد سماه الله خبيراً فى كتابه العزيز فقال ﴿ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩] يعنى محمدا ﷺ انتهى بلفظه أيضاً.

وقال فيها أيضاً ما نصه: وأما اسمه الواسع فإنه كان ﷺ متحققاً به والدليل على ذلك أنه وسع الحق تعالى ووسع خلقه ووسع علمه أما وسعه للحق فلأنه صاحب القلب المشار إليه بقوله تعالى: ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن.

ولا أوسع من وسع قلبه ﷺ فإنه البحر المحيط الذى كل القلوب قطرة من قطراته، وأما وسعه للخلق فلأنه الرحمة التى قال تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شيء ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وهذه مسألة صرح بها طائفة من فحول العلماء فهو الواسع لكل شيء، وأما وسعه للعلم الإلهى فلقوله [١٦٤] فعلمت علم الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم انتهى بلفظه أيضاً.

وفى الإبريز فى الباب الأول فى الأحاديث التى سئل الشيخ عنها فى الكلام على معنى حديث: « إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ».[1]

– أجزاء الروح –

بعد ما ذكر فيه نقلاً عن شيخه مولانا عبد العزيز الدباغ ﷺ أن للروح أجزاء وهى سبعة.

أولها: ذوق الأنوار وإن أقوى الأرواح فى هذا الذوق من خرق ذوقها العرش والعرش وغيرهما من العوالم وليس ذلك إلا لروحه ﷺ لأنها سلطان الأرواح وقد

---

(١) أخرجه البخارى (٨٥١/٢، رقم ٢٢٨٧).

سكنت فى ذاته الطاهرة سكنى الرضا والمحبة والقبول وارتفع الحجاب الذى بينهما فصار ذوق الروح الشريفة على كماله وخرقه للعوالم ثابتا لذاته الطاهرة الترابية.

وثانيها: الطهارة أى الصفاء الذى خلقت عليه وهو المحصل للمعرفة الطاهرة والباطنة وإن أتم الأرواح طهارة ومعرفة أكبرها قدرا وأعظمها حجما وهو روحه ﷺ فإنها تملاء السماوات والأراضين وقد أمدت بطهارتها الذات الشريفة لأنها احتوت على الروح الكريمة وأخذت جميع أسرارها.

وثالثها: التمييز للأشياء على ما هى عليه فى نفس الأمر تمييزاً كاملاً من غير احتياج إلى تعلم بل بمجرد رؤية الشيء أو سماع لفظه تميزه وتميز أحواله ومبدأه ومنتهاه وإلى أين يصير ولماذا خلق وإن الأرواح مختلفة فى هذا التمييز على قدر الاطلاع ما نصه: وأقوى الأرواح فى ذلك روحه [١٦٥] ﷺ فإنها لم يحجب عنها شيء من العالم فهى مطلعة على عرشه وعلوه وسفله ودنياه وآخرته وناره وجنته لأن جميع ذلك خلق لأجله ﷺ فتمييزه عليه السلام خارق لهذه العوالم بأسرها فعنده تميز فى أجرام السماوات من أين خلقت ومتى خلقت ولم خلقت وإلى أين تصير؟ وفى جرم كل سماء وعنده تميز فى ملائكة كل سماء وأين خلقوا ومتى خلقوا ولم خلقوا وإلى أين يصيرون؟ ويميز اختلاف مراتبهم ومنتهى درجاتهم وعنده عليه السلام تميز فى الحجب السبعين وفى ملائكة كل حجاب على الصفة السابقة وعند عليه السلام تمييز الأجرام فى النيرة التى فى العالم العلوى مثل النجوم والشمس والقمر واللوح والقلم والبرزخ والأرواح التى فيه على الوجه السابق وكذا عنده عليه الصلاة والسلام تمييز فى الأرضين السبع وفى مخلوقات كل أرض وما فى البر والبحر من ذلك فيميز جميع ذلك على الصفة السابقة وكذا عنده عليه السلام تميز فى الجنان ودرجاتها وعدد سكانها ومقاماتهم فيها وكذا ما بقى من العوالم وليس فى هذا مزاحمة للعلم القديم الأزلى الذى لا نهاية لمعلوماته وذلك لأن ما فى العلم القديم لم ينحصر فى هذا العالم فإن أسرار الربوبية وأوصاف الألوهية التى لا نهاية لها ليست من هذا العالم فى شيء ثم الروح إذا أحبت الذات أمدتها بهذا التمييز فلذلك كانت ذاته [١٦٦] الطاهرة ﷺ تميز ذلك التمييز

السابق وتخرق به العوالم كلها فسبحان من شرفها وكرمها وأقدرها على ذلك انتهى المراد منه بلفظه وانظره.

فقد ذكر بعده أن الرابع من أجزاء الروح البصيرة التى هى عبارة عن سريان الفهم فى سائر أجزاء الروح كما يسرى فى جميع أجزائها أيضاً سائر الخواص الخمس فالعلم قائم بجميعها والبصر والسمع والشم والذوق واللمس كذلك حتى إنه ما من جوهر من جواهرها إلا وقد قام به ذلك كله وإن أقوى الأرواح بصيرة روحه ﷺ وما كان لروحه صار لذاته قال وقد زال الحجاب بين الذات الطاهرة وبين الروح الشريفة يوم شقت الملائكة صدره الشريف ﷺ وهو صغير ففى ذلك الوقت وقع الالتحام والاصطحاب بين روحه وذاته ﷺ وصارت ذاته تطلع على جميع ما تطلع عليه روحه ﷺ فلهذا ﷺ كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه وقد قال ﷺ لأصحابه رضى الله عنهم: أقيموا ركوعكم وسجودكم فإنى أراكم من خلفى كما أراكم من أمامى. فهذا هو سر الحديث والله تعالى أعلم انتهى.

قلت معنى هذا أن الالتحام الكامل والاصطحاب التام وقع وقت شق الصدر فى حال صغره وإلا فالظاهر أن الروح الكريمة ما التقت مع الذات الطاهرة وهى فى البطن إلا وهى مصطحبة معها ومحبة لها وممدة لها بما يناسب [١٦٧] حال ذلك الوقت مما هو عندها ثم ازداد ذلك وقت الولادة والخروج إلى الدنيا زيادة كبيرة ولذا خرج ﷺ إلى الدنيا عارفا بربه تعالى المعرفة الكاملة التى لا تضاهى ولا تتأتى من أحد عارفا بالإيمان الشرعى وطرائقه متمكنا فى معرفته وخرج من بطن أمه وهو ساجد رافع إصبعيه إلى السماء متضرعا مبتهلا قائلا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله مكبرا لله تعالى مثنيا عليه بما هو أهله وكان وهو فى المهد يناغى القمر ويشير إليه ويحدث كل واحد منهما صاحبه ويلتهى بذلك عن البكاء وكان يسمع وجبته وسقطته حين يسجد تحت العرش ثم لما كان وقت شق صدره وهو ابن أربع سنين كمل الاصطحاب وقوى الالتحام بينهما أعنى بين ذاته وروحه وصارت ذاته الكريمة متهيئة لأن تطلع على جميع ما تطلع عليه الروح من حيث الجملة ولكن لم يزل الحجاب بينهما بالكلية بحيث صارا

فى العلم والمعرفة بمنـزلة واحدة إلا عند الأربعين وقد صرح بهذا فى " الإبريز " أيضاً فى أواخر هذا الباب ونصه وسمعته يعنى الشيخ ﷺ مرة أخرى يقول فى بيان كون مشاهدة النبى ﷺ لا تطاق إن المشاهدة على قدر المعرفة وإن المعرفة حصلت للنبى ﷺ حين كان الحبيب مع حبيبه ولا ثالث معهما فهو ﷺ أول المخلوقات فهناك سقيت روحه الكريمة من الأنوار [١٦٨] القدسية والمعارف الربانية ما صارت به أصلاً لكل ملتمس ومادة لكل مقتبس فلما دخلت روحه الكريمة فى ذاته الطاهرة سكنت فيها سكنى الرضا والمحبة والقبول فجعلت تمدها بأسرارها وتمنحها من معارفها والذات تترقى فى المعارج والمعارف شيئا فشيئا من لدن صغره ﷺ إلى أن بلغ أربعين سنة فزال الستر حينئذ الذى بين الذات والروح وانمحق الحجاب الذى بينهما بالكلية وحصلت له ﷺ المشاهدة التى لا تطاق انتهى المراد منه.

وجاء أيضاً من حيث المعنى ما تقدم عن الشيخ سيدى أحمد التيجانى فى الكلام على آية ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢] من أن هذه الحال كانت له قبل النبوة لم يعلمه الله بحقيقة الإيمان ولا بكيفية تنـزيل الكتاب ولا بماهية الرسالة وتفصيل مطالبها كل ذلك حجبه الله عنه قبل النبوة وهو مكنوز فى حقيقته المحمدية ولا يعلمه ولا يشعر به حتى إذا كان زمن النبوة رفع الله عنه الحجب وأراه ما فى حقيقته المحمدية انتهى والله أعلم.

– من أجزاء الروح عدم الغفلة –

ثم ذكر فى " الإبريز " عقب ما مر عنه أن الخامس من أجزاء الروح عدم الغفلة الذى هو عبارة عن انتفاء أوصاف الجهل وأضداد العلم عن القدر الذى بلغ إليه علمها ووصل إليه نظرها فلا يلحقها فيه سهو ولا غفلة ولا نسيان وأن هذا العلم حصل له دفعة واحدة من يوم فطرها الله ثم دام لها كما دامت ذاتها وإنه لا يحصل لها بالتوجه [١٦٩] إلى شيء منه غفلة عن غيره بل يحصل غيره معه بل لا تحتاج إلى توجه قال وأعظم الأرواح علماً وأقواها نظراً روحه ﷺ لأنه يعسوب الأرواح فهى مطلعة على

جميع ما فى العوالم كما سبق دفعة واحدة من غير ترتيب ولا تدريج ثم لما وقع الاصطحاب بينها وبين ذاته الطاهرة ﷺ أمدها بعدم الغفلة حتى صارت الذات مطلعة على جميع ما فى العالم مع عدم الغفلة لها فى ذلك لكن الاطلاع ليس مثل الاطلاع فإن اطلاع الروح دفعة واحدة من غير ترتيب واطلاع الذات على سبيل التدريج والترتيب بمعنى أنها ما من شيء تتوجه إليه فى العالم إلا وتعلمه لكن علمه لا يحصل إلا بالتوجه فإذا توجهت إلى شيء آخر علمته وهكذا حتى تأتى على ما فى العالم فلها التسلط فى العلم على ما فى العالم ولكن بتوجه بعد توجه ولا تطيق الذات ما تطيقه الروح من حصول ذلك فى دفعة واحدة وكذا يختلفان فى عدم الغفلة فإنه فى الروح على نحو ما سبق تفسيره وأما فى الذات فهو بالنسبة إلى توجهها بمعنى أنها إذا توجهت إلى شيء لا يفوتها ولا يلحقها فى توجهها إليه سهو ولا غفلة ولا نسيان ولهذا قال ﷺ كما فى صحيح البخارى: إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكرونى. قال ذلك ﷺ حين وقع له السهو ولم ينبهوه انتهى.

وإن السادس: قوة السريان الذى هو خرق الأجرام والنفوذ [١٧٠] فيها فتخرق الجبال والجلاميد والصخور والجدران وتغوص فى ذلك وتذهب فيه حيث شاءت وإن الروح إذا سكنت فى الذات وأحبتها واصطحبت معها أمدها بهذه القوة فتصير الذات تفعل ما تفعله الروح.

وإن السابع: عدم الإحساس بمؤلمات الأجرام قال مثل الجوع والعطش والحر والبرد ونحو ذلك فإن الروح لا تحس بشيء من ذلك فلا جوع ولا عطش ولا حر ولا برد بالنسبة إليها وكذلك إذا خرقت الأجسام الحادة فإنه لا ينالها شيء من ضررها ولا ألم من آلامها وكذلك إذا مرت بموضع قذارة فإنها لا تتضرر بذلك ولا يقع لها تألم منه بخلاف الملك فى هذا الأخير فإنه يميل إلى الرائحة الطيبة وينفر من الرائحة الخبيثة انتهى راجع كلامه برمته.

وفى " جواهر المعانى وبلوغ الأمانى فى فيض أبى العباس أحمد التيجانى " لأبى الحسن على حرازم بن العربى برادة المغربى الفاسى نقلاً عن شيخه المذكور ﷺ فى "

شرحه " للصلاة المسماة بـــ " ياقوتة الحقائق فى التعريف بحقيقة سيد الخلائق " لدى قوله فيها: أسألك اللهم بمرتبة هذه العظمة وإطلاقها فى وجد وعدم أن تصلى وتسلم على ترجمان لسان القدم اللوح المحفوظ والنور السارى الممدود ما نصه: اعلم أن اللوح المحفوظ هنا هو نبينا سيدنا ﷺ لأنه أجمل ما فى حقائق الأشياء فكما أن اللوح المحفوظ اجتمعت فيه علوم الأكوان من منشأ العالم إلى النفخ فى الصور أحاط بها [١٧١] جملة وتفصيلا مما دق أو جل من الجواهر والأعراض كذلك هو ﷺ اجتمعت فى حقيقته المحمدية جميع حقائق العلوم الإلهية وتشبيهه هنا ﷺ باللوح المحفوظ يسمى عند المتكلمين تشبيه التسامح وإلا فهو ﷺ أكبر وأوسع من اللوح المحفوظ بأضعاف مضاعفة لأن غاية علوم اللوح وما سطر فيه إنما هو من منشأ العالم إلى النفخ فى الصور فرداً فردا بلا شذوذ وأما ما وراء ذلك من أحوال يوم القيامة وأحوال أهل الجنة والنار وما يتعاقب عليهم فيهما من الأدوار والأطوار من جميع الشئون والأمور والاعتبارات واللوازم والمقتضيات كلها ليس فى اللوح منه شيء إلا أمور قليلة مثل أو فلان يعمل كذا وكذا من الأعمال وجزاؤه فى جنة الخلد أو جنة النعيم أو جنة المأوى له فيها كذا وكذا، فلان يعمل كذا وكذا من الشر ومستقره فى الدرك الثانية أو الثالثة وهكذا وهو قليل بالنسبة لأحوال أهل الجنة والنار وأحوال يوم القيامة وأما هو ﷺ فإنه جمع فى حقيقته المحمدية كل ما أحاط به علم الله تعالى من الأزل إلى الأبد من علوم المخلوقات بأسرها ومعرفة مقتضياتها ولوازمها وأما ما وراء ذلك فلا يحيط بجميع علم الله محيط أصلاً يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة آية: ٢٥٥] وجملة ما فى اللوح المحفوظ من العلوم ثلاثمائة علم وستون علماً يعنى من علوم الإجمال كل علم فيه ثلاثمائة [١٧٢] وستون علماً يعنى من علوم التفصيل وجملة ذلك مائة ألف علم وثلاثة مائة علم تنقص أربعمائة علم فهذه علوم الأكوان كلها وعلوم الألواح ثلاثمائة وستون لوحاً فهذه الألواح هى العلم ... بل يقع فيها التبديل والتغيير وأما أم الكتاب فلا يتبدل شيء ولا يتغير فكل ما فيه واقع لا يتبدل ومحل هذه

الألواح كلها فى السماء، ورؤية عامة الأولياء لألواح التبديل فقط وأما أم الكتاب فلا يطلع عليه إلا الأكابر انتهى منها بلفظها.

قلت وبكلام الشيخ أبي العباس التيجانى هذا تعلم صحة قول البوصيرى فى بردة المديح:

فــإن مــن جــودك الدنيا وضرتها ومــن علومــك عــلم اللوح والقلم

خلافاً لمن اعترضه أو استشكله وحاصل الاعتراض أو الاستشكال إن اللوح المحفوظ وهو جسم عظيم نورانى كتب فيه القلم بإذن الله تعالى جميع ما كان ويكون إلى يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ وَكُلَّ شيءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] أى كتاب وهو اللوح وهو اللوح المحفوظ.

وقال ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شيءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

وكما أخرج البخارى أول بدء الخلق عن عمران بن حصين مرفوعاً « كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ ». أى فى محله الذى هو اللوح المحفوظ كل شيء يعنى من الكائنات.

وأخرج مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ [١٧٣] قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ – قَالَ – وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ » الحديث.

ومعناه كما قاله البيضاوى فى " شرح المصابيح " أن الله تعالى أجرى القلم على اللوح المحفوظ وأثبت فيه مقادير الخلائق ما كان وما يكون وما هو كائن إلى الأبد على وفق ما تعلقت به إرادته أزلاً انتهى.

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وصححه عن عبادة بن الصامت مرفوعاً إن « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ . قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » - « مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّى ».[1]

وفى رواية: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد يعنى أبد الدنيا.

وأخرج الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس مرفوعاً لما خلق الله القلم قال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة.

وأخرج أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب عنه أيضاً مرفوعاً أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون.

وأخرج أبو الشيخ وابن أبى حاتم بسند جيد عنه أيضاً قال خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش اكتب فقال القلم وما أكتب قال اكتب علمى فى خلقى إلى يوم القيامة فجرى القلم بما هو كائن فى علم الله إلى يوم القيامة.

وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضاً قال خلق الله النون وهى الدواة وخلق الألواح فكتب فيها أمر الدنيا حتى تنقضى ما كان من مخلوق أو رزق حلال أو حرام أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية ﴿ **وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا** ﴾ [الأنعام: ٥٩]... إلى آخر الآية. [١٧٤]

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضاً فى قوله تعالى ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: ٣٨] قال: ما تركنا شيئا إلا وقد كتبناه فى أم الكتاب.

وروى الوليد بن مسلم عن مالك عن سمى مولى أبى بكر عن أبى صالح عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة

---

(١) أخرجه أحمد (٣١٧/٥)، وأبو داود (٢٢٥/٤)، والترمذى(٤٢٤/٥) وقال هذا حديث حسن غريب.

وذلك قوله ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ [القلم: ١]ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة... الحديث. ذكره ابن العربى فى " أحكامه " ونقله عنه الفاكهانى فى " شرح الأربعين النووية "

قلت ظاهر هذه الأخبار وغيرها أن اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وأن ما كتب فيه هو ما فى علم الله الذى لا تبديل فيه ولا محو، وظاهر قوله فى حديث البخارى عن ابن عباس وأبى حبة الأنصارى: ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام يعنى تصويتها حالة الكتابة أن الكتابة باقية إلى الآن ويجمع بينهما بتعدد الأقلام والألواح المكتوبة فأولها وهو أعلاها قدرا وأجلها فخرا قلم القدر السابق ويقال له القلم الأعلى وهو الذى كتب الله به مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ من التبديل والتغيير وهذا هو الذى فرغ من كتابته وجف قلمه وهو المذكور بما فيه ولا يلحقه محو ولا تبديل كما أن أصله الذى انتسخ منه وهو علم الغيب القديم فى أزل القدم حيث لا لوح ولا قلم لا محو فيه ولا تبديل وبعدهما أقلام [١٧٥] أخر وألواح أو تقول صحف أخر تكتب فيها الملائكة ما يوحيه الله إليهم مما يحدث فى العالم من الأحكام والقضايا وهى التى أخبر رسول الله ﷺ أنه سمع صريف أقلامها ليلة الإسراء على ما قاله جمهور العلماء وهذه لم يفرغ من كتابتها إلى الآن وفيها يقع المحو والإثبات على ما ذكر فى الآية وهى قوله ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد: ٣٩] وعددها - كما قال الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " فى الباب السادس عشر وثلاثمائة - ثلاثمائة وستون لوحاً كما أن عدد أقلامها كذلك ثلاثمائة وستون قلماً على عدد درج الفلك ورتبتها دون رتبة القلم الأعلى ودون اللوح المحفوظ، قال فى الباب المذكور: ومن هذه الألواح تتنــزل الشرائع والصحف والكتب الإلهية على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فلهذا يدخل فى الشرائع النسخ بل ويدخل فى الشرع الواحد النسخ فى الحكم انتهى.

وإذا كان كل من القلم الأعلى واللوح المحفوظ أحاط علماً بما كان وما يكون من قليل الأشياء وكثيرها خفيها وجليها إلى الأبد كما فى رواية وإلى قيام الساعة كما فى أخرى.

قال فى " شرح المواهب " وكذا ما بعدها مما يمكن تناهيه لا نعيم الآخرة وعذابها إذ لا نهاية له فلا يدخل تحت الكتابة انتهى.

– المكونات كلها خلقت لأجله وبسببه ﷺ –

فكون الدنيا والآخرة خلقتا بسببه ﷺ ومن أجل جوده كون وعلم اللوح والقلم كذلك خلق بسببه ومن أجل علومه على أن {من} فى كلام البوصيرى تعليلية واضح على ما هو متقرر ومأخوذ من عدة أحاديث وآثار من أن المكونات [١٧٦] كلها إنما خلقت لأجله وبسببه وأنه لولاه ما دارت الأملاك ولا وجدت الأفلاك ولا كانت جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض ولا طول ولا عرض ولا لوح ولا قلم ولا كرسى ولا عرش ولا جنى ولا إنسى ولا فرش وكون الدنيا والآخرة بعضا من جوده وعلم اللوح والقلم بعضا من علومه على أنها فى كلامه تبعيضية كما هو المتبادر منه وإلا وقع فى النفس لما فيه من البلاغة مشكل أو يقول المعترض لا يصح لأنه يرد على الأول أن يقال ما هو البعض الثانى الذى بقى من جوده زائدا على الدنيا والآخرة لأن الظاهر أنه أراد بالدنيا جميع المخلوقات الموجودة قبل الدار الآخرة وبالآخرة ما بعد الدنيا وهل هناك شيء آخر خارج عنهما هو من جوده أيضاً وعلى الثانى أن يقال ما هو الباقى من علومه زيادة على ما فى القلم واللوح المحفوظ لأنهما حويا جميع المقادير الإلهية من الأزل إلى قيام الساعة كما سبق التنبه عليه وأيضا من جملة ما فيها علم الخمس والروح وهو مما استأثر الله به على ظاهر القرآن وكثير من الأحاديث فلا يصح أن يكون بعضا من علومه وها هنا أجوبة لجماعة من الشراح لا طائل تحتها على أن أكثرهم لم يتعرض لإشكال الشطر الأول واقتصر على إشكال الشطر الثانى مع الجواب عنه.

والجواب الصحيح عنه هو ما أفاده ما تقدم ونص عليه أيضاً الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " وغير واحد كالجيلى فى " إنسانه " من أن اللوح المحفوظ ليس فيه إلا ما كان من يوم خلق الله العالم إلى أن ينقضى [١٧٧] حال الدنيا وتنتقل العمارة إلى الآخرة وليس فيه أحوال الآخرة وما فيها من الجنة والنار تفصيلاً بل إجمالا فقط.

ونص الشيخ عبد الكريم الجيلى فى " إنسانه الكامل " فى الباب الثامن والأربعين فى اللوح المحفوظ قال وجميع ما فى اللوح المحفوظ هو علم مبتدأ الوجود الحسى إلى يوم القيامة وما فيه من علم أهل الجنة والنار شيء على التفصيل لأن ذلك من اختراع القدرة وأمر القدرة مبهم لا معين نعم يوجد فيه علمهما على الإجمال مطلقا كالعلم بالنعيم مطلقا لمن جرى له القلم بالسعادة الأبدية ثم لو فصل ذلك النعيم لكان تفصيل ذلك الجنس وهو أيضاً جملة كما تقول بأنه جنة المأوى أو من أهل جنة الخلد أو من أهل جنة الفردوس على الإجمال لا سبيل إلى غير ذلك وكذا حال أهل النار انتهى منه بلفظه.

وقيل أنه ﷺ حوى علمها أعنى الآخرة وما فيها من الجنة والنار وغيرهما تفصيلاً كما حوى علم الدنيا كذلك فأحاط علمه بمجموعهما تفصيلاً لا يشذ عنه من أحوالها وما فيهما شيء وحوى أيضاً ما تفضل الله به عليه وخصه به من أسرار ذاته العلية وصفاته وأسمائه السنية مما لم يعلمه بشر ولا مخلوق سواه ﷺ فبذلك زاد على القلم واللوح المحفوظ.

وأما الخمس والروح فتقدم أن المحققين على أنه لم يخرج من الدنيا حتى علم هما وبكل ما أخفى عنه من علوم المكونات وجميع المخلوقات فهما مما اندرج فى علومه ﷺ.

وأما الشطر [١٧٨] الأول فلك أن تقول فى الجواب عن إشكاله أنه يحتمل أن يكون البوصيرى أراد بالدنيا والآخرة فيه خصوص ذاتهما ونعيمهما الحسى من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمفروشات والمنكوحات والمركوبات وغير ذلك وعليه فالباقى من جوده فى الدنيا نعيمها المعنوى من أنوار الهداية إلى الإيمان والتوحيد

والعمل بالأعمال الصالحة والترقى فى المقامات والمعارف والأسرار ونحو ذلك وفى الآخرة ما هو معدود أيضاً من نعيمها المعنوى كالشفاعة فى زيادة المقامات ورفع الدرجات والزيادة من النظر إلى وجه الله الكريم وما شاكل ذلك ويحتمل أن يكون أراد ما هو أعم من ذاقما ونعيمهما الحسى والمعنوى وهو الظاهر المتبادر وعليه فالباقى من جوده هو ما فى قدرة الله تعالى من إيجادنا وأخر متعددة من نوره عليه السلام وإمدادهما بإمداداته لأن الفضل واسع ليس له حد ولا نماية وقدرة الله صالحة لكل ممكن وجميع الخلائق من العرش فما فوقه إلى الثرى فما تحته إنما هم بعض من نوره الظاهر بل أشعة مقتبسة من شعاع سراجه العظيم الباهر فهو قابل لأن يقتبس منه ما لا حصر له من الأنوار وما لا يعد ولا يحصى من العوالم وغيرها من جميع الأسرار ويحتمل أن يكون أراد بالدنيا خصوص هذا العالم المنقولة أخباره فى الكتب الموصوف عند الإخباريين وغيرهم وبالآخرة التى جاء فى الكتاب والسنة وعلى ألسنة العلماء والأحبار ذكرها ووصفها وما فيها وعليه فالباقى من جوده العوالم [١٧٩] التى لم نطلع عليها ولم تنقل أخبارها إلينا بل لم يطلع عليها لوح ولا قلم ولا علم لنا بمآلها ولا بمصيرها ولا بمحلها ومنـــزلتها وقد ذكر السيوطى فى جمع الجوامع وتبعه فى كنـــز العمال من تخريج الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر مرفوعاً قال الله عز وجل يا جبريل إنى خلقت ألف ألف أمة لا تعلم أمة من تلك الأمم أنى خلقت سواها لم أطلع عليها اللوح المحفوظ ولا صرير القلم إنما قولى لشيء إذا أردت أن أقول له كن فيكون ولا تسبق الكاف النون.

وأخرج أبو الشيخ فى العظمة عن أبى هريرة مرفوعاً إن لله تعالى أرضا من وراء أرضكم هذه بيضاء نورها وبياضها مسيرة شمسكم هذه أربعين يوما فيها عباد الله تعالى لم يعصوه طرفة عين ما يعلمون أن الله تعالى خلق الملائكة ولا آدم ولا إبليس هم قوم يقال لهم الروحانيون خلقهم الله تعالى من ضوء نوره.

وفى " شعب الإيمان " للشيخ عبد الجليل القصرى روى إسحاق فى كتاب " النصائح " عن رسول الله ﷺ إن الله تعالى خلق ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد انتهى.

وفى " الجامع " لابن المشرى نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى قال قال بعض الأكابر أطلعنى الله على سبعمائة عرش فوق العرش كلها محيطة به قال وقال الرفاعى ﷺ إن لله ثمانمائة ألف عالم العرش وما فى جوفه عالم منها انتهى.

وفى " درر الغواص " للعارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى ما نصه: وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلى [١٨٠] ﷺ أن للقطبية ستة عشر عالماً إحاطياً الدنيا والآخرة ومن فيهما عالم واحد من هذه العوالم فافهم انتهى.

وفى " الروضات العرشية " لسيدى مصطفى البكرى أثناء كلام له ما نصه: فإن القطب له ستة عشر عالماً إحاطيا الدنيا والآخرة عالم واحد منها وهو يمدها جميعها ومن فيها ونبينا ﷺ هو المد له بهذا الإمداد العام ومسعفه باستطاعة حمل أعباء هذا المقام انتهى المراد منه.

وفى " شرح صلاة أبى الفتيان سيدى أحمد البدوى " للشيخ عبد الرحمن العيدروس لدى قوله فيها وخزائن العلوم الاصطفائية نقلاً عن الشيخ سيدى أحمد الرفاعى قال كما نقله عنه صاحب كتاب " بيان المغنم " قال وعهدته عليه إن لله تعالى أسماء بعدد ما خلق من الأمم كلها ونبات الأرض وأشجارها وأوراقها وثمارها وأزهارها قال والأمم ثمانية ألف أمة تأكل وتشرب وتروث وتنكح ولا يكون الرجل رجلا حتى يعرفهم ويعرف كلامهم وصفاتهم وأسماءهم وأرزاقهم وآجالهم قال ولله سبحانه فى السماء بحر رمل يجرى كجريان الرياح العاصفة منذ خلق الله السماوات والأرض إلى يوم القيامة لا يدرى من أين وإلى أين ولله سبحانه بعدد كل ذرة منه دنا مثل دنياكم هذه قال وما من ساعة تمضى من ليل أو نهار إلا ولله تعالى فيها قيامة تقوم على قوم وميزان ينصب وصراط يمر عليه وقوم يدخلون الجنة وقوم يدخلون النار وهما غير الجنة والنار اللتين أعدتا لنا انتهى منه بلفظه.

قلت [١٨١] والمشكل منه كثيراً هو قوله ولله سبحانه بعدد كل ذرة منه دنا مثل دنياكم هذه وأما قوله وما من ساعة تمضى فهو ممكن التأويل بأن يقال قيامة تقوم على قوم بموتهم وميزان غير الميزان المعروف ينصب لحسابهم وصراط يمر عليه لجنة البرزخ وناره وقوم يدخلون الجنة أى جنة البرزخ وقوم يدخلون النار أى نار البرزخ دون الجنة التى وعد الله بها والنار التى أوعد بدخولها فإنه لا يدخلها أحد قبل يوم القيامة والله أعلم.

وفى الآية الشريفة ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾ [المدثر:٣١] قال قتادة من كثرتهم أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وعن ابن جريج مثله أخرجه ابن المنذر ثم وجدت فى شرح الشيخ أبى عبد الله الأليورى لدى صدر هذا البيت ما نصه يقول الناظم:

الدنيا والآخرة من بعض جودك

ولهذا يحسن جعل {من} فى صدر البيت للتبعيض وهو أولى من ابتداء الغاية لما فيه من البلاغة وكأن الناظم أراد هذا المعنى أى الدنيا والآخرة من بعض جودك وثم منك جود آخر غير وجودهما أما الجود بغير الدنيا والآخرة فى الدنيا فوجود النعم فيهما بسببك من تضعيف الحسنات وأنواع الخصوصيات لهذه الأمة ومصالح الخلق على يدك وإنقاذهم من الضلال وإرشادهم لما فيه صلاح حالهم دينا ودنيا وهذا من جودك غير وجود الدنيا والآخرة وأما جودك فى الآخرة فبالشفاعة وإعلاء الدرجات والإنقاذ من النار، ثم قال لدى قوله ومن علومك علم اللوح والقلم ما نصه: فإن قلت كيف يكون علم اللوح والقلم من بعض علم رسول الله وقد كتب القلم فى اللوح ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة؟

فالجواب: أن ثم فى الآخرة أموراً وجزئيات علم الرسول منها كثيراً كرؤية الزناة فى النار وأكلة الربا ورؤيته عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار، وإخباره عن عمه أبى طالب أنه أهون الناس عذابا يوم القيامة وأن فى رجليه نعلين من نار يغلى منهما دماغه، وإخباره عن أهل القليب أنهم سمعوا نداءه و لم يستطيعوا أن يردوا الجواب، وما

رآه ليلة الإسراء من الأمور والعجائب ولعل اللوح المحفوظ عار عن أحوال الآخرة والله أعلم.

والذى يشعر بهذا أن اللوح المحفوظ فيه ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة مفهومه أن ما فى يوم القيامة من الجزئيات ليست فيه وعبارة الشيخ إبراهيم الباجورى فى " شرحه " ها هنا واستشكل جعل الروح بعض علومه ﷺ بأن من جملة علوم اللوح والقلم الأمور الخمسة المذكورة فى آخر سورة لقمان مع أن النبى ﷺ لا يعلمها لأن الله تعالى قد استأثر بعلمها فلا يتم التبعيض المذكور وأجيب بعدم تسليم أن هذه الأمور الخمسة مما كتب القلم فى اللوح وإلا طلع عليها من شأنه أن يطلع على اللوح كبعض الملائكة المقربين وعلى تسليم أنها مما كتب القلم فالمراد أن بعض علومه ﷺ علم اللوح والقلم الذى يطلع عليه المخلوق فخرجت هذه الأمور الخمسة على أنه ﷺ لم يخرج من الدنيا إلا [١٨٣] بعد أن أعلمه الله بهذه الأمور.

فإن قيل فإذا كان علم اللوح والقلم بعض علومه ﷺ فما البعض الآخر؟ أجيب بأن البعض اللآخر هو ما أخبره الله به من أحوال الآخرة لأن القلم إنما كتب فى اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة فقط كما تقدم فى الحديث انتهى.

وقد نقل كلام البوصيرى هذا جماعة من فحول العلماء مسلمين له بل محتجين به.

إن مـــن جـــودك الدنـــيا وضرتها

وفى شرح الهمزية للعلامة ابن زكرى لدى قول أصله وفيه ارتقت الحقائق ما نصه: فيه باعتبار جملته احتمالات ووجوه ثم قال الخامس أن يراد ارتفاعها فيه باجتماعها له على التمام فإنه علم علم الأولين والآخرين وأوتى علم كل شيء ويكفيك فى هذا استمداد اللوح والقلم من علومه إذ هما مخلوقان وعلمهما محصور وهو ﷺ ممد المخلوقات وله علوم أخر من ربه متـــزايدة أبداً ويرحم الله البوصيرى حيث يقول:

ومـــن علومـــك عـــلم اللوح والقلم

ويأتى تقريره بأوسع من هذا انتهى منه بلفظه.

وفى " همزية " ابن زكرى هذا فيه ﷺ:

سـدرة المنـتهى انـتهى عـندها العـلم وعـلمك لـيس فـيه انتهاء

فإن قلت فما تقول فيما أخرجه مسلم والنسائى من حديث رافع بن خديج قال قدم نبى الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل أى بوضع طلع ذكورها فيها فقال ما تصنعون قالوا كنا [١٨٤] نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنفضت أى أسقطت حملها من ثمرها قال فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي [١] فإنما أنا بشر.

وفى حديث أنس عند مسلم أيضاً قال: « أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ ».[٢]

وفى حديث طلحة عنده أيضاً: « إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ فَإِنِّى إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا فَلاَ تُؤَاخِذُونِى بِالظَّنِّ وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئاً فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّى لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ».[٣]

وفى رواية أخرى عنه أيضاً وابن ماجه: « إِنَّمَا هُوَ ظَنٌّ إِنْ كَانَ يُغْنِى شَيْئاً فَاصْنَعُوهُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّ الظَّنَّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ وَلَكِنْ مَا قُلْتُ لَكُمْ قَالَ اللَّهُ فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ».[٤]

وقد أشكل هذا الحديث على الفحول من علماء الأصول وغيرهم مثل جمال الدين بن الحاجب وسيف الدين الآمدى وصفى الدين الهندى وأبى حامد الغزالى رحمهم الله وهى على الطريق التى سلكتموها فى حقه ﷺ وهى طريق إحاطة علمه بجميع المكونات والشرائع والديانات والأسباب والمسببات والظاهرات والخفيات أحق بالإشكال لمدافعته لهذه الطريق وهذا المقال.

---

(١) فى رواية من رأى.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣٦/٤، رقم ٢٣٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٣٥/٤، رقم ٢٣٦١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٨٢٥/٢).

والجواب والله الموفق للصواب أما عن طريق أهل الظاهر من أن الإحاطة بالأشياء كلها كونيا وغير الكونى إنما هى لله تعالى لا لغيره فجواب هذا الحديث ما ذكره علماء الظاهر من أن هذا القول لم يكن خبرا حتى يمتنع عليه الخلف فيه وإنما كان ظنا كما بينه فى بعض الروايات [١٨٥] قالوا ورأى الأنبياء عليهم السلام فى الأمور الدنيوية والمعايش التى لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها وظنهم كغيرهم فلا يمتنع عليهم فيها وقوع مثل هذا من اعتقاد بعض الأمور على خلاف ما هى عليه ولا نقيضة فى ذلك عليهم ولا وصم ولا حطيطة وسببه أن هذه أمور اعتيادية يعرفها من جربها ومارسها وجعلها همه والأنبياء عليهم الصلاة والسلام هممهم متعلقة بالملأ الأعلى وما يقرب إلى المولى وبالآخرة ومعارفها وعلوم الشرائع وأحوالها وبمصالح أممهم الدينية والدنيوية المرتبطة بالأمور الأخروية والأمور الدنيوية المحضة تضاد ذلك بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن جواز هذا ومثله عليهم إنما هو فى بعض الأمور النادرة وفيما سبيله التدقيق فى النظر وإعمال غاية الفكر لا فى الكثير المؤذن بالبله والغفلة وإنما قال عليه السلام: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا. لأنه لم يكن عانى أمر الزراعة ولا الأشجار ولا باشر شيئا من أمر الفلاحة فظن أن هذا التأبير لا يفعل شيئا ولا أثر له ولو بحسب الاقتران العادى وأن التخلص من عنائه أوفق وأولى لكون النخل تصلح بدونه فلما لم تحمل علم من ذلك أنه سبب عادى حقيقى وأنه من الأمور العادية التى ستر تعالى تأثير قدرته فى بعض الأشياء بها فجعلها مقارنة لها ومغطاة لها ليؤمن من سبقت له [١٨٦] السعادة بالغيب ويضل من سبقت له الشقاوة بالجهل والريب ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وقوله: إنما أنا بشر.

اعتذار لمن ضعف عقله مخافة أن يزله الشيطان فيكذب النبى ﷺ فيكفر أعاذنا الله من ذلك وإلا فلم يقع منه ما يحتاج إلى اعتذار وغاية ما جرى أنه مصلحة دنيوية لقوم خاصين لم يعرفها من لم يباشرها وعلى هذا فقوله: أنتم أعلم بأمر دنياكم.

معناه مني لكوني لا خبرة لي بذلك لأنه علم ذوق وتجربة ولم أتفرغ له بل كان شغلي بالأهم فالأهم مما له دخل في أمر الرسالة فأنتم أعلم مني بالمصالح الدنيوية الجزئية وأنا أعلم منكم بأمر الدين هذا حاصل ما قرره عياض في " الشفاء " وشراح مسلم كالنووي والأبي والسنوسي، وشراح " الجامع الصغير " كالعلقمي وغيرهم وهو كما ترى جواب إقناعي ويبعد كل البعد ما ذكروه فيه من أنه عليه السلام لم يكن عنده علم بسببية التأبير للنخل في صلاح الثمر ولذا لم يزل أهل الفضل قديماً وحديثا يسألون عن هذا الحديث ويتطلبون الجواب الشافي فيه حتى سأل صاحب " الإبريز " عنه شيخه مولانا عبد العزيز الدباغ رضي الله عنهما.

وها هنا جواب قد ذكره علي القاري في " شرحه " للشفا ونصه: وعندي أنه عليه الصلاة والسلام أصاب في ذلك الظن ولو ثبتوا على كلامه لفاقوا في الفن ولارتفع عنهم كلفة المعالجة فإنما وقع التغير بحسب جريان العادة ألا ترى أن من تعود أكل شيء أو شربه يتفقده [١٨٧] في وقته وإذا لم يجده يتغير عن حالته فلو صبروا على نقصان سنة أو سنتين لرجع النخيل إلى حاله الأول وربما أنه كان يزيد على قدره المعول انتهى منه بلفظه.

ومراده أن النخيل اعتادت التأبير فلما فقدته في تلك السنة تغيرت عن حالتها لفقدان عادتها ولو أنهم صبروا سنة أخرى أو سنتين لرجعت إلى أصلها بل ربما زادت ببركة امتثال أمره وربما يكون عدم الصلاح الحاصل في السنة الأولى اختبارا لثباتهم فلما لم يثبتوا لإرادة الله تعالى أن تلك العادة تبقى على حالها ولا تتغير ردهم إلى عادتهم وهو جواب حسن على ما وضحناه ويؤيده ما ذكر لنا عن بعض البلاد من صلاح النخل فيها بدون تأبير إلى الآن لعدم اعتياده فيها والله أعلم.

وأما عن طريق أهل الباطن هو ما قررناه من إحاطته عليه الصلاة والسلام بالعلوم الكونية دينية كانت أو دنيوية.

فعن هذا الحديث جوابان:

أحدهما: ما تقدم ويأتى عن غير واحد من الكبار كالقيصرى فى " شرح الفصوص " من أن هذه الإحاطة إنما هى من حيث مرتبته وحقيقته وهذا الحديث الشريف وأمثاله من حيث ذاته الترابية وبشريته.

وأقول يرد على هذا الجواب ما تقدم عن شيخ صاحب " الإبريز " من أن ذاته الشريفة حصل لها مع روحه الطاهرة كمال الاصطحاب حتى أمدتها بجميع ما عندها من العلم وصارا فى مرتبة واحدة فإنه يلزم من هذا أن تكون الذات محيطة بجميع ما تحيط به الروح ومن ذلك الأمور الدنيوية المحضة إلا أن يجاب بأن الذات يعرض لها [١٨٨] النسيان أو الغفلة عن الشيء بسبب من الأسباب العادية أو غيرها كالاستغراق فى الربوبية ولا كذلك الروح وهذا كما ترى جواب إقناعى لأن نسيان الذات لوصف الشيء المشتهر ذلك الشيء بالوصف به أو غفلتها عنه بعد عرض ذلك الشيء عليه وتوجهها إليه بعيد فتأمل.

الثانى: ما ذكره فى " الإبريز " ومحصله مع بعض بيان وإيضاح أن كلام النبى ﷺ حق وقوله صدق وأنه عليه السلام أراد أن يرقيهم من مقامهم الذى هو مقام سقوط هذه الأسباب وتلك الوسائط فى نظره واعتباره والجزم واليقين بأنه تعالى هو الفاعل بالإطلاق المبنى على مشاهدة سريان فعله تعالى فى سائر الممكنات مباشرة بلا واسطة ولا سبب بحيث إنه لا تسكن ذرة ولا تتحرك شعرة ولا يخفق قلب ولا يضرب عرق ولا تطرف عين ولا يومئ حاجب إلا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة لأن صاحب هذا المقام تخرق له العوائد وتنفعل له الأشياء بلا سبب أصلاً لما معه من الجزم الخارق للعادة فإذا أشار إلى سقوط الأسباب ونسبة الفعل إلى رب الأرباب كان قوله حقا وكلامه صدقا فلما لم يحصل للمخاطبين هذا الترقى فى ذلك الوقت وتلك الحال رعلم ﷺ أن الوصول إليه ليس فى طوقهم وأن الله تعالى أراد بقاءهم على عادتهم أبقاهم عليها وقال: أنتم أعلم بأمر دنياكم. أى العالمون بأمورها الواقفون مع أسبابها فاصنعوا ما ترونه ينفعكم فيها ويوصلكم إليها راجع عبارة " الإبريز " [١٨٩] فإنها أبسط من هذه ولكن هذا تقريبها وبيان ما أجمل أو أشير إليه منها والله أعلم.

فهذه هى نصوص العارفين من أهل الله التى وعدنا بها فيما قدمناه وأسلفناه وبعضها وإن لم يكن صريحا فى المقصود فهو آيل إليه بالطريق المحمود ومن قواعدهم فى مسائل الاشتباه والنـــزاع والخلاف الرجوع إلى ما يقوله الصوفية والصالحون لما لهم من النورانية والإنصاف وقد ذكروا أن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ مع جلالة قدرِ ورفعة شأنه وقوة فخره كان يرجع فى المسائل الدقيقة المشكلة إلى صوفية زمانه ويقول لهم ما تقولون فى هذا ويحكى عنه أنه كان يرسل إلى أبى حمزة البغدادى الصوفى دقائق المسائل ويقول له ما تقول فى هذا يا صوفى.

وحكى الشيخ قطب الدين بن أيمن أن أحمد هذا كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه يعنى لسؤالهم والرجوع إليهم والاهتداء بهديهم ويقول إنهم بلغوا فى الإخلاص منا ما لم نبلغه وإذعان غير واحد من العلماء الكبار لكثير ممن وجد فى زمانهم من الصوفية الأخيار والرجوع إليهم فى المسائل العويصة والمختلف فيها بين الأئمة شهير وشاهده قول موسى للخضر عليهما السلام ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦].

وفى " القوت " فى ترجمة ذكر وصف العلم وطريقة السلف فى السفر الأول ما نصه: وقال بعض العارفين علم الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم والحكم موقوف حتى يجيء الحاكم [١٩٠] يحكم فيه وقد كان علماء الظاهر إذا أشكل عليهم العلم فى مسألة لاختلاف الأدلة سألوا أهل العلم بالله لأنهم أقرب إلى التوفيق عندهم وأبعد من الهوى والمعصية منهم الشافعى ﷺ كان إذا اشتبهت عليه المسألة لاختلاف العلماء فيها وتكافأ الاستدلال عليها رجع إلى علماء أهل المعرفة فسألهم قال وكان يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يجلس الصبى بين يدى المكتب ويسأله كيف يفعل فى كذا وكيف يصنع فى كذا فيقال له مثل يا أبا عبد الله فعلمك وفقهك يسأل هذا البدوى فيقول إن هذا وفق لما أغفلناه وكان الشافعى رحمه الله قد اعتل علة شديدة وكان يقول اللهم إن كان فى هذا رضاك فزدنى منه فكتب إليه المعافرى . . . يا أبا عبد الله لست وإياك من رجال البلاء فنسأل الرضى الرضا الأولى بنا أن نسأل الرفق والعافية فرجع الشافعى

رحمه الله عن قوله هذا وقال استغفر الله تعالى وأتوب إليه فكان بعد ذلك رحمه الله يقول اللهم اجعل خيرتى فيما أحب، وقد كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين رضى الله عنهما يختلفان إلى معروف بن فيروز الكرخى رحمهم الله تعالى ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسنانه فكانا يسألانه.

وقد روى فى الخبر قيل يا رسول الله كيف نصنع إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسول الله ﷺ فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولا تقضوا فيه أمرا دونهم.

وفى حديث معاذ ﷺ فإن [١٩١] جاءك ما ليس فى كتاب الله ولا سنة رسول الله قال أقضى فيه بما قضى الصالحون فقال الحمد لله الذى وفق رسول رسوله وفى بعضها أجتهد رأيى انتهى المراد منه بلفظه.

وقد نقله جسوس فى آخر " شرحه لتصوف المرشد " ولكن بحذف بعضه ونقله أيضاً فى " الإحياء " فى كتاب العلم فى الباب الثانى بمعناه باختصار من غير عزو على عادته وتكلم شارحه الشيخ مرتضى على تخريج حديث سلوا الصالحين... إلى آخره فراجعه.

وفى " جمع الجوامع للسيوطى ": إن كنت لابد سائلاً فاسأل الصالحين. النسائى وابن قانع والطبرانى فى الكبير عن ابن الفراس عن أبيه.

وفيه أيضاً: وإن كنت لابد سائلا فاسأل الصالحين أحمد وأبو داود والبيهقى فى السنن عن أبى الفراسى أن الفراسى قال أسأل يا رسول الله قال فذكره.

قلت واجتماع الشافعى وكذا أحمد بشيبان الراعى أنكره المحدثون وأثبته غير واحد كأبى طالب المكى فى " قوته " كما تراه فى هذا الموضع عنه.

وفى " المقاصد الحسنة " للسخاوى و " الدرر المنتثرة " للسيوطى نقلاً عن ابن تيمية قال: ما اشتهر من أن الشافعى وأحمد بن حنبل اجتمعا بشيبان الراعى فهو باطل باتفاق أهل المعرفة لأنهما لم يدركا شيبان انتهى.

قال فى " شرح الإحياء " أى لم يدركا عصره لتقدم وفاته قال وقد تقدم أن الذهبى قال لا أعلم متى توفى وقد أثبت لقيهما إياه غير واحد من العلماء انتهى.

وقال فيه أيضاً فى الكلام على بيان دقائق الآداب الباطنة فى الزكاة ما نصه: إن المحدثين لا يثبتون لقاء الإمامين يعنى الشافعى وابن حنبل يعنى [١٩٢] بشيبان ويقدحون فيه وقد أثبت ذلك جماعة من العارفين كأبى طالب المكى والمصنف يعنى الغزالى والشيخ الأكبر وقد ذكر ذلك فى عدة مواضع من كتابه " الفتوحات المكية " وكتاب " الشريعة " انتهى.

وقال الشيخ أبو سالم العياشى فى " رحلته " ما نصه: المسألة إذا كانت ذات قولين وكان الصوفية مع إحدى الطائفتين ترجح قولهم لا محالة لما رزقوا من صدق الإلهام ونفوذ البصيرة مع تأييد الله لهم عند اشتباه الأمور فيميلون مع الحق أينما مال لرفضهم دواعى الهوى نص على ذلك غير واحد من الأئمة وقال فيها أيضاً أثناء كلام له على الدخان المشروب وإن غالب المتورعين من الفقهاء ومعهم جمع من الصوفية أرباب البصائر الصافية يصرحون فيها بالتحريم ما نصه: والذى اعتقده أن الفقهاء إذا اختلفوا فى حكم وكانت الصوفية فى جانب واحد فالحق معهم لأن الله يؤيدهم وهوى النفوس مفقود منهم فلا ينطقون إلا عن حق وصواب انتهى.

وقال ابن حجر الهيتمى فى " فتاويه الحديثية " نقلاً عن اليافعى قال إن علماء أعيان الأئمة من المجتهدين ومن بعدهم من الأئمة لم يزالوا قديماً وحديثا يعتقدون الصوفية ويتبركون بهم ويستمدون منهم ولقد وقع للتقى ابن دقيق العيد أنه قال فى حق فقير كان يعتقده ويخضع له هو عندى خير من مائة فقيه أو من ألف فقيه وكذلك النووى ﷺ كان يعتقد الشيخ يس المزين ويقبل إشارته حتى إنه أمره بالسفر ورد ما عنده من الكتب المستعارة قبل موته بقليل ففعل [١٩٣] وسافر من دمشق راجعا إلى بلده نوى فتوفى بها بين أهله وكذلك العز بن عبد السلام كان يبالغ فى تعظيم الصوفية انتهى المراد منه.

وقال الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " آخر الباب الرابع والستين وأربعمائة:

فكــن مــع القــوم حيــث كانوا ، ولا تكـــن دونهـــم فتشـــقى

فإنمـــا القـــوم أهـــل كشـــف أراهـــم الله الحـــق حقـــا

فهـــم عـــباد الإلـــه صـــدقـا رقـــوا مـــن العـــلم كـــل مـــرقى

وكلام الصوفية فى هذه المسألة قد علم وقرر وبأبسط بيان ذكر وحرر والنصوص الشرعية لا تأباه بل تعضده وتؤيد فحواه فإليه المصير وعليه التعويل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله وعليه لا على غيره اعتماد كل موفق فى سره ونجواه.

– خاتمة –

ولنختم هذا البحث المستطاب بخاتمة حسنة عزيزة الجناب يقبلها ويرتاح إليها كل حب وعالم نحرير ويصد عنها من لم يجعل الله فى قلبه نورا من كل مترسم وناعق شرير، وهى أن تعلم أنه كما أن البارى تبارك وتعالى لا يدرك بالكنه والحقيقة لمخلوق ولا يحاط به بوجه من الوجوه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة كذلك نبيه وحبيبه سيدنا محمد ﷺ الذى حقيقته الكلية الجامعة لجميع الأرواح ولسائر الحقائق الكلية والجزئية هى أول موجود اخترعه الله وأعظم مخلوق خلقه من ذاته [١٩٤] العلية على صورته السمية وهى جوهر بسيط روحانى فرد غير متحيز على – الصحيح – الجهة معبر عنه بالحقيقة المحمدية وبالروح الأعظم والأقدم وبالأوحد وبالحق المخلوق به وبالروح القدسى الكامل وبالإمام المشرع وبمرآة الحق وبالمادة الأولى وبالعقل الأول وبالقلم الأعظم وبالفيض الأول وباللوح المحفوظ وبمركز الدائرة وبالنفس الواحدة وبغير ذلك من الأسامى الكثيرة لا يدرك بلفظه والحقيقة ولا يحيط به أحد من الخليقة فى الدنيا ولا فى الآخرة ولا يعرفه حقيقة ولا يحيط به إلا خالقه جل وعلا ولذا قال القطب ابن مشيش رضي الله عنه فى صلاته المشهورة وله تضاءلت الفهوم يعنى تصاغرت وتقاصرت عن معرفة حقيقته وإدراكه بكنه مرتبته فلم يدركه أى لم يلحقه منا معاشر المخلوقات فى جميع العوالم وسائر [الأوقات] على وجه الإحاطة أو معرفة الكنه ولو فى صفة من

الصفات سابق من الأولين ولا لاحق من الآخرين لأهم لم يدركوا منه ﷺ إلا على قدر وسعهم وحالاهم وعقولهم واستعداداهم وأين وسعه ﷺ من وسعهم وحاله من حالهم وعقله من عقلهم واستعداده من استعداداهم ولذا كان يخاطب الناس على قدر عقولهم وهمتهم ويتنـــزل عن مرتبته لمرتبتهم ولم يظهر لهم من كماله وجماله وشئونه الباطنة وحاله إلا بنور الطاقة البشرية والأحوال الممكنة العادية وقد ذكر [١٩٥] الخلق من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين لم يدركوه عليه السلام بالكنه ولا بالإحاطة واستدلوا على ذلك بحديث: يا أبا بكر والذى بعثنى بالحق لم يعلمنى وفى لفظ لا يعرفنى حقيقة غير ربى. وهو حديث ذكره غير واحد من الصوفية ولم نقف الآن على من خرجه.

وفى صلوات سيدى محمد البكرى ﷺ من لا تدرك العقول الكاملة منه إلا مقدار ما تقوم عليها به حجته الباهرة ولا تعرف النفوس العرشية من حقيقته إلا ما تعرف لها به من لوامع أنواره الزاهرة.

وفى أول " شرح الإحياء " للشيخ مرتضى أن الشيخ الإمام تقى الدين السبكى والد التاج كان يقول لا يقدر أحد النبى ﷺ حق قدره إلا الله تعالى وإنما يعرف كل واحد من مقداره بمقدار ما عنده هو قال فأعرف الأمة بقدره ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ لأنه أفضل الأمة قال وإنما يعرف أبو بكر من مقدار المصطفى ﷺ ما تصل إليه قوى أبى بكر وثم أمور تقصر عنها قواه لم يحط ها علمه ويحيط ها علم الله انتهى.

وذكر الشيخ أبو عبد الله محمد بن على الخروبى الطرابلسى وهو أحد تلاميذ الشيخ زروق وخليفته من بعده ومؤلف كتاب " كفاية المريد وحلية العبيد " وشارح صلاة ابن مشيش هذه وغير واحد ممن تبعه أن حقيقته عليه السلام سر لطيف من أسرار الحق تعالى لم يطلع عليه [نبى مرسل] [١٩٦] ولا ملك مقرب لأن حقيقة أحمديته من السر المكنون والأمر المصون الذى تفرد به تعالى وما أدرك المؤمنون منه إلا ظاهر صورته المحمدية وهى التى عبر عنها أويس القرنى بالظل انتهى.

وذكر أيضاً لدى قوله فى شرح الصلاة المذكورة وله تضاءلت الفهوم إلى آخره ما نصه: أشار رحمه الله إلى خفى سر روحانيته الأحمدية ورفيع قدر صورته المحمدية إذ حقيقة ذلك لم يدركها أحد بفهمه ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء من ظواهر الأمور وجليها دون خفيها والفهوم كلت والعقول وقفت عندما طلبت الاستشراق وتضاءلت عن درك خفى سره والوقوف على حقيقة أمره وما يعلم ذلك إلا الذى خصه به سبحانه وإذا كان الولى لا تدرك حقيقته فى هذه الدار فكيف الرسل عليهم الصلاة والسلام فكيف بسيدهم وإمامهم ﷺ وما أدرك الناس من حقيقة أمره وخفى سره إلا على قدر عقولهم البشرية فما ظهر لهم من ذلك فهو نعمة عليهم ليعرفوا قدره ويعظموا أمره وما خفى عنهم منه فهو رحمة من الله بهم إذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم والله تعالى أرسله رحمة للعالمين فكانت النعمة فيما ظهر والرحمة فيما استتر.

ثم إن الناس فى اطلاعهم على سر نبوته وخصوصية رسالته بحسب مقاماتهم ومنازلهم فكل واحد كشف له فى ذلك بحسب مقامه وعلى قدر قرب روحه من روحه ﷺ وأعظم الناس كشفاً لذلك [١٩٧] وأكثرهم عليه إطلاعا الصديق ﷺ لأن ما كشف له من خصوصية الرسالة المحمدية وحقيقة الأسرار الأحمدية لم يكشف لأحد غيره ولهذا كان أشد الناس قربا منه ﷺ وأعظمهم خلة وأكثرهم تعظيما واحتراما وكان أول المؤمنين بنبوتة والصديقين برسالته من غير طلب دليل ولم يعتره توقف ولا تأويل انتهى نقله صاحب " الروضات العرشية ".

وفى " شرح الفصوص " للشيخ داود بن محمود بن محمد القيصرى فى الفصل العاشر من الفصول الاثنى عشر التى جعلها مقدمة للشرح ما نصه: اعلم أن الروح الأعظم الذى فى الحقيقة هو الروح الإنسانى مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها ولذلك لا يمكن أن يحوم حوله حائم ولا أن يروم وصله رائمم الدائر حول جنابه والطالب نور جماله يتقيد بالأستار لا يعلم كنهه إلا الله ولا ينال هذه الحقيقة سواه انتهى.

وقال السيد الشريف الجرجانى فى " تعريفاته " ما نصه: الروح الأعظم الذى هو الروح الإنسانى مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها ولذلك لا يمكن أن يحوم حولها حائم ولا يروم وصلها رائم لا يعلم كنهها إلا الله تعالى ولا ينال هذه البغية سواه وهو العقل الأول والحقيقة المحمدية والنفس الواحدة والحقيقة الأسمائية وهو أول موجود خلقه الله على صورته وهو الخليفة الأكبر وهو الجوهر النورانى جوهريته مظهر الذات ونورانيته مظهر علمها ويسمى باعتبار [١٩٨] الجوهرية نفسا واحدة وباعتبار النورانية عقلاً أولاً وكما أن له فى العالم الكبير مظاهر وأسماء من العقل الأول والقلم الأعلى والنور والنفس الكلية واللوح المحفوظ وغير ذلك له فى العالم الصغير الإنسانى مظاهر وأسماء بحسب ظهوراته ومراتبه فى اصطلاح أهل الله وغيرهم وهى السر والخفاء والروح والقلب والكلمة والروع والفؤاد والصدر والعقل والنفس انتهى.

وفى " همزية " العلامة ابن زكرى:

كنهك الأحمدى سر مصون ... عن علاه تقاصر العلماء

وفى أواخرها:

قصر القول فالجناب رفيع ... من يطاوله أعجزته السماء

وارض بالعجز غاية فقديما ... عجزت عن وصوله الشعراء

وفى " النفحات القدسية " للميرغنى لدى قول الأصل وله تضاءلت الفهوم ما نصه: أى ولأجل كماله وعظمته تصاغرت الفهوم فلم تدرك شيئا من حقيقته وتحاقرت الإدركات فلم تدرك شيئا من كمال حاله وصفته فكل من رام شيئا من ذلك رجع خاسئ الطرف عما هنالك وكل من قصد ذوق أنواره عاد معترفاً بعجزه واحتقاره وكل من نوى شم تلك الرائحة الطيبة انحلت نياته وعزماته الصبية فالكل فى بحر عجزه ونقصه غارق فلم يدركه منا سابق ولا لاحق وكيف يدرك من كان خلقه القرآن وذاته من نور ذات الرحمن ومن له كل مراتب الإحسان ومن هو الحبيب الأكرم والمخصوص بالتجلى الأعظم ومن هنا قال بعض العارفين رحمهم الله أجمعين لو

انكشفت حقيقته ﷺ [١٩٩] للخلق لارتدوا جميعا إذ من كانت صفاته صفات الرحمن وذاته من نور ذات المنان وهو مدرك بالحواس والعيان لا يختلف فى معبوديته اثنان ومن هنا اختلف الناس فى الأديان لما ظهر لهم من تجليه تعالى فى الجمادات والحيوان ولكن سبحان الحنان المنان الذى حفظ من شاء من عباده بالدليل والبرهان وحجز من أحب باليقين والعيان وإذا كان الأمر كذلك فليس إلى إدراكه من سبيل ولا إلى شم رائحة السيد النبيل ولكن غاية التحقيق والإدراك أنه سيد المرسلين والأملاك انتهى منه بلفظه.

وفى بردة المديح للبوصيرى:

أعـيا الورى فهم معناه فليس يرى	للقـرب والـبعد فـيه غير منفحم
كالشـمس تظهـر للعينين من بعد	صـغيرة وتكـل الصـرف من أمم
وكـيف يـدرك فى الدنيا حقيقته	قـوم نـيام تسـلوا عـنه بالـحلم
فمـبلغ العـلم فـيه أنـه بشـر	وأنـه خـير خلـق الله كلهـم

ومعنى البيت الأول والثانى - أعيا جميع الخلق - فهم معناه وإدراك حقيقته المحمدية لعسر بل عدم إمكان التوصل إليها والعلم بكنهها والإحاطة بها على ما هى عليه فاستوى فى عدم فهمها والعجز عن إدراكها القريب منه والبعيد عنه لا فى المكان ولا فى الزمان ولا فى المكانة والمنـزلة فليس يبصر شخص أو مخلوق غير عاجز عن إدراكها كائنا من كان من الجن أو من الملائكة أو من الآدميين ممن تقدمه ولم يدرك زمنه كالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أو ممن عاصره ورآه كالخلفاء الأربعة أو ممن عاصره ولم يره من المخضرمين كأويس القرنى [٢٠٠] أو ممن لم يعاصره ولم يدركه ممن أتى بعدهم كأقطاب هذه الأمة وأفرادها وأوتادها وأئمتها فرض رؤيته له يقظة أو مناما كالجيلى والشاذلى والمرسى وعدم رؤيته له بالكلية كالكثير من هذه الأمة من أهل الباطن والشهود كالصوفية الصافية أو لا كالعلماء الظاهرية أو من غيرهم من سائر المخلوقات فالكل مستوون فى عدم الوصول إليها والمعرفة بكنهها

فأشبه الشمس التي أعيت مبصرها والناظر إليها واستوى في عدم الوصول لحقيقتها القريب والبعيد منها فإنها تظهر لرائيها من البعد صغيرة بقدر المرآة وتغشى بصره وتضعفه بل تكاد تعميه من قريب لقوة نورها ولعظم جرمها فلا يتمكن من النظر إليها فاستوى في عدم معرفة حقيقتها القريب منها والبعيد إلا أن جهل القريب منها بسيط وجهل البعيد مركب لكونه أدركها على خلاف حقيقتها حيث رآها صغيرة فظن أنها كذلك في نفس الأمر وهي ليست كذلك وكذا حال القريب والبعيد منه عليه الصلاة والسلام فالبعيد يدركه بحسب قصور علمه على خلاف مقامه لأنه لا يعلم منه إلا ما ظهر والقريب تحجبه أنواره السنية الباهرة وما لها من الاتساع والعظمة الظاهرة عن التمكن من رؤيته والوصول إلى حقيقته فتساويا في الجهل وإن افترقا بالبساطة والتركيب وما أحسن قول من قال في هذا المعنى:

رأوك بالعين فاستغوتهم ظنن ولم يروك بفكر صادق الخبر

[٢٠١]ومعنى البيت الثالث وكيف يدرك حقيقته ويصل إلى فهم معناه قوم غافلون عن ذلك محجوبون عنه هنالك اكتفوا عن النظر في حقيقته تفصيلاً بما يرونه في منامهم وهو الحلم أو بما يشبهه وهو ما أدركه بعضهم من الصورة الظاهرة أو خبرها والحقيقة المحمدية لا تدرك البتة ولا تنال بوجه أو حال وإنما يتحصل منها المثال أو الخيال وحال الناس قاطبة بالنسبة إليها كحال النائم فكما أن النائم لا يرى في حلمه إلا الخيالات والأمثلة وهو في بعد عن إدراك الحقائق كذلك هم لا يرون من الحقيقة المحمدية إلا خيالها ومثالها وهم في بعد عن إدراكها ضرورة قصور العقول عنها وحجبت البصائر والأبصار عن الوصول إلى شيء منها كما أنها محجوبة عن رؤية الذات العلية إلا من وراء حجاب الكبرية لكن قوله في الدنيا يوهم أن حقيقته ﷺ تدرك في الآخرة وقرره بذلك كثير من الشراح وعللوه بأنه في الآخرة يزول الاشتباه ويحصل الانتباه ويكمل نور البصائر والأبصار فتدرك الحقائق والأسرار والدقائق والأقدار فيدركون حينئذ حقيقته ويعرفون مكانته ومنزلته ولذا قال بعضهم كما نقله عياض في " الشفا " عنه أن امتناع رؤية الخلق للحق تعالى في الدنيا إنما كان

لضعف تراكيب أهل الدنيا وقواهم وكونها معرضة للآفات والفناء فإذا كان فى الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم الله أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية [٢٠٢] طريق السادة الصوفية نظر فإن بين الخلق وبين إدراك حقيقته ﷺ مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر عنها الخطا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة والأظهر كما قاله بعض الكبار أن قوله فى الدنيا وصف طردى لا مفهوم له والمراد فى الدنيا وفى الآخرة لا يدرك حقيقته أحد فيهما وكأنه لما لمح هذا لبعض شراحه تأول عبارته وقال أراد بحقيقته قدره ومنـــزلته فإنها لا تظهر فى الدنيا لكل الخلق وفى الآخرة تظهر لجميعهم ولهذا التأويل يشير جلال الدين المحلى فى شرحه بقوله أما فى الآخرة فيظهر لكل الخلق قدره منـــزلته انتهى.

وقال أبو عبد الله الأليورى فى شرحه يحتمل أن يكون هذا المفهوم معطلاً وأن ذلك السر وفهم ذلك المعنى لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه فى الدنيا ولا يطلعه فى الآخرة والله أعلم بذلك كله ولا يستبعد أن يدرك فى تلك الدار من ذلك السر وفهم تلك الحقيقة ما لم يدرك فى الدنيا انتهى.

وقد سئلت هل أدرك النبى ﷺ فى هذه الدنيا حقيقته فأجبت بأنه أدركها بالرؤية والاجتماع والاطلاع على ما لم يطلع عليه غيره من المخلوقات من أحوالها وأسرارها وكمالاتها وذلك ليلة الإسراء به كما ذكره غير واحد من الكبار من أن من حكم الإسراء به اجتماع بشريته الطاهرة لحقيقته الباهرة وإلى ذلك عند بعضهم الإشارة بقوله تعالى ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم: ١٨]أى الآية الكبرى التى لا أكبر منها فى المخلوقات وهى حقيقته المحمدية [٢٠٣] وإن شئت قلت الأحمدية ومعلوم أنه لا يلزم من هذه الرؤية الإحاطة بها ولا معرفة الكنه فنقف عن الخوض فى ذلك إلا بتوقيف والله أعلم.

ومعنى البيت الرابع أن منتهى ما وصل إليه علم الخلق فيه أنه بشر من البشر ورجل من بنى آدم ومن العرب ولد بمكة وتوفى بالمدينة وأنه رسول الله ﷺ وحبيب الله أرسله إلى جميع الخلق وأنه خير الخلق أجمعين ونحو هذا مما هو فى معناه وهو ﷺ فوق

هذا بمراحل كثيرة ومسافات بعيدة ومراتب أخر عالية ومقامات مرتفعة لا تحصى ولا تحصر وفوق هذا الفوق وفوق ما فوقه إلى ما لا يعقل ولا يعرف بل يجهل من مراتب القرب والدنو والمدد والإمداد والخلافة المطلقة والوكالة المفوضة والنيابة عن الله تعالى فى كل شيء من غير أن يدعى فيه شيء مما ادعته النصارى فى عيسى أو أن يقال أنه موصوف بشيء من أوصاف الربوبية تعالى سبحانه عن أن يكون معه شريك أو يكون له مثل فى ذات أو فى صفة من أوصافه أو فى فعل من أفعاله.

وفى " الطبقات الشعرانية " فى ترجمة أبى المواهب الشاذلى قال: رأيته ﷺ مرة فقلت يا رسول الله قول البوصيرى فمبلغ العلم فيه أنه بشر معناه منتهى العلم فيك عند من لا علم عنده بحقيقتك أنك بشر وإلا فأنت وراء ذلك كله بالروح القدسى والقالب النبوى فقال ﷺ صدقت وفهمت مرادك انتهى.

وقد روى عن أويس بن عامر [٤٠٢] القرنى التابعى الجليل ﷺ أنه قال للصحابة رضوان الله عليهم حين اجتماعه بهم بعد وفاة رسول الله ﷺ والله ما رأيتم من رسول الله ﷺ إلا ظله وفى رواية ما رأيتموه إلا كالسيف فى غمده فقالوا له ولا ابن أبى قحافة فقال ولا ابن أبى قحافة.

ولما ذكر هذا الكلام عند الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ قال صدق أويس إن عليا كان مقامه إدراك نفس رسول الله ﷺ وعثمان إدراك قلبه وعمر إدراك عقله وأبو بكر إدرك روحه، وحقيقة رسول الله ﷺ سر مكنون لا يطلع عليه إلا الله تعالى انتهى.

قلت وبيان هذا الكلام أن تعلم أن فى الإنسان خمس مقامات مقام النفس ومقام القلب ومقام العقل ومقام الروح ومقام السر وهو أعلى من الروح وألطف وهو محل المشاهدة والمسمى بمقام الحقيقة ثم إنه تارة تغلب عليه صفة هذا المقام وتارة هذا وتارة هذا وسيدنا محمد ﷺ له باعتبار وجوده الأول النورانى سر ويسمى حقيقة وهو الحقيقة الكلية المحمدية وهذه الحقيقة لها روح وعقل وقلب ونفس كما أن له باعتبار وجوده الثانى البشرى سراً وروحاً وعقلاً وقلباً ونفساً على طبق الوجود الأول فأول أطواره ومراتبه فيه الصورة السرية المطابقة للحقيقة الكلية وهى غيب لا يعلمه إلا الله . . .

الصورة التى [٢٠٥] للعقل الأول ثم الصورة العقلية المطابقة للصورة التى للنفس الكلية ثم الصورة القلبية المطابقة للصورة الهيولى الكل ثم الصورة النفسية المطابقة لصورة الجسم الكل وهذه هى مراتب بطونه عليه السلام ثم الصورة الأعضائية الجسدية البشرية المطابقة لصورة العالم الكبير وهى مرتبة ظهوره وغاية ما أدركه الصحابة منه مرتبة جسده الشريف الطاهر وما احتوى عليه من الكمالات الظاهرة التى هى مرتبة ظهوره مع ما أدركه الكثير منهم من مراتب بطونه مما هو وراء الحقيقة والسر.

– مقام سيدنا أبى بكر الصديق ﷺ –

فكان مقام سيدنا أبى بكر الصديق ﷺ الغالب عليه إدراك مرتبة روحه عليه الصلاة والسلام لما غلب عليه من علم الحقائق والانقباض على العلوم الحقيقية كما هو شأن الروح وهو غاية ما أدركه منه النبيون والمرسلون والأقطاب ومن ضاهاهم من الأفراد بل غاية ما أدرك منه عليه الصلاة والسلام مطلقا.

– مقام سيدنا عمر ﷺ –

ومقام سيدنا عمر ﷺ الغالب عليه إدراك مرتبة عقله عليه السلام لما غلب عليه من التدبر فى العلوم كما هو شأن العقل وهو دون المقام الأول وبينهما بون كبير فى المعارف والعلوم ومن العارفين من وصل أيضاً إلى هذه المرتبة فتكون علومه ومعارفه بحسبها.

– مقام سيدنا عثمان ﷺ –

ومقام سيدنا عثمان ﷺ الغالب عليه إدراك مرتبة قلبه عليه السلام لما غلب عليه من التفكر كما هو شأن القلب وهو دون مقام العقل وبينهما أيضاً بون كبير [٢٠٦]

فى المعارف والعلوم ومن العارفين من وصل أيضاً إلى هذه المرتبة فتكون علومه ومعارفه بحسبها.

– مقام سيدنا على ﷺ –

ومقام سيدنا على ﷺ الغالب عليه إدراك مرتبة نفسه عليه الصلاة والسلام لما غلب عليه من علم الشرائع والانبساط بها كما هو شأن النفس وهو دون مقام القلب وبينهما أيضاً بون كبير فى المعارف والعلوم ومن العارفين من وصل أيضاً إلى هذه المرتبة فتكون علومه ومعارفه بحسبها.

– مقام سره عليه الصلاة والسلام –

ومقام سره عليه الصلاة والسلام الذى هو مرتبة حقيقته التى هى محض النور الإلهى والفيض الذاتي لا مطمع لأحد فى نيله وإدراكه بل عجزت العقول والإدراكات من كل مخلوق حتى من الخاصة العليا عن إدراكه وفهمه.

– الفرق بين المقامات السابقة –

وقد ذكر نقلاً عن شيخه أبى العباس أحمد التيجانى لذكر الفرق بين هذه المقامات باعتبار الوجود الأول أثناء كلام له على الحقيقة المحمدية فلنذكره بتمامه لفائدته.

فنقول قال فيها فى الباب الرابع فى الفصل الثانى ثم فى الباب الخامس أيضاً فى الفصل الثالث نقلاً عن شيخه المذكور ﷺ قال فى كلام له بعد ما ذكر أن أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب هو روح سيدنا محمد ﷺ ثم نسل الله تعالى أرواح العالم من روحه ما نصه: أما حقيقته المحمدية ﷺ فهى أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب وليس عند الله من خلقه موجود قبلها لكن هذه الحقيقة لا تعرف بشيء [٢٠٧] وقد تعسف بعض العلماء بالبحث فى هذه الحقيقة فقال إن قلتم أن هذه الحقيقة مفردة ليس معها شيء فلا تخلو إما أن تكون جوهرا أو عرضا فإنها إن

كانت جوهرا افتقرت إلى المكان الذى تحل فيه فلا تستقل بالوجود دونه فإن وجدت مع مكانها دفعة واحدة فلا أولية لها لأنهما اثنان وإن كانت عرضا ليست بجوهر فالعرض لا كلام عليه إذ لا وجود للعرض إلا قدر لمحة العين ثم يزول فأين الأولية التى قلتم؟

والجواب عن هذا المحط أنه جوهر حقيقة له نسبتان نورانية وظلمانية وكونه مفتقرا إلى المحل لا يصح هذا التحديد لأن هذا التحديد يعتد به من تثبط عقله فى مقام الأجسام والتحقيق أن الله تعالى قادر على أن يخلق هذه المخلوقات فى غير محل تحل فيه وكون العقل يقدر استحالة هذا الأمر بعدم إمكان وجود الأجسام بلا محل فإن تلك عادة أجراها الله تعالى تثبط بها العقل ولم يطلق سراحه فى فضاء الحقائق ولو أطلق سراحه فى فضاء الحقائق لعلم أن الله تعالى قادر على خلق العالم فى غير محل وحيث كان الأمر كذلك فالله تعالى خلق الحقيقة المحمدية جواهرا غير مفتقر إلى المحل ولا شك

أن من كشف له عن الحقيقة الإلهية علم يقينا قطعيا أن إيجاد العلم فى غير محل ممكن إمكانا صحيحا أما الحقيقة المحمدية فهى فى هذه المرتبة لا تعرف ولا تدرك ولا مطمع لأحد فى نيلها فى هذا الميدان ثم استترت بألباس – أى جمع لبس بكسر فسكون لغة فى لباس – من الأنوار الإلهية واحتجبت بها عن الوجود فهى فى هذا [٢٠٨] الميدان تسمى روحا بعد احتجابها بالألباس وهذا غاية إدراك النبيين والمرسلين والأقطاب يصلون إلى هذا المحل ويقفون ثم استترت بألباس من الأنوار الإلهية أخرى وبها سميت عقلاً ثم استترت بألباس من الأنوار الإلهية أخرى فسميت بسببها قلبا ثم استترت بألباس من الأنوار الإلهية أخرى فسميت بسببها نفسا ومن بعد هذا ظهر جسده الشريف ﷺ فالأولياء مختلفون فى الإدراك لهذه المراتب فطائفة غاية إدراكهم نفسه ﷺ ولهم فى ذلك علوم وأسرار ومعارف وطائفة فوقهم غاية إدراكهم قلبه ﷺ ولهم فى ذلك علوم وأسرار ومعارف أخرى وطائفة هم الأعلون بلغوا الغاية القصوى فى الإدراك فأدركوا مقام روحه ﷺ وهو غاية ما يدرك ولا مطمع لأحد بدرك الحقيقة

فى ماهيتها التى خلقت فيها وفى هذا يقول أبو يزيد غصت[1] لجة المعارف طلبا للوقوف على عين حقيقة النبى ﷺ فإذا بينى وبينها ألف حجاب من نور لو دنوت من الحجاب الأول لاحترقت به كما تحترق الشعرة إذا ألقيت فى النار.

وكذا قال الشيخ مولانا عبد السلام فى صلاته وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق.

وفى هذا يقول أويس القرنى ﷺ لسيدنا عمر وسيدنا على رضى الله عنهما لم تريا من رسول الله ﷺ إلا ظله.

قالا: ولا ابن أبى قحافة قال ولا ابن أبى قحافة فلعله غاص لجة [٢٠٩] المعارف طلباً للوقوف على عين الحقيقة المحمدية فقيل له هذا أمر عجز عنه أكابر الرسل والنبيين فلا مطمع لغيرهم فيه انتهى منه بلفظه فى المحلين.

وفى " الكبريت الأحمر فى بيان علوم الشيخ الأكبر " للعارف بالله سيدى عبد الوهاب الشعرانى نقلاً عن الشيخ فى " شرحه لترجمان الأشواق " قال ما نصه: اعلم أن **المقام المحمدى ممنوع من دخوله لنا وغاية معرفتنا به النظر إليه كما ننظر الكواكب فى السماء وكما ينظر أهل الجنة السفلى إلى من هو فى عليين قال وقد فتح للشيخ أبى يزيد البسطامى من مقام النبى قدر خرم إبرة تجلياً لا دخولاً فاحترق انتهى.**

وفى الفتوحات المكية فى الباب الثامن والثلاثين فى معرفة من اطلع على المقام المحمدى ولم ينله من الأقطاب ما نصة: وممن تحقق بهذا المقام معنا أبو يزيد البسطامى ﷺ كشف الله له بعد السؤال والتضرع عن قدر خرم الإبرة فأراده أن يضع قدمه فيه فاحترق فعلم أنه لا ينال ذوقاً وهو كمال العبودية وقد حصل لنا منه ﷺ شعرة وهذا كثير لمن عرف فما عند الخلق منه إلا ظله ولما أطلعنى الله عليه لم يكن عن سؤال وإنما كان عن عناية إلهية من الله ثم إنه أيدنى فيه بالأدب رزقاً من لدنه وعناية من الله بى فلم يصدر منى هناك ما صدر من أبى يزيد بل اطلعت عليه وجاء الأمر بالرضا فى سلمه

---

(١) فى نسخة خضت.

فعلمت أن ذلك خطاب ابتلاء وأمر ابتلاء صدر لا خطاب تشريف على أنه قد يكون بعض الابتلاء تشريفا فتوقفت [٢١٠] وسألت الحجاب فعلم ما أردت فوضع الحجاب بينى وبين المقام وشكر لى ذلك فمنحنى منه الشعرة التى ذكرناها اختصاصاً إلهياً فشكرت الله على الاختصاص بتلك الشعرة غير طالب بالشكر الزيادة وكيف أطلب الزيادة من ذلك وأنا أسأل الحجاب الذى هو من كمال العبودية فسرت فى العبودية وظهر سلطانها وحيل بينى وبين مرتبة السيادة ولله الحمد على ذلك و لم أطلبها وما أحببت وهكذا إن شاء الله تعالى أكون فى الآخرة عبداً محضاً خالصاً ولو ملكنى جميع العالم ما ملكت منه إلا عبوديته خاصة حتى يقوم بذاتى جميع عبودية العالم انتهى منه بلفظه.

وقال فى " شرحه للوصية اليوسفية " ولقد روينا عن أبى موسى الدبيلى عن أبى يزيد البسطامى ﷺ أنه سأل الله تعالى رؤية مقام رسول الله ﷺ فقيل له إنك لا تطيق أى نورك الذى ترى به يضعف عن إدراك ما تطلبه من ذلك مع كون الحق فى هذه الحال بصره فكيف به لو لم يكن بصره فألح فى السؤال قال أبو يزيد ففتح لى من ذلك قدر خرام إبرة فلم أطق الثبوت عند ذلك واحترقت هذا قوله عن نفسه والواصفون لذاته الشريفة ﷺ ممن تقدم أو تأخر من البلغاء والشعراء وأرباب العشق والمحبة وغيرهم وإن بالغوا وأكثروا وتفننوا لم يصلوا لتصوير كنهها وما هى عليه فى نفسها لعدم علمهم بذلك والمعبرون عنها وإن عبروا وأطنبوا فما أعربوا عنها ولا قاربوا لقصور [٢١١] العبارات كلها فى جميع اللغات عن الوفاء بما هنالك والراءون لها والناظرون فى أحوالها وشئونها وأخبارها وإن أدركوا لوائحها وصورها لم يدركوا شيئا من حقائقها لعجزهم عن الحقيقة والمعدودون لكمالاته وصفاته لم يبلغوا عشر المعشار من عشرها لعدم إحاطتهم بها وعدم انتهائها حقيقة والممثلون لها والمقررون لحسنها وكمالها لم يمثلوا وصفا واحداً منها على ما هو به من التمام والكمال لعدم معرفتهم بما هى عليه من الجلال والجمال وغاية ما حصل للكل كغاية ما يحصل لمن ينظر إلى النجوم فى السماء أو يراها فى الماء فإنه إنما يدرك شيئا من صورها الحاكية لمباديها دون حقائقها

ودون ما هى عليه من الكبر والاتساع ودون ما فيها من الضوء المالئ للأصقاع ولذا يشير البوصيرى فى همزيته بقوله:

إنمـــا مـــثلوا صـــفاتك للـــنـــ ـــــاس كمـــا مـــثل الـــنجوم الماء

وفى " جواهر المعانى " نقلاً عن شيخه أن معنى هذا البيت أن الأنبياء والمرسلين إنما ظهر عليهم من صفات النبى ﷺ ما هو كظهور النجم فى الماء قال ولهذا تقاعس عن إدراك حقيقة سره جميع الكبراء راجعه.

وفى " حاشية ابن التلمسانى على الشفا " قال: لم يقدر أحد على وصفه حقيقة وما ورد من وصف ابن أبى هالة له إنما هو على جهة التمثيل تقريبا للسامع وإلا فكل وصف يعبر به الواصف فى حقه ﷺ فهو خارج عن صفته ولا يعلم حسنه وجماله إلا خالقه تعالى [٢١٢] انتهى.

وقال القطب عبد الله المحجوب الميرغنى فى " نفحاته القدسية " لدى قول أصله فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ما نصه: اعلم أن من أعظم الواجبات على كل مكلف أن يتيقن أن كمالات نبينا ﷺ لا تحصى وأن أحواله وصفاته وشمائله لا تستقصى وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط فى مخلوق وأن حقه على الكمل فضلا عن غيرهم أعظم الحقوق وأنه لا يقوم ببعض ذلك إلا من بذل وسعه فى إجلاله وتوقيره وإعظامه واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه وأن المادحين لجنابه العلى والواصفين لكماله الجلى لم يصلوا إلى قل من كل لا حد لنهايته وغيض من فيض لا وصول إلى غايته بل فى الحقيقة لم يمدحوه بوصف إلا بحسب فهمهم ذلك وجلت أوصافه ﷺ أن تكون إلا من وراء ما هنالك فوصف العجز والتقصير عم الجليل والحقير وهو حقيقة الإدراك والعرفان عند العارفين ذوى الشأن، ولذا قال أفضلهم على التحقيق سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ العجز عن درك الإدراك إدراك انتهى منه بلفظه.

وفى " الروضات العرشية فى الكلام على الصلوات المشيشية " لسيدى مصطفى البكرى لدى قولها فأعجز الخلائق ما نصه: اعلم أن نبينا ﷺ لما كان مستوعباً سائر الكمالات الظاهرة والباطنة وكان هيكله الظاهر لنا أصل كل كمال حسى ظاهر

ومعناه الباطن أصل كل كمال غيبي باطن وكان الكمال الظاهر من فيض صورته [٢١٣] الظاهرة والباطن عن فيض معانيه الباطنة عجز الواصفون عن وصف صفة من صفاته على الكمال وأقروا بعدم المعرفة له من معرفته بما هو عليه من الجلال والجمال ولأنه جامع لمحاسن الأخلاق لا على وصف التقييد بل على وصف الإطلاق و لم تكن أخلاقه كسبية بل جبلية ضرورية فما اتصف متصف بصفة كمال على الكمال كاتصافه ولا اغترف مغترف من بحر المعرفة كاغترافه فكل صفة من صفاته خصها الإله بالوسع الإلهى فلا تدخل تحت قيد حصر ولا تناهى ولما تخلق باسمه تعالى الواسع وسع العالمين كلهم ذاتاً وخلقاً وأدرك أسرار الكائنات على التفصيل حقاً وطبقاً فلم يصف واصف صفة من صفاته فبلغ ثلثى عشرها ولا أنصف ولا مدحه مادح وبالغ إلا وقيل فيه ما أنصف ولو اعترف بالعجز والقصور عن ارتقاء هذه المعالى والقصور كان فى فعله مصيباً ونال من معرفة ذلك نصيبا.

قال سيدى محمد البكرى قدس الله سره فى " صلواته النبوية ": من غاية المجد الجاد فى الثناء عليه الاعتراف بالعجز عن اكتناه صفاته ونهاية البليغ المبالغ أن لا يصل إلى مبالغ الحمد على مكارمه وهباته وأنشد البوصيرى فى البردة قوله:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

أى غاية علم الحقائق فيه ما ذكر وثم ما لا تصل إليه أفهامهم ولا تتعلق به أوهامهم لأن العقول قاصرة غير باصرة معقولة [٢١٤] وعرى التحقق فى هذا المقام غير مشدودة بل محلولة ومن كشف له الحجاب وأزيل عنه النقاب ورأى نور الحق ظاهراً لا غيره وزالت عنه الغيرة كلية وثبتت فيه الحيرة وشاهد فناء الأشياء عند تجليه ورأى انمحاقهاعند ظهوره وتدليه لم يدرك حقيقة شيء من الأشياء وجود الحق هو الثابت ووجودها كالأفياء وإلى هذا أشار الحاتمى قدس الله سره بقوله:

ولست أدرك من شيء حقيقته وكيف أدركه وأنتم فيه

أى من حيث الإمداد العلى والإسعاد الجلى وإذا كان الأمر كذلك فكيف تدرك فى الدنيا حقيقة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم انتهى منه بلفظه.

– الحقيقة المحمدية لها ظاهر وباطن –

واعلم أن هذه الحقيقة لها ظاهر وباطن فظاهرها هو المحمدية التى هى الروح فما وراءها وولايته ﷺ العامة وهى الممدة لسائر الخلائق وباطنها هو الأحمدية التى هى السر وولايته ﷺ الخاصة وهى الممتدة من الحى المؤيد الخالق وحينئذ فهما حضرتان حضرة الأحمدية وهى باطن المحمدية وحضرة المحمدية وهى ظاهر الأحمدية وهى دونها رتبة وقد يسمى المجموع حقيقة محمدية باسم الظاهر وحقيقة أحمدية باسم الباطن وقد يفرق بينهما وفى عبارة بعضهم قال لحقيقته ﷺ النورانية جهتان جهة أحمديته وهى ما تضمنته حقيقته من الأمر الذى سبق به فى الحمد كل حامد لله تعالى فى الوجود وهو علو العلم بالله والمعرفة به بما ليس للغير [٢١٥] فيه مطمع ولذا لم يحمد الله أحد فى الوجود مثل حمده وسبق حمده لله حمد كل حامد وجهة محمديته وهى ما تضمنته أيضاً من الأمر الذى كثر به حمد الخلائق له وهو إحسانه إليهم بما صدر على يديه من نعمتى الإيجاد والإمداد ولذا لم يحمدوا أحداً فى الوجود مثل حمده انتهى.

ولك أن تقول فى الفرق بينهما أيضاً الحقيقة الأحمدية عبارة عن حضرة التعين الأول الذى هو القبضة الأصلية الناشئة عن المحبوبية الصرفة التى ليس فيها شيء من شائبة المحبية وهى أسبق فى الحكم وفى الوجود وأقرب إلى المعبود لأنها أقرب من المحمدية بمرحلة واحدة وأرفع حضرة فى الموجودات وأبعد عن عالم المخلوقات وعلومها أغزر والرغبة فيها أكثر والحقيقة المحمدية عبارة عن حضرة تعين ثان وأنوار أخرى ناشئة عن المحبوبية أيضاً لكن لا عن محبوبية صرفة بل ممتـــزجة بشيء من المحبية فائضة من الأحمدية ومجللة لها كاللباس المجلل للشيء والساتر له وهى أوسع حيطة من الأحمدية وأشمل جمعا ولكل واحدة منهما بحكم جمعيتها وإحاطتها اشتمال على الأخرى مع رجوع جميع أسمائه ﷺ وأوصافه إليهما سلبية كانت أو ثبوتية ولذا كانت أسماؤه عليه السلام كلها داخلة تحت حيطة اسمى هاتين الحضرتين وهما أحمد ومحمد لأن أحمد بمثابة اسمه تعالى أحد الذى هو أصل ومنشأ لجميع الإعدامات والسلوب فيدخل تحته جميع الأسماء السلبية، ومحمد بمثابة اسمه تعالى الواحد الذى هو أصل ومنشأ

[٢١٦] لجميع الاعتبارات الغير متناهية فيدخل تحته جميع الأسماء الثبوتية، وأحمد أيضاً بمثابة الاسم الباطن ولذا كان اسما له من حيث بطونه، ومحمد بمثابة الاسم الظاهر ولذا كان اسما له من حيث الظهور للخلق ولو بواسطة، وأحمد أيضاً بمثابة الاسم الأول ولذا كان اسما له من حيث تعينه الأول ومحمد بمثابة الاسم الآخر ولذا كان اسما له من حيث تعينه المتأخر عنه والأولى وهى الأحمدية ذكر غير واحد أنها غيب من غيوب الله تعالى وسر من أسراره لم يعثر أحد على ما فيها من فيض الله ومعارفه وعلومه و لم يقع لأحد منها ذوق أصلاً ولو من النبيين والمرسلين فضلا عن غيرهم لا بالتبعية له ولا بالاستخلاف عنه ولا بغير ذلك لأنها نظير الأحدية المختصة به تعالى ولا ذوق فيها لأحد أصلاً والثانية وهى المحمدية منها بالفيض ومنها المدد لسائر المخلوقات لأنها نظير الواحدية أو تقول مرتبة الألوهية التى وقع الفيض منها على كل مخلوق وهذا لأنه عليه السلام مخلوق على الصورة الإلهية ولذا كانت أحمديته سابقة فى الوجود على محمديته والمحمدية متأخرة عنها ومفاضة منها كما أن الأحدية الذاتية سابقة فى التعقل على الواحدية ومنها وقع الفيض عليها فافهم.

وفى " جواهر المعانى " نقلاً عن الشيخ أبى العباس أحمد التيجانى فى " شرحه للصلاة الغيبية فى الحقيقة الأحمدية " قال بعد ذكره للأحمدية ما نصه: ثم إنها فى نفسها غيب من أعظم غيوب الله تعالى فلم يطلع أحد على ما فيها من المعارف [٢١٧] والعلوم والأسرار والفيوضات والتجليات والمنح والمواهب والأحوال العلية والأخلاق الزكية فما ذاق منها أحد شيئا ولا جميع الرسل والنبيين اختص بها ﷺ وحده بمقامها وكل مدارك النبيين والمرسلين وجميع الملائكة والمقربين وجميع الأقطاب والصديقين وجميع الأولياء والعارفين كل ما أدركوه على جمله وتفصيله إنما هو من فيض حقيقته المحمدية وأما حقيقته الأحمدية فلا مطمع لأحد فى نيل ما فيها انتهى المراد منه بلفظه وانظر بقيته.

وفى شرح صلاة أبى الفتيان سيدى أحمد البدوى للشيخ العارف العلامة أبى زيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس لدى قوله فيها صاحب القبضة الأصلية ما نصه:

إشارة إلى المقام المحمدى الخاص به ﷺ وهو المسمى بمقام أو أدنى وهو ولايته الخاصة والمقام المحمدى الثانى يسمى بمقام قاب قوسين وهو ولايته العامة فلولايته العامة الفيض بواسطته على النبيين والمرسلين والملائكة والأولياء عموما وخصوصا حسب مرتبة كل واحد منهم وقابليته ومن هنا الإشارة بقوله تعالى ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وأنه مرسل للكل وذلك ظاهر فى المكلفين وأما غيرهم فمن حيث حقيقته التى هى حقيقة الحقائق ومبدأ البدايات:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

فلولايته الخاصة التى لا يشاركه فيها أحد وجوبا ولا بالاستخلاف [٢١٨] أيضاً هى أو أدنى ولا يتصف بها غيره بل ولا يطيقها على تقدير الفرض والتقدير لا استخلافاً ولا غيره قال ﷺ لى حال مع ربى أو قال وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل إلى أن قال وبالجملة فالولاية المحمدية الخاصة بالنبى ﷺ فى معناها كالوجوب فى معناه تعالى اللائق به فكما أن الوجود الواجب خاص ومقيض فكذلك الولاية المحمدية الخاصة خاصة به ومفيضة للولاية العامة فالولاية الخاصة لا يتصف بها أحد لا بالأصالة ولا بالاستخلاف وإنما لورثته بالتبعية وراثة ولايته الخاصة به من العامة التى هى قاب قوسين لا الخاصة به المحجورة عليه التى هى أو أدنى انتهى منه بلفظه، ولا يخفاك أن المراد بولايته الخاصة بها أحمديته وبولايته العامة محمديته فتنبه.

...وهو أنه وقع فى كلام بعض الكبار من أهل الله ما يؤذن بوقوع الاستمداد من الأحمدية والحلول فى مقامها وصرح فى كلامه بأن الأحمديين من أهل الله أعلا مقاما من المحمديين وعلى هذا قول العارف بالله الحفنى فى " حاشيته على الجامع الصغير " فى الكلام على حديث الأبدال بعد ما قرر معنى قول أهل التصوف فلان مقامه محمدى وفلان عيسوى ما نصه: والمقام الأحمدى أعلى من المحمدى كما هو مبسوط فى كتب القوم يعرفه أهله سواء أظهروه أم كتموه انتهى منه بلفظه.

وهذا مخالف لما مر من أنه لا ذوق لأحد فى الأحمدية ولا مطمع له فى نيل ما فيها.

والجواب: أن لهم ها هنا فى الأحمدية [٢١٩] والمحمدية اصطلاحين.

أحدهما: ما أفاده ما مر من أن الأحمدية عبارة عن القبضة الأصلية والمحمدية عبارة عما انضاف إليها وصار من جملتها من الأنوار الثانية الفائضة منها والمجللة لها كاللباس والحاجبة لها عن الخلق وعلى هذا الاصطلاح جرى من قال ما قال مما تقدم من أنه لا ذوق لأحد فى الأحمدية.

وعليه أيضاً قول الشيخ الأكبر فى " فتوحاته " فى جواب السؤال الثانى عشر ومائة من أسئلة الحكيم الترمذى فما ثم فى الخلق أتم من المحمديين وهم خير أمة أخرجت للناس انتهى منه بلفظه.

فإنه أراد بالمحمديين من يستمد من الوجهة الخاصة به ﷺ من المحمدية التى هى ظاهر الأحمدية، والثانى ما أفاده كلام بعض من أن المحمدية عبارة عن تعينه ﷺ الظاهرى البشرى أو تقول عبارة عن الذات البشرية الطاهرة فى العالم الشهادى والأحمدية عبارة عن تعينه الروحى الغيبى أو تقول عبارة عن الذات النورانية التى هى باطن هذه الذات البشرية ومنها استمداد الخلفاء الأربعة والأقطاب والأفراد كما أن استمداد من دونهم من الكبار من الذات البشرية وهؤلاء يقال فيهم محمديون ومن قبلهم أحمديون وهم أعلى مقاما وأكبر ذوقاً ومعرفة من التعينين يصدق عليه محمدية بالاعتبار السابق ويصح وقوع الاستمداد منه لأنه مما دون مقام السر وعليه فلا مخالفة بين الكلامين لأن النفى والإثبات فيهما لم يتواردا على شيء واحد خلافا لمن لم يقف على هذا الاصطلاح فظن تواردهما على معنى واحد فاستشكل [٢٢٠] الكلام واعترض كلام هذا الفريق أو هذا وربك أعلم.

ولتعلم أن الله تعالى لما خلق هذه الحقيقة المحمدية أبطن فيها سبحانه جميع ما أراد إبرازه للوجود وقسمه لخلقه من الفيض والجود من الذوات والأرواح وجميع الخلائق والعلوم والمعارف والحقائق والإمدادات والأسرار والتجليات والأنوار بجميع أحكامها

ولوازمها ومقتضياتها وشئونها وجعلها مقرا لانصباب ذلك كله من جوده الإلهى وفيضه الواسع الغير المتناهى ثم صار يفيض على خلقه ما أقره فيها فكان ﷺ من أجل ذلك وبسببه بمنـزلة المقر للمياه التى تجتمع فيه بتمامها ثم تتفرق منه إلى كل جهة وكانت الأشياء البارزة من الغيب من الأزل إلى الأبد كلها متجلية فى حقيقته وفائضة من بحار إحسانه ومكرمته ولذا قيل إنه آدم الخليقة والأب الأول للوجود كله حقيقة لكون الموجودات كلها والفيوضات بأجمعها تناسلت وفاضت من حقيقته المحمدية فكان كأصل الشجرة وكانت ذوات الموجودات كلها كأغصانها وكان مدده السارى فيها كالماء السار فى كل الشجرة من أصلها ومنبتها.

ولذا قال الشيخ الأكبر فى صلاته المشهورة " الدرة البيضاء التى تكونت عنها الياقوته الحمراء " أراد بالدرة البيضاء الحقيقة المحمدية وبالياقوتة الحمراء العالم كله وقال ابن الفارض فى تائيته الكبرى على لسانه ﷺ:[٢٢١]

وأهـل تلقى الروح باسمى دعوا إلى ... سـبيلى وحجـوا الملحدين بحجتى

وكـلهم من سبق معـناى دائـر ... بدائـرتى أو وارد مـن شـريعـتى

وإنى وإن كنـت ابـن آدم صورة ... فـلى فـيه معنى شاهد بـأبوتـى

وبالجملة فحقيقته عليه الصلاة والسلام مشتملة على جميع ذوات الموجودات من أول الوجود إلى آخره وليس من الوجود من الأزل إلى الأبد ذرة خارجه عنها كما أن وجود آدم عليه السلام مشتمل على وجود جميع ذريته إلى يوم القيامة وليس فى الوجود فى أوله إلى آخره آدمى خارج عنه وتجليه سبحانه وتعالى على المخلوقات بالإيجاد يسمى عندهم بالتنـزل الأول وهو تنـزل وجود الذوات وتجليه بإمدادها يسمى بالتنـزل الثانى وهو تنـزل فيض الرحمة الإلهية على الوجود الذى اقتضاه النفس الرحمانى وهو كالأول كما قررنا مجموع فى الحقيقة المحمدية وعنها يؤخذ ومنها يتلقى فما فى الوجود رحمة تصعد أو تنـزل فى الملك أو فى الملكوت مما عم أو خص إلا وهى نقطة من فيض بحرها ورشحة من وابل قطرها إذ كما أنه السبب فى وجود

الخلق عموما كذلك هى السبب فى إمدادهم بالرحمة الإلهية عموما وسيأتى إن شاء الله تعالى مزيد لهذا فى الخاتمة.

هل يجوز أن يكون غير النبى أعلم من النبى؟

ولنتمم خاتمة هذا المقصد بأمر يكثر السؤال عنه وهو أنه هل يجوز أن يكون غير النبى أعلم من النبى كما قد يتوهم من كلام بعض القوم؟

وجوابه: أن ها هنا مقامين.

أحدهما: مقام العلم [٢٢٢] بالله تعالى وصفاته وأسمائه وتجلياته وما تشتمل عليه من المنح والمواهب والفيوض وهذا المقام لا يتأتى فيه أن يكون غير النبى من ولى أو صديق أو غيرهما أعلم لأن النبوة فيه أكبر علماً وأوسع دائرة وأعظم إدراكا ولوكان غير النبى أعلم فى هذا الميدان للحق بدرجة النبى فى الفضل أو كان أفضل منه وذلك خلاف الواقع.

الثانى: مقام العلم بمراتب الكون وما يقع فيه جملة وتفصيلاً وتقلبات أطواره وانكشاف ما سيقع فيه فى المستقبل قبل وقته وهو كشف الغيوب الكونية وهذا المقام يمكن أن يكون غير النبى فيه أعلم لكن لا بمعنى أزيد علماً بل بمعنى أقوى مشاهدة والتفاتاً ونظراً لأن بصائر النبيين والمرسلين أبداً تنظر إلى جناب الحق شديدة العكوف والدءوب عليه فقلوبهم أبداً تنظر إلى الله لا التفات لها إلى الأكوان فكل واحد منهم لا همة له ولا عناية إلا بما يبرز من الحضرة الإلهية فى كل حين وأوان من التجليات والمنح والمواهب والواردات ليعطى كل شيء مما ذكرنا حقه من الآداب ووظائف الخدمة لا يفتر عن ذلك لحظة واحدة فلأجل هذا الاستغراق لا يلتفتون إلى الأكوان ولا تطمح نفوسهم إلى ما يقع فيها وأعظم من ذلك الاشتغال بمحادثة الحق لهم فى حضرة قدسه فلا شك أن من ذاق ذلك لم يقدر أن يلتف إلى غير الله تعالى ولو لحظة فمن أجل هذا يغيب عنهم وعمن كان على قدمهم من بعض الكبار كثير من المكونات لاشتغالهم عنها بالله عز وجل.

وقد قال الشيخ الأكبر [٢٢٣] فى " فصوصه " فى فص الكلمة الشيثية ما نصه: ما يلزم الكامل أن يكون له التقدم فى كل شيء وفى كل مرتبة وإنما نظر الرجال إلى التقدم فى مرتبة العلم بالله هنالك مطلبهم وأما حوادث الأكوان فلا تعلق خواطرهم بها فتحقق ما قلناه انتهى.

– مدة إقامة المهدى إماماً فى هذه الدنيا –

وقال فى " الفتوحات " فى الباب السادس والستين وثلاثمائة لما تكلم فيه على المهدى ووزرائه ما نصه: فاعلم أنى على الشك من مدة إقامة هذا المهدى إماماً فى هذه الدنيا فإنى ما طلبت من الله تحقيق ذلك ولا تعيينه ولا تعيين حادث من حوادث الأكوان إلا أن يعلمنى الله به ابتداء لا عن طلب فإنى أخاف أن يفوتنى من معرفتى به تعالى حظ من الزمان الذى أطلب فيه منه تعالى معرفة كون وحادث بل سلمت أمرى إلى الله فى ملكه يفعل فيه ما يشاء فإنى رأيت جماعة من أهل الله يطلبون الوقوف على علم الحوادث الكونية منه تعالى ولا سيما معرفة إمام الوقت فأنفت من ذلك وخفت أن يسرقنى الطبع بمعاشرتهم وهم على هذه الحال وما أردت منه تعالى إلا أن يرزقنى قدم الثبوت على قدم واحدة من المعرفة به وإن تقلبت فى الأحوال فلا أبالى انتهى منه بلفظه.

وفى " الإبريز " فى الباب التاسع ما نصه: وقال ﷺ يعنى شيخه مولانا عبد العزيز الدباغ أن الكاملين من أهل الحق إذا سئلوا عن مسألة من الحوادث التى ستقع لم يتكلموا فيها إلا بالنـزر من القول لأنه أول أمر شاهدوه وقد شاهدوا الحق بعده فعلموا بطلانه فهم يكرهونه ويكرهون الكلام فيه ولأن الدنيا [٢٢٤] والحوادث الواقعة فيها مبغوضة عند الله تعالى وهم يبغضون ما يبغضه الحق سبحانه وأيضا فلا يتكلمون فيها إلا بالنـزول عن درجتهم كمن ينـزل من الثريا إلى الثرى فإن درجة تلك الحوادث هى درجة فتح أهل الظلام وأيضا فإنهم رضى الله عنهم لا يشاهدون إلا بأنوار الحق سبحانه ونور الحق يرتفع فيه الزمان وترتيبه ولا مضى فيه ولا حال ولا

مستقبل فأكثر ما يعلم الولى بنور الحق أن الحادث الفلانى واقع لا محالة وأما أنه يقع يوم كذا فلا يحصل لهم إلا بالنـزول إلى اعتبار الزمان وترتيبه وهو من الظلام عندهم بالنسبة إلى نور الحق ومثل من يفعل ذلك كمثل الشمس إذا نـزلت من سمائها إلى الأرض وأخذت مرآة بين عينيها وجعلت تنظر فيها ثم قال ﷺ وقد يتكلم الولى بشيء من الحوادث المستقبلة فيخبر بها نازلا من درجته وليس ذلك بمعصية ولكنه قصور همة وانحطاط عن الذروة العلية وسوء أدب إن قصد إليها مع النبى ﷺ لأن حالته عليه الصلاة والسلام لم تكن كذلك على أن أكثر الأولياء الكاملين إنما يتكلمون فيها غلبة بحكم القدر وتصريف الحق إياهم سبحانه على ما يريد إذ هم رضى الله عنهم مظاهر الحق انتهى المراد منه بلفظه.

وغير الأنبياء وغير من هو على قدمهم لا يطيق الاستغراق الأكمل فى المشاهدة ولا يصبر عليها فى كل لحظة وحال فتراه تارة وتارة فمن أجل ذلك يكثر كشفه للكون وأموره وبهذا تعرف وجه اختصاص سيدنا الخضر عليه السلام [٢٢٥] بكشف الغيوب دون سيدنا موسى ﷺ لأن سيدنا موسى مشغول عنها بما ذكرناه وذلك هو عين الكمال وسيدنا الخضر وإن كان ممن له الاستغراق التام لكن لا يقدر على استغراق سيدنا موسى فى حضرة القدس وعلى هذا يتخرج حكايات تقع لبعض الكاملين مع مريديهم لأن الكامل قد يستفيد من مريده شيئا مما يقع فى العالم كما كان يقع للشيخ القطب الغوث أبى المحاسن سيدى يوسف بن محمد الفاسى مع مريده الشيخ سيدى إبراهيم الصياد فإنه كان كثيراً ما كان يخبره بأخبار سماوية ولما مات قال انقطع عنا خبر السماء بموت الصياد حتى خلفه مريد آخر فصار يخبره بما كان يخبره به فقال قد رجع إلينا ما فقدناه وبالجملة فالكبير يقوى فى مشاهدة الحق سبحانه لأنه محل مشاهدته ويضعف فى مشاهدة الخلق والصغير بالعكس يقوى فى مشاهدة الخلق لأنهم محل مشاهدته ويضعف فى مشاهدة الحق سبحانه راجع كلام صاحب " الإبريز " فى هذا المعنى فى الباب التاسع وكذا كلام صاحب " جواهر المعانى " فى الفصل الأول من الباب الخامس كل منهما عن شيخه.

وعلى هذا فالكلام المرهم لكون غير النبى قد يكون أعلم من النبى إما محمول على ما ذكرناه من أنه قد يكون أعلم منه أى أقوى مشاهدة فى مراتب الكون وما يقع فيه جملة وتفصيلا وإما مئول بتأويل يقبله الكلام ولا يحمل على ظاهره كأن تقول فى قول الشيخ أبى يزيد البسطامى أو أبى الغيث بن جميل اليمنى أو الشيخ محيى الدين بن العربى خضنا بحورا وقفت الأنبياء [٢٢٦] بسواحلها ومثله قول ابن الفارض:

وذلك بحرا خضته وقف الألى بساحله صونا لموضع حرمتى

وقول الشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى ﷺ معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه.

وقول الشيخ الأكبر قدس الله سره: آتانى الله علماً لم يعلم به آدم فمن دونه يعنى من النبيين والمرسلين أنه محمول على أنهم قالوه على لسان الحضرة المحمدية لأنه عليه السلام قد يعير بعض أثوابه وألبسة ذاته المختصة به لبعض الكاملين من أمته فإذا لبسه واكتسى به تكلم بهذا الكلام ومثله على لسانه بحسب النيابة عنه فهو فى الحقيقة منسوب إليه ﷺ فهو الخائض لتلك البحور والتى أوتى من المسميات والعلوم ما لم يؤته غيره من النبيين والمرسلين ولم يعلم به آدم فمن دونه.

وكذا قول بعض العارفين: نهاية أقدام النبيين بداية أقدام الأولياء. يريد بالأولياء نفسه هو من نمط هذا رأى صاحبه نفسه لابسة لبعض أثواب النبى الكامل فظن وهو فى تلك الحال أن مرتبة الولاية أعلى وليس الأمر فى الواقع كذلك لأنه ما رأى إلا مرتبته ﷺ.

وكذا قول القطب سيدى إبراهيم الدسوقى فى آخر التائية له:

وبى قامت الأشياء فى كل أمه بمختلف الآراء والكل أمتى
نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم وسرى فى الأكوان من قبل نشأتى
أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه بلطف عناياتى وعين حقيقتى [٢٢٧]
أنا كنت مع إدريس لما ارتقى العلا وأسكن فى الفردوس أنعم بقعة

أنا كنت مع عيسى وفى المهد ناطقا وأعطــى داود حــلاوة نغمــتى

هو من هذا النمط وأنه وقع منه على لسان النبى ﷺ فإن الولى تارة يتكلم فى حال غيبته وسكره عن نفسه على لسان الحضرة المحمدية وتارة على لسان حضرة الألوهية كما فى قول ابن الفارض:

وألســنة الأكــوان إن كنت واعيا شــهود بتوحــيدى بحــال فصيحة

وإن عبدوا غيرى وإن كان قصدهم ســواى وإن لم يضــمروا قصد نية

ولذا إذا أفاق هذا الولى من سكرته هذه يرجع عن كلامه هذا بل ربما ينكر صدوره منه لكونه صدر منه وقت الفناء والاستغراق.

وقد وقع لبعض المريدين السالكين أنه كشف له عن حقيقته فإذا هى فوق حقائق الأنبياء فذكر ذلك لشيخه وكان عارفا بالمقامات والأحوال فتوقف وإذا بالنبى ﷺ قد أقبل فقال يا رسول الله أنت محلل المشكلات وأخبره الخبر فقال عليه الصلاة والسلام كان هذا بالقسر يعنى بالقهر والجبر وبالغير لا بالطبع والذات يعنى أنه وإن ارتفع عن مرتبته لعارض قهرى وحركة من غيره جبرية يعود فينــزل إليها بالطبع والذات بسرعة كما إذا رمى أحدنا حجرا إلى الفوق فإنه وإن ارتفع قهرا ينــزل بسرعة إلى محله ومرتبته ضرورة وطبعا وظن بعض المباركين بل وبعض الأولياء من أهل الفتح أن بعض أفراد العارفين من هذه الأمة قد يبلغ مقام النبى فى المعرفة بالله أو يزيد عليه وإن كان لا يصله فى الدرجة [٢٢٨] غلط محض مخالف لما تظاهرت به الأدلة الشرعية والنصوص المرعية ولما فى نفس الأمر عند الله كما ذكره غير واحد من أفراد العارفين.

وقال... نقلاً عن شيخه لما تكلم على هذه المسألة والصواب أن الولى ولو بلغ فى المعرفة ما بلغ لا يصل إلى ما ذكروه ولا يقرب منه أصلاً انتهى.

قال السيد الشريف القناوى فى " شرحه للامية ابن الوردى " ما نصه: قال الشيخ محيى الدين بن عربى: قد طلب أبو يزيد البسطامى من الله تعالى أن يدخله مقام نبى من الأنبياء فأعطاه الله تعالى مقدار الشعرة البيضاء من الثور الأسود فكاد أن يحترق فسأل

الله الحجاب عن ذلك وقال لا طاقة لأحد من أمثالنا بدخول مقام أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى.

وفى " إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن " للشيخ عبد الرءوف المناوى فى الباب السادس: قال أبو يزيد ﷺ جميع ما أخذ الأولياء مما هو للأنبياء كزق مليء عسلاً فرشحت منه رشاحة فما انطوى عليه الزق فهو علوم الأنبياء والرشاحة هى حظ الأولياء منهم انتهى.

وقال الشيخ أبو العباس المرسى ﷺ الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء والأولياء يطالعون مثالها لا هى. نقله السيوطى فى "تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية".

وفى " الفصوص " آخر الفص العزيزى ما نصه: وإذا رأيت النبى يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولى عارف ولهذا مقامه من [٢٢٩] حيث هو عالم وولى أتم وأكمل من مقامه من حيث هو رسول أو ذو تشريع وشرع فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول أو يُنقَل إليك عنه أنه قال الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه يعنى من مقام النبى من حيث ولايته أعلى من مقامه من حيث نبوته أو رسالته أو يقول إن إن الولى فوق النبى والرسول فإنه يعنى بذلك القول فى شخص واحد وهو أن الرسول من حيث إنه ولى أتم منه من حيث إنه نبى ورسول لأن الولى التابع له أعلى منه فإن التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابع له فيه إذ لو أدركه لم يكن تابعا له فافهم انتهى.

وقال بعضهم: قد يحصل للورثة من هذه الأمة من العلوم التى اقتبسوها من مشكاة نبوته عليه الصلاة والسلام بالمتابعة له والاقتداء ما لم يحصل للأنبياء الماضين عليهم السلام بسبب عدم كونهم من هذه الأمة والورثة من هذه الأمة ما نالوها من جهة أنفسهم وإنما نالوها من نبوة نبيهم ولا يلزم من ذلك تفضيلهم على الأنبياء الماضين لأن حصول العلم من الغير السابق إليه لا تلزم الفضيلة به وإنما الفضيلة لمتبوعهم فى حصوله وهو سيدنا محمد ﷺ لأن الحاصل له عليه السلام من نبوته الكاملة.

قال الشيخ سيدى عبد الغنى النابلسى فى " شرح الفصوص " فى الكلام على الفص اليوسفى: ومن هنا أى من هذا المذكور وهو أن الورثة من هذه الأمة قد يحصل لهم من العلوم ما لم يحصل للأنبياء الماضين قول المصنف يعنى الشيخ الأكبر قدس سره خضنا بحرا [٢٣٠] وقفت الأنبياء بساحله. والبحر هو علم سيدنا محمد ﷺ المختص به، وفى رواية بحارا كناية عن علومه عليه السلام ووقوف الأنبياء عليهم السلام بساحله اطلاعهم على أنه نبى آخر الزمان وأنه سيبعثه الله تعالى من غير اطلاع على تفاصيل علومه ولا خوض فيها انتهى.

وقال فى " شرحه للطريقة المحمدية " أثناء كلام له فيعلم الولى الوارث الكامل المحمدى بسبب إرثه لخاتم النبوة ما لم يعلمه الأنبياء الأولون وإن كان النبى الواحد منهم أفضل من جميع أولياء الأمة المحمدية إذ الفضيلة اختصاص إلهى لا باعتبار كثرة العلم انتهى المراد منه وراجعه.

وقال فى موضع آخر من الشرح المذكور: إن رتبة العلم والكشف قد يكون فيها بعد الصحابة من هو أفضل من الصحابة ما عدا فضيلة الصحبة.

قال بل قد يوجد فى غير النبى من العلم ما لا يوجد فى النبى خصوصاً على القول بولاية الخضر مع أنه أعلم من موسى عليه السلام يعنى بأشياء مخصوصة.

وقال الهدهد لسليمان ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ [النمل آية: ٢٢]مع أنه طير وسليمان عليه السلام نبى وإن كانت هذه الإحاطة فى أمر دنيوى لكنه فى علم فى الجملة وليست النبوة هى العلم بل هى أمر اختصاصى انتهى.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه لا إلى غيره المآب، لا إله غيره ولا رب سواه، والأمر أمره والهدى هداه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وآله وصحبه وفريقه وحزبه، وسلم تسليما مكرما [٢٣١] عميما.

وهذا آخر الكلام على هذا المقصد الوريف، وبه تم المجلد الأول من الكتاب الشريف، ووافق الفراغ من تخريجه عشية يوم الأحد خامس عشر شهر ذى القعدة

الحرام سنة خمس وثلاثين وألف عام من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل صلاة وأكمل تحية.

ويليه المقصد الثانى وهو مفتتح الجلد الثانى أعان الحق تعالى بجوده وأفضاله على تخريجه وإكماله والله ينفع بالكل النفع العميم ويجعله خالصاً لوجهه الكريم وسببا للرضا والقبول ونيل كل المنى والسول آمين والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

– المقصد الثانى–

فى بيان أنه عليه الصلاة والسلام خليفة الله الأكبر وصدر المملكة الربانية الأطهر المصرف فيها بالحل والربط والإطلاق شخصاً ونوعاً وبطريق العموم والاستغراق

اعلم أن الحق جل جلاله وتقدست ذاته وصفاته وأسماؤه وتسامى كماله هو الحى القيوم الأزلى الأبدى السرمدى الموصوف حقيقة ولذاته العلية بالوجود دون من سواه من كل كائن وموجود وبالأحدية الذاتية والكمالات الأسمائية والصفاتية وبالحكم العام والتصرف الحقيقى التام وبالسلطان القديم [٢٣٢] والملك العميم من غير شريك له ولا شبيه ولا نظير ولا ضد ولا معين ولا وزير كان موجودا بوجوده الذاتى فى مقام أحديته ولم يكن شيء هناك معه فى كماله وجماله وعزته كما قال عليه الصلاة والسلام: « كَانَ اللّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ». أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى فى بدء الخلق والطبرانى فى الكبير.[1]

من حديث عمران بن حصين: وهو الآن على ما عليه كان قبل خلق الزمان والمكان وغيرهما من الحوادث والأكوان.

كما قال الجنيد عند سماعه لهذا الحديث: وهو الآن كما كان يعنى لم يحل فى شيء ولم يحل فيه شيء ولم يحده زمان ولا حواه مكان ولا تغير عن صفته الأزلية

---

(١) أخرجه البخارى(٣/١١٦٦، رقم ٣٠١٩).

وحالته ولا وجد معه شيء من الأشياء كلها فى أوصافه العلية أو مرتبته وزيادة بعضهم فى لفظ هذا الحديث كالنابلسى فى شرحه المذكور وهو الآن على ما عليه كان ليست فى شيء من كتب هذا الشأن كما قال ابن تيمية وغيره، بل هى مدرجة فيه كما ذكره الشيخ الأكبر فى عقلة المستوفز، وذكر غيره أنها من كلام الجنيد.

وفى أول " الفتوحات المكية " أن الحقائق الكونية هكذا كانت ولا شيء معها فى وجودها وهى الآن على ما كانت عليه فى علم معبودها وأن هذا الحديث الذى أطلق على الحق شامل لجميع الخلق وفى غيرها إن حقيقة الحقائق التى هى حقيقته ﷺ كانت ولا شيء معها وفى مرتبتها من المخلوقات وهى الآن على ما هى عليه كانت لم تخرج عنها ذرة من المصنوعات ولم يحظ أحد بما لها من التجليات ولا بما نالته من السبق وغيره من المراتب العليات وفى " النفحات [٢٣٣] القدسية " للسيد عبد الله المحجوب الميرغنى ما نصه: إذا منح الله تعالى عبده المحبة والعرفان وجذبه إلى أعالى مقامات الإحسان وتجلى له بكمال الشهود لا يرى إلا الإله المقصود ورسوله الذى هو عين الوجود ويتحقق فى مقام الفناء كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان وينكشف له فى مقام البقاء أن الرسول ﷺ كان ولم يكن معه شيء من الموجودات سوى رب الأرض والسماوات وهو ﷺ الآن على ما عليه كان مخصوص من السر بالتجلى الحقيقى من الله كما أنه سبحانه مخصوص بالوجود المشار له بلا إله إلا الله أى لا موجود أبد الأباد إلا رب العباد وما سواه فان وإن أبرزه الإيجاد فسبحان من تفرد بالوجود فى سائر الأزمان وتنـــزه بكمال استغنائه عن المكان والزمان وصلى الله على المخصوص بالتجلى الأعظم فى سائر الأحيان وسلم على من انشق منه سائر الذوات والألوان انتهى.

فهو سبحانه وتعالى اللطيف الذى لا يدرك ولا يمثل، والخفى الذى لا يعرف ولا يكيف ولا يعقل، والأزلى الذى لا تحد أزليته بمتى، والأبدى الذى لا تقيد أبديته بحتى، لا يطلق عليه التعيين، ولا يتطرق إليه التأيين، إن قلت أين فقد سبق المكان، وإن قلت متى فقد تقدم الزمان، وإن قلت كيف فقد جاوز الأشكال والأمثال والأقران وإن

طلبت الدليل فقد سبق الخبر بالنصب العيان عظم كما تكيفه العقول والأفكار والحواس وكبر كما تحكم به الأفهام والأوهام والقياس لا يصوره [٢٣٤] خيال ولا يشاكله مثال ولا ينوبه زوال ولا يشوبه انتقال ولا يلحقه فكر ولا يحصره ذكر ولا تحويه الجهات والأقطار ولا يحيط بمشاهدته ومعرفته البصائر والأبصار ولا يعلم من حيث هويته وذاته ولا من حيث نفسه أبد الآبدين ودهر الداهرين ولا يحصل من العلم به فى العالم الكونى إلا أن يعلم العالم أنه لا يعلم ولا يدرك البتة ولا يفهم وهذا القدر يسمى علماً ولا يعد جهلا ولا شكا ولا وهما، ولذا قال الصديق الأكبر وعلم هذه الأمة الأشهر: العجز عن درك الإدراك إدراك إذ قد علم المعترف بالعجز والتقصير أن فى الوجود أمرا ما لا يعلم وهو الله اللطيف الخبير و لم يزل ولا يزال سبحانه إلى ما لا نهاية له قائما بذاته متصفا بمعانى أسمائه وصفاته منــزها عن القيود الصورية والمعنوية مقدسا عن قبول كل تقدير متعلق بكمية أو كيفية متعاليا عن الإحاطة الوهمية والحدسية والظنية والعلمية محتجبا بكمال عزته عن جميع بريته الكامل منهم والناقص المقبل منهم إليه فى زعمه والناكص غنيا بذاته عن الآثار الصادرة عن ذاته فأحرى عن غيره من جميع مخلوقاته خلق العالم بما فيه وأخرجه من العدم على وفق ما سبق فى علمه القديم بما قدر وحكم خلقه وأكن فيه أسراره وأوجد الإنسان الكامل وجعله قلب الوجود وجعل عليه مداره وعلمه الأسماء والمسميات كلها فعرف العالم وعرف أسراره تفاصيلها وجملها وحكم فيه بطريق المنة والفضل [٢٣٥] بما يوافق الإرادة الأزلية والعدل، وخصه واختصه بحضرة جماله القدسى لقوله ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه: ٤١].

وقد كان سبحانه قبل أن يخلق هذا العالم فى خفاء كنــزيته وغيب هويته وبطونه الذاتى غير متعرف بقيد من القيود إلى من يحصل أو يأتى فاقتضت حكمته الباهرة ومشيئته القاهرة أن يعرف المعرفة اللائقة بذاته وأن يظهر أثر أسمائه وصفاته كما ورد فى الحديث القدسى – قال فى " الفتوحات " الصحيح كشفاً الغير الثابت نقلاً عن

رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال ما هذا معناه - كنت كنـــزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفونى انتهى.

وذكره فى كتاب " الحجب المعنوية " أن الذات الهوية له بلفظ ورد فى الكتب الإلهية قال الله تعالى كنت كنـــزاً مخفياً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني.

وفى كتاب " عقلة المستوفز " أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال يا رب لم خلقت الخلق؟

فقال له عز وجل كنت كنـــزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفونى.

وذكره سيدى على وفا فى كتاب " مفاتيح الخزائن العلية وابن غانم المقدسى فى كتابه " حل الرموز " وجماعة بلفظ كنت كنـــزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت وتعرفت إليهم فبى عرفونى.

وذكره أبو زيد الفاسى فى " تحفة الأكابر " أوائل الكتاب نقلاً عن الشيخ محيى الدين البونى ﷺ بلفظ كنت كنـــزاً لا أعرف فخلقت خلقاً [٢٣٦] فتعرفت إليهم فبى عرفونى.

قالوا ومعنى قوله خلقت خلقاً قدرت أعياناً تقديرية فتعرفت إليهم بجلالى وجمالى ودللتهم على فبى منى إليهم عرفوني، وكان هذا التعريف بلسان ترجمان القدم وهو الحقيقة المحمدية التى هى أصل الكل.

وقال الجيلى فى " كمالاته " هذا حديث صحيح من طريق الكشف ضعيف من طريق الإسناد وقد أجمع المحققون يعنى من أهل الله تعالى على صحته وذكره غير واحد منهم فى مصنفاته انتهى.

وأما ابن تيمية من حفاظ الحديث فذكر أنه: ليس من كلام النبى ﷺ وأنه لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه بدر الدين الزركشى والحافظ ابن حجر وغيرهما.

وقد وافقهم شيخ مؤلف " الإبريز " وقال إنه لم يقله النبي ﷺ ولعله أراد أنه لم يقله لفظاً وإن كان له معنى أو أنه من كلام الكتب الإلهية لا من كلامه عليه السلام راجعه وراجع " المقاصد الحسنة " للسخاوي رحمه الله فأظهر سبحانه وتعالى في حضرة اسمه الرحمن نَفَسا – بفتح الفاء – كلياً رحمانياً فيه الرحمة بل هو عينها حاملاً لمعنى يتضمن ذلك المعنى حقائق جميع الموجودات وما تطلبه أو تحتاج إليه من الإمدادات طالبا ظهور هذا المعنى وما يحويه من الفيض أصلاً ومبنى، وهذا النفس هو المسمى عندهم بالنفس الرحماني وبنفَس الرحمن تشبيها له بنفس الإنسان المختلف بصور الحروف مع كونه هواء ساذجاً في نفسه وقال إنه بخار نفسي رحماني عام قابل لصور كل ما سوى الله [٢٣٧] سار في جميع صور العالم ومنهم من قال هو نور منبسط من اسمه تعالى الرحمن في الخلاء الذي هو إمتداد متوهم من غير جسم على الممكنات المعلومة لله تعالى وظهورها به وتعدده بحسبها مع وحدته في نفسه وهو بالنسبة إلى مطلق النشأة الكلية الوجودية والموجودات الكونية الصادرة من الرب تعالى التي هي كلمات نفسه نتيجة الاجتماع العام الواقع بين الأسماء الذاتية التي هي مفاتح غيب الهوية والحضرة الكونية بالتوجه الإلهي الغيبي الإرادي انتهى.

ويسمى عندهم أيضاً بالنكاح الأول: لأنه من حيث مطلق الصورة الوجودية الظاهرة أول مولود ظهر عن الاجتماع الأصلي الأسمائي من حضرة باطن النفس وروحه والنكاح الثاني: النكاح الروحاني والثالث: النكاح الطبيعي الملكوتي والرابع النكاح العنصري الثقلي وكل من هذه النكاحات أخص مما قبله ويسمى أيضاً بالعماء لأن نفس المتنفس من حيث إنه بخار يتنـــزل منـــزلة بخار رطوبات الأركان التي تكون عنه صورة العماء الذي هو في اللسان العربي السلي الرقيق الحائل بين الناظر وبين نور الشمس ولما كان هذا النفس برزخاً حائلاً بين إضافة الحقائق الكونية الأصلية إلى الحق وإضافتها إلى الخلق سمي عماء ويسمى أيضاً بمنـــزلة التدلي وبحضرة نفوذ الاقتدار وعبر عنه الحكماء مجازا بالطبيعة لأنه ظهر [في] الطبيعة العظمى الذاتية الذي هو مجموع حقائق الصفات الحقية الأربعة التي هي أصل الإيجاد الكوني أي وجود العالم وهي

الحياة والعلم والإرادة [٢٣٨] والقول كشفاً أو القدرة عند أهل النظر العقلى وحقائق الأسماء الأربعة وهى الحى والعالم والمريد والقائل أو القادر بل هو عينها وهذه الطبيعة هى الكلية العالية وهى التى ظهرت بحكمها فى كل شيء لأن كل ما سواها ما ظهر إلا فيما ظهر منها وهو النفس بالفتح والطبيعة التى جعلت رتبتها دون رتبة النفس الكلية وفوق رتبة الهيولى الكل وهو الهباء هى التى ظهرت بحكمها فى الأجسام الكثيفة الشفافة من العرش فما حواه وهى بنت هذه وهذه أمها وهى مستندة كما ذكرنا إلى الصفات الأربعة والأسماء الأربعة المؤثرة فى العالم لأنه تعالى لحياته الحياة الحقيقة يعلم الأشياء فيديرها فيقول أو نقول فيقدر فتظهر الأعيان عن هذه الأربعة وأما البنت وهى الطبيعة الصغرى التى هى أصل وجود الأجسام فحقائقها خلقية منسوبة إلى الخلق وهى أربعة الحرارة وهى مظهر صفة الحياة والبرودة وهى مظهر صفة العلم واليبوسة وهى مظهر صفة الإرادة وقيل القول والرطوبة وهى مظهر صفة القول وقيل الإرادة واستنادها إلى الأربعة الحقية المذكورة كما تستند الأركان الأربعة التى هى أصل وجود المولدات من جماد ونبات، وحيوان وإنسان وهى التى تسمى نارا وهواء وماء وترابا إلى هذه الطبيعة الصغرى كما تستند الأخلاط الأربعة التى هى أصل وجود الحيوان وهى التى تسمى سوداء وصفراء وبلغما ودما إلى هذه الأركان فالمادة واحدة والحكم مختلف كما قيل: [٢٣٩]

فالعين واحدة والحكم مختلف وذاك سر لأهل العلم ينكشف

ثم هذا البخار النفسى الكلى الرحمانى هو الجسم النورى الكل الذى ملأ الخلاء وهو غير متحيز لا يقبل المكان ولولا اتصاف الحق تعالى بالإحاطة ما توهم العقل انحصار هذا الجسم الكل فى الخلاء ولا توهم الخلاء إلا من شهود الجسم المحسوس ولما ملأ الخلاء كان أول جسم قبل الاستدارة فسميت تلك الاستدراة فلكاً وهو المسمى بفلك الإشارات وبالفلك الثابت العمائى وهو أول موجود أداره الحق تعالى إدارة إحاطة معنوية وأول الأفلاك الثابتات المعقولات وفى تلك الدائرة ظهرت صور العالم كله أدناه وأعلاه ولطيفه وكثيفه وما يتحيز منه وما لا يتحيز وقد وصف النبى ﷺ الحق

بهذا النفس فى قوله إنى لأجد نفس الرحمن من قبل اليمين ولابد لكل موصوف بصفة أن يتبع الصفة جميع لوازمها والنفس فى المتنفس يستلزم أموراً من التنفس من الكرب وقبول صور الحروف والكلمات لفظية كانت أو غير لفظية فلهذا نفس الله بهذا النفس عن الأسماء الإلهية ما تجده من عدم ظهور آثارها فامتن سبحانه على نفسه بما أوجده فى نفسه من صور العالم كلها محسوسها ومعقولها وموهومها فكان لها كالجوهر الهيولانى الذى هو إحدى العين من حيث ذاته كبثر بالصور الظاهرة فيه التى هو حامل لها بذاته ومادة لها ثم هذا النفس ليس إلا عين الطبيعة العالية الفعالة للصور كلها من حيث باطنها الذى هو الأحدية [٢٤٠] الذاتية الجمعية فإن له ظاهراً وباطناً فهو من حيث ظاهره حامل الصور المتقابلة وقابل لها ومن حيث باطنه فعال لها ففيه قوة الفعل والانفعال والتأثير والتأثر فإنه يؤثر فى التعينات بإظهارها ويتأثر بها باعتبار تقيده بها ومن هذه الحيثية تسمى بالطبيعة فبما فيه من الحرارة اعلا على مراتب الأكوان كلها وبما فيه من البرودة والرطوبة سفل فانتهى إلى آخر المراتب وبما فيه من اليبوسة ثبت على مقدار واحد وميزان واحد ولم يتـــزلزل وهذا التقابل الذى فى الأسماء الإلهية التى هى مجرد النسب والاعتبارات الذاتية إنما أعطاه هذا النفس والذات البحث خارجة عن هذا الحكم لغناها عن العلمين ولهذا خرج العالم على صورة من أوجدهم وليس إلا هذا النفس ومن هذان يعرفه فليعرف العالم لأنه مقتضى والنفس حامل له كما أن الإشارة من أمر إذا تنفس الصعداء كان نفسه متضمناً صورة المعنى الذى فى قلبه ثم إنه ليس مما يدرك ظاهراً وتتعين له صورة مشخصة للطفه وكليته مع أنه سار بالحقيقة فى كل موجود والخلاء المتوهم مملوء به وقد وردت الإشارة الربانية به فى قوله تعالى ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]لطيف لسريانه فيما خلق دون حلول خبير بكيفية هذا السريان وحكمته وهو وإن لم تتعين له صورة تدرك فى الظاهر فإنه لا يشك فى أثره ومن أهل الكشف والشهود من يعرفه كالهواء عندنا وهو الذى يعطى الوجود للممكنات والتجلى السارى فى حقائق العالم وصوره

علواً وسفلاً ومنه الإمداد الإلهى المقتضى قوام العالم [٢٤١] وبقاءه وهو دائم الظهور من غيب ذات الحق.

وفى " الفتوحات المكية " فى الباب الأحد والسبعين وثلاثمائة ما نصه: فمما حكم به الحق على هويته أن وصف نفسه بأن له نفَسا بفتح الفاء وإضافة إلى الاسم الرحمن لنعلم إذا ظهرت أعياننا وبلغتنا سفراؤه هذا الأمر شمول الرحمة وعمومها ومآل الناس والخلق كلهم إليها فإن الرحمن لا يظهر عنه إلا المرحوم فافهم فالنفس أول غيب ظهر لنفسه فكان فيه الحق من اسمه تعالى الرب مثل العرش الذى استوى عليه بالاسم الرحمن وهو أول كثيف شفاف نورى ظهر فلما تميز عمن ظهر عنه وليس غيره جعله تعالى ظرفا له لأنه لا يكون ظرفا له إلا عينه فظهر حكم الخلاء بظهور هذا النفس ولولا ذلك ما قيل فيه خلاء انتهى.

وفيها أيضاً بعد هذا بقليل وقد ذكر العلماء ما نصه: هو الجسم الحقيقى العام الطبيعى الذى هو صورة من قوة الطبيعة أى العظمى تجلى لما يظهر فيه من الصور وما فوقه رتبة إلا رتبة الربوبية التى طلبت صورة العماء من الاسم الرحمن فتنفس فكان العماء فشبهه لنا الشرع بما ذكر عنه من هذا الاسم فلما فهمنا صورته بالتقريب قال ما فوقه هواء يعلو عليه فما فوقه إلا حق وما تحته هواء يعتمد عليه أى ما تحته شيء ثم ظهرت فيه الأشياء قال فالعماء أصل الأشياء والصور كلها وهو أول فرع ظهر من أصل فهو نجم لا شجر ثم تفرعت منه أشجاره إلى منتهى الأمر والخلق وهو الأرض وذلك بتقدير العزيز العليم انتهى.

وفيها [٢٤٢] أيضاً فى الباب السابع والسبعين ومائة أن حقيقة الخيال المطلق هو المسمى بالعماء الذى هو أول ظرف قبل كينونة الحق على ما ورد فى الحديث الصحيح بحسب ما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه ولا تصور بل كما تعطيه ذاته وما ينبغى أن ينسب إليها من ذلك وفتح الله تعالى فى ذلك العماء صور كل ما سواه من العالم وهو المعبر عنه بظاهر الحق فى قوله ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣]وانتشاء هذا العمى من نفس الرحمن من كونه إلهاً لا من كونه رحماناً فقط

وكان أصل ذلك حكم الحب فبهذا الحب وقع التنفس فظهر النفس فكان العماء فهذا العماء هو الحق المخلوق به كل شيء وسمى الحق لأنه غير النفس والنفس مبطون فى المتنفس هكذا يعقل فإذا ظهر له حكم الظاهر انتهى منها بلفظها وراجعها.

وأشار بالحديث الصحيح إلى ما أخرجه أبو داود الطيالسى وأحمد والترمذى وقال: حسن وابن ماجه وابن جرير والبيهقى والطبرانى فى الكبير وأبو الشيخ فى العظمة عن أبي رزين لقيط بن عامر العقيلى قال كان رسول الله ﷺ يكره أن يسأل فإذا سأله أبو رزين أعجب قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض وفى رواية لأحمد قبل أن يخلق خلقه قال كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء.

وقد خاض أهل الظاهر فى هذا الحديث بعد ما قالوا إن العماء بالفتح والمد السحاب [٢٤٣] فقال أبو عبيد: لا يدري كيف كان ذلك العماء. وقال غيره: هو كل أمر لا تدركه عقول بنى آدم ولا يبلغ كنهه الوصف والفطن. وقال الأزهرى: نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفه أى نجرى اللفظ على ما جاء عليه من غير تأويل. وقيل إنه لابد فى قوله: أين كان ربنا من تقدير مضاف والتقدير أين كان عرش ربنا، ويدل له قوله ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود: ٧] وقيل معناه أنه كان متجلياً فى سحاب وما تفطن قائله لكون السحاب من جملة الخلق الذى سأل عنه السائل وفى رواية كان فى عمى بالقصر قال ابن الأثير فى النهاية: ومعناه ليس معه شيء.

والذى عليه أرباب البصائر فى هذا الحديث هو أن المراد بالعماء فيه غاية بطون الحق حيث لا عثور لأحد على حقيقته أو تقول احتجاب الرب سبحانه وتعالى فى حضرة ذاته بما هى متصفة به من العلو الذاتى والكبرياء والعظمة الذاتيين والعز الذاتى فلا وجود لشيء معه وهذه الحضرة الذاتية هى حضرة الطمس والعماء التى لا ظهور فيها لاسم ولا صفة إلا الذات بالذات فى الذات عن الذات لا شيء غير ذلك وإليها الإشارة بقوله عليه السلام: كان الله ولا شيء معه. وهى حضرة الأحدية التى هى

مرتبة كنه الحق والذات الساذج التي لا مطمع لأحد فى الوصول إليها ولذا قال السيد الجرجانى فى " التعريفات ": العماء هو المرتبة الأحدية.

وقال القيصرى فى " شرح الفصوص " معنى قوله فى عماء فى مرتبة لا تعين لها ولا اسم ولا نعت فتعمى عنه الأبصار [٢٤٤] والفهوم انتهى.

وقال الصدر القونوى فى " رسالة مفتاح الغيب " بعد ذكره للنفس الروحانى ما نصه: إن النفس المذكور إن اعتبر من حيث ظهور صورته وروعى فيه اسم ما يشبه به حتى تستحضر النفس ضباباً فإنه يصدق عليه إذ ذاك اسم العماء ويكون حكم النسبة الربية منطوياً فيه انطواء المربوب وإن كان إنما تعين منه وظهر عنه ولسان هذا المقام قوله عليه السلام وقد سئل أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان فى عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء.

فالعماء فى اللسان: السحاب الرقيق وهو نفس متكاثف فأخبر أنه فى عماء ونفى أن يكون كالعماء المعلوم عندنا إذ لا خلق هناك فإنه جواب لمن قال أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه فلم يكن لكون ما إذ ذاك ظهور أصلاً وإلا لما صح الجواب والجواب صحيح تام والأمر مشهود للمحققين كما ذكر ﷺ وهذه الظرفية المذكورة والمظروفية سرها شبيه بالتجلى الموسوى الذى قال الله فيه ﴿ **أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [النمل: ٨] فهو تعالى متجل فى النار وحول النار ومتنـــزه عن الجهة والمكان والحصر حالة تقيده بالمظاهر وتجليه فيها فافهم انتهى بلفظه.

وقال القاشانى فى " لطائفه " حضرة العماء هى حضرة النفس الرحمانى والتعين الثانى وهى البرزخية الحائلة بكثرتها التشبيه بين الوحدة والكثرة الحقيقيتين راجعه فى ترجمة العماء.

وقال العارف بالله سيدى عبد الغنى النابلسى فى " الظل الممدود فى معنى وحدة الوجود " ورد فى الحديث عن نبينا [٢٤٥] ﷺ أنه تعالى يعنى من حيث الذات المطلقة

حق عن الإطلاق كما ذكرنا فى عماء كناية عن حضراته تعالى الأسمائية والصفاتية وتجليات أفعاله الربانية بالأعيان الكونية انتهى.

ثم إنه ظهر ذلك المعنى الذى حمله ذلك النفس فى العماء فى مرتبة الأرواح فى أول درجة من درجات الوجود العينى فيها قبل كل عين بتجل خاص تجلى سبحانه وتعالى من نفسه لنفسه بأنوار السبحات الوجهية من كونه حيا عالماً مريدا قائلا فظهر فى الغيب المستور الذى لا يمكن كشفه لمخلوق العنصر الأعظم فكان هو القبضة الأحمدية والحقيقة النورانية المحمدية واللطيفة الربانية والياقوتة الفريدة الشعشعانية والدرة المشرقة البيضاء والجوهرة العظيمة الفيحاء التى هى أول مخلوق وأكرمه وأجله وأشرفه وأعظمه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ولا يدرى ما حوته من الكمالات إلا جنابه وعلاه والنور الشعاعي الوجودى المفاض المنبسط بعد على كل الكائنات الذى هو نور مطلع جميع المخلوقات بالنسبة إلى هذا التجلى الأول الوجودى الذى هو نوره ﷺ المعين الشهودى كلمعة خفيفة وبارقة حفيفة كماأن النورانىبالنسبة إلى الكونى كلمعة من جنابه شارقة وقد خلقه سبحانه على صورته وأودعه كل عوالمه وخليقته وخلق كل حقيقة فيه من حقيقة من حقائق أسمائه وصفاته وخلقه هو من نفسه وذاته وجعله واسطة بينه وبين جميع الموجودات فى الإيجاد والإمداد وجميع [٢٤٦] المطلوبات يقابل كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من الرقائق التى أمده بها المعبود وجعل له سبحانه وتعالى نسبتين لأنه مخلوق منه وذاته تعالى جامعة للضدين:

إحداهما: نسبة الجمال والنور ومنها خلقت الأرواح المهيمة وجميع الملائكة المعظمة ومن ضاهاهم بل والأرواح كلها والأجسام النورانية التى لا ظلمة فيها.

والثانية: نسبة الجلال والظلام والضلال ومنها خلقت الأجسام الظلمانية كإبليس وأتباعه من الشياطين وسائر الأجسام الكثيفة والجحيم ودركاتها كما أن الجنة والنار وجميع درجاتها خلقت من النسبة الأولى وهى النورانية وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام كان أول موجود وأفضل كل مشهود انصب فيه بحكم محبة الحق إياه المحبة الكاملة الأكملية جميع ما أراد تعالى إبرازه للوجود من الجواهر والأعراض والمنح والمواهب

وجميع آثار الكرم والمجد وجميع آثار السطوة والقهر فجمع سبحانه وتعالى فيه جميع ما ذكر إجمالاً وتفصيلاً ثم جعله منبعا وعنصراً لجميع ما يصل إلى الأكوان من جميع ما ذكر جملة وتفصيلا أزلا وأبدا ومن المحال بحكم المشيئة الإلهية أن يبرز شيء فى الوجود جوهرا كان أو عرضاً أو غيرهما مما دق أو جل خارجا عنه ﷺ.

قال الجيلى فى كتاب "ـ الكهف والرقيم فى شرح بسم الله الرحمن الرحيم " ما نصه: الحقيقة المحمدية خلق العالم بأسره منها لما ورد فى حديث جابر أن الله تعالى خلق روح النبى ﷺ من ذاته وخلق [٢٤٧] العالم بأسره من روح محمد ﷺ فمحمد ﷺ هو الظاهر بالمظاهر الإلهية، ألا ترى إليه ﷺ كيف سرى بجسمه إلى فوق العرش وهو مستوى الرحمن انتهى.

وقال فى " جواهر المعانى " نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى بعد ما ذكر عنه أن للحق تعالى تنـــزيلين تنـــزلاً أوليا وهو تنـــزل وجود الذوات وهو المقتضى لوجود الخلق عموما وخصوا جملة وتفصيلا من أول وجود العالم إلى الأبد، وتنـــزلا ثانويا وهو تنـــزله بفيض الرحمة الإلهية المسماة بالنفس الرحمانى ما نصه: وهذا التنـــزل الثانى والتنـــزل الأول كلاهما مجموعان فى الحقيقة المحمدية فإنها أول موجود أنشأه الله من حضرة العما الربانى وأوجدها سبحانه وتعالى مشتملة على جميع ذوات الوجود من الأزل إلى الأبد والوجود كله متنسل منها فكما أن آدم عليه السلام وجوده مشتمل على وجود ذريته إلى قيام الساعة فما فى الوجود آدمى خارج عنه كذلك ما فى الوجود ذرة موجودة من الأزل إلى الأبد خارجة عن الحقيقة المحمدية إذ هو الأب الأول للوجود كله فهذا هو التنـــزل الأول وهو تنـــزل وجود الذوات وكان التنـــزل الثانى الذى هو فيض الرحمة الإلهية الذى اقتضاه النفس الرحمانى مجموعا أيضاً فى الحقيقة المحمدية فما فى الوجود رحمة تصعد أو تنـــزل مما عم أو خص إلا وهى نقط من فيض بحر الحقيقة المحمدية فكما أنه ﷺ هو السبب فى إيجاد الخلق هو السبب فى إمدادهم بالرحمة الإلهية فيشار للتنـــزل [٤٤٨] الأول الذى هو وجود الذوات بقوله سبحانه ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف:٨١]فهو

أول موجود عبد الله لكونه لم يتقدمه أحد فى الوجود ويشار للتنـــزل الثانى الذى هو النفس الرحمانى بقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] انتهى بلفظه.

وقد سمى هذا العقل الأعظم بأسماء كثيرة معظمة شهيرة باعتبار أوصافه القديمة وتنوع ملابسه الفخيمة واختلاف وجوهه وحالاته وتعدد مظاهره واعتباراته.

فمن أسمائه باعتبار النورانية وهو أعظم مظاهره كما يأتى العقل الأول لأنه أول من عقل عن الله أمره بقوله كن وأول من عقل عنه من علمه من العلوم وأول عالم بالتدوين والتسطير.

وفى " لطائف العلوم " فى العقل الأول هو أول جوهر قبل الوجود من ربه ولهذا يسمى بالعقل الأول لأنه أول من عقل عن ربه وقبل فيض وجوده انتهى.

وفى " الفتوحات " فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى معرفة النفس بفتح الباء ما نصه: أول خلق خلقه الله من النفس الذى هو العماء القابل للفتح صور العالم فيه العقل وهو القلم انتهى.

وفيها أيضاً فيه ما نصه: أول ما خلق الله العقل وهو القلم فهو أول مفعول إبداعى ظهر عن الله تعالى وكل خلق على غير مثال فهو مبدَع بفتح الدال وخالقه مبدِعه بكسر الدال انتهى.

وفيها أيضاً فيه ما نصه: أول ما خلق الله العقل أظهره فى نفس الرحمن فى العماء فى أول درجته التى هى فى نفس الإنسان المخلوق على [٢٤٩] صورة الهمزة فهو أول مبدع من حروف تنفس الإنسان ولها وجوه وأحكام مثل للعقل فى النفس انتهى.

وفيها أيضاً فيه ما نصه: لما خلق الله الملائكة وهى العقول المخلوقة من العماء وكان القلم الإلهى أول مخلوق منها اصطفاه الله وقدمه وولاه على ديوان إيجاد العالم كله وقلده النظر فى مصالحه وجعل ذلك عبادة تكليفه التى تقربه من الله فما له نظر إلا فى ذلك وجعله بسيطا حتى لا يغفل ولا ينام ولا ينسى فهو أحفظ الموجودات المحدثة

واضبطه لما علمه الله من ضروب العلوم وقد كتبها كلها مسطرة فى اللوح المحفوظ عن التبديل والتحريف انتهى.

وفيها أيضاً فيه فى الخطبة التى ذكرها فى نضد العالم بعد ما ذكر فيها أن أول موجود أداره سبحانه فلك الإشارات الذى هو الجوهر الثابت العمائى ما نصه:

وأول صورة ظهرت فى هذا الفلك العمائى صور الروحانيات المهيمات التى منها القلم الإلهى الكاتب العلام فى الرسالات وهو العقل الأول الفياض فى الحكميات والإنباءات وهو الحقيقة المحمدية والحق المخلوق به والعدل عند أهل اللطائف والإشارات وهو الروح القدسى الكل عند أهل الكشوفات والتلويحات فجعله عالماً حافظاً باقياً تاماً كاملاً فياضاً كاتباً من دواة العلم تحركه يمين القدرة عن سلطان الإرادة والعلوم الجاريات إلى نهايات وهو مستوى الأسماء الإلهيات انتهى.

وقال فى " عقلة المستوفز " فى الباب الذى عقده فى خلق العقل الأول ما نصه: وسماه [٤٥٠] الله تعالى فى القرآن حقاً وقلماً وروحاً وفى السنة عقلاً وله غير ذلك من الأسماء وقد ذكرنا أكثرها فى كثير من كتبنا قال الله تعالى ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ [الحجر:٨٥] وهو أول عالم التدوين والتسطير وهو الخازن الحافظ الأمين على اللطائف الإنسانية التى من أجلها وجد وإياها قصد ميزها فى ذاته عن سائر الأرواح تميزا إلهيا علم نفسه فعلم موجده فعلم العالم فعلم الإنسان.

قال رسول الله ﷺ من عرف نفسه عرف ربه لسان إجمال والحديث الآخر: أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه لسان تفصيل فهو العقل الأول من هذا الوجه وهو القلم من حيث التدوين والتسطير وهو الروح من حيث التصرف وهو العرش من حيث الاستواء وهو الإمام المبين من حيث الإحصاء رقائقه التى تمتد إلى النفس أى الكلية إلى الهباء إلى الجسم إلى الأفلاك الثابتة إلى المركز إلى الأركان بالصعود إلى الأفلاك المستحيلة الى الحركات إلى المولدات إلى الإنسان إلى انعقادها فى العنصر الأعظم وهو أصلها ستة وأربعون ألف ألف رقيقة وستمائة ألف رقيقة وست وخمسون ألف رقيقة انتهى.

ومن أسمائه أيضاً القلم الأعلى قال القاشاني في " لطائفه ": القلم الأعلى هو العقل الأول سمى بالقلم الأعلى من جهة كونه واسطة بين الحق في إيصال العلوم والمعارف إلى جميع الخلق المشار إلى ذلك بقوله: اكتب علمي في خلقي.

وبقوله: اكتب ما هو كائن انتهى.

قال في " عقلة المستوفز " وليس فوق القلم موجود محدث يأخذ [٢٥١] منه يعبر عنه بالدواة وهو النون كما ذكره بعضهم وإنما نونه التي هي الدواة عبارة عما يحمله في ذاته من العلوم بطريق الإجمال من غير تفصيل فلا يظهر لها تفصيل إلا في النفس الذي هو اللوح فهو محل الإجمال والنفس محل التفصيل قال وهذا القلم له ثلاثمائة وستون سناً من حيث ما هو قلم وثلاثمائة وستون وجهاً ونسبة من حيث ما هو عقل وثلاثمائة وستون لساناً من حيث ما هو روح مترجم عن الله تعالى ويستمد كل سن من ثلاثمائة وستون بحراً وهي أصناف العلوم وسميت بحوراً لاتساعها انتهى.

ومن أسمائه أيضاً الروح الأول لأنه ليس قبله روح والروح الأقدم لأنه لما كان منشأ لجميع الأرواح كان هو الأقدم لا محالة والروح الأوحد لأنه ليس هناك روح تماثله أو تدانيه والروح الكل لأنه قائم على جميع الصور وشامل لها ومحيط بها وروح الأرواح لانتشاء جميع الأرواح عنه وذلك أن القلم الأعلى كتب الله به بيد قدرته في اللوح المحفوظ وفصل ما هو كائن كتابين كتابا قولياً وهو القرآن الكريم وكل كتاب منـــزل وكتاباً فعلياً هو روحانية كل كائن يكون وهذان الكتابان تفصيل عينه المجمل فكان هذا اللوح الذي هو الروح المضاف إلى الحضرة الإلهية المنفوخ منه كل روح بإجماله وتفصيله معاً محصورة لحقيقة القلم المجملة التي هي الروح الأحمدية وتفصيل هذه الحقيقة المجملة بل قابلية تفصيلها المعنية بقوله اكتب ما هو كائن إنما هي نفسه المشار إليها في قوله عليه السلام والذي نفس محمد بيده وهي باطن اللوح المشتملة [٢٥٢] على جميع الأرواح الإنسانية والملكية والجنية وروحانية كل شيء وروحه فكان روحه ﷺ روحاً لجميع الأرواح ممدة لها فهذا الاعتبار بحيث يمد روحه كل ذي روح في إظهار كل علم فطرى شريف ومعنى لطيف وخاصية بديعة منه فجميع ذلك فيه مرئى

لأن روحه الشريف ﷺ الواصلة منها إلى كل روح وروحانيه وإلى هذا يشير ابن الفارض بقوله فى تائيته الكبرى على لسانه ﷺ:

وروحـــى لـــلأرواح روح وكل ما ترى حسنا فى الكون من فيض طينتى

وفى... لأنه روح الأرواح والأرواح الجزئية لكل صورة جسمية أو روحية أو عقلية أو خيالية أو مثالية إنما هى فائضة منه.

– الروح الأعظم –

وقال القاشانى فى " لطائفه " الروح الأعظم يعنى به بالعقل الأول ويقال له القلم الأعلى قال وذلك لأن العقل الأول له ثلاثة وجوه معنوية كلية.

فالوجه الأول: أخذه الوجود والعلم مجملاً بلا واسطة وإدراكه وضبطه ما يصل إليه من حضرة موجده فباعتبار هذا الوجه يسمى العقل الأول لأنه أول من عقل عن ربه وأول قابل لفيض وجوده.

والوجه الثانى: هو تفصيله لما أخذه مجملاً فى اللوح المحفوظ بحكم اكتب علمى فى خلقى واكتب ما هو كائن ويسمى بهذا الوجه بالقلم الأعلى الذى به يحصل نقش العلوم فى ألواح الذات القابلة قال تعالى ﴿ **عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** ﴾ [العلق:٤] وبهذا الوجه هو نفس محمد ﷺ المشار إليها بقوله [٢٥٣] والذى نفس محمد بيده.

والوجه الثالث: كونه حاملاً حكم التجلى الأول منسوباً إلى مظهريته فى نفسه لغلبة حكم الوحدة والبساطة عليه وبهذا الاعتبار هو حقيقة الروح الأعظم المحمدى ونوره لكونه جامعاً لجميع التجليات الإلهية منها والكونية ومنشأ لجميع أرواح الكائنات انتهى منه بلفظه.

ومن أسمائه أيضاً: روح كل شيء وحياة كل شيء وفى دالية سيدى على ﷺ:

روح الوجـــود حياة من هو واجد لـــولاه مـــا تم الوجـــود لمـــن وجد

ومن كلام مولانا عبد القادر الجيلانى ﷺ فى وصفه ﷺ:

مميــــــت حــــــى الشـــــقاوة عـــلم مـــا يـــأتى ومـــا عنهم سبق

ومن أسمائه أيضاً: أمر الله وإليه الإشارة بقوله ﴿ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥] أى وجه من وجوه الأمر واعتبار من اعتباراته والظل الأول لأنه أول عين ظهرت بنوره تعالى والفيض الأول لأن الحق أبرزه من حضرته قبل كل شيء وأفاضه على كل شيء فظهر كل شيء ممتدا منه بسبب فيضانه عليه والحق المخلوق به أى بسببه كل شيء لأن الحق تعالى ظهر به وجعله شرطا وسببا لوجود كل موجود بعده إلى غير نهاية ومركز الدائرة والمراد بالدائرة الأكوان كلها والمركز هو القطب الذى تدور عليه كقطب الرحا الذى هو ماسك لها ولولا استقامته ما استقامت على وزن واحد والدرة البيضاء أى الصافية التى ما خالطها شيء من الأدناس.

وفى الحديث على ما ذكره القاشانى فى " لطائفه " وغيره أول ما خلق الله درة بيضاء وأول ما خلق الله العقل وأول ما خلق الله القلم وهى أسماء على مفهوم واحد وإن كان وقوعها عليه باعتبارات مختلفة والقلب لأنه لباب المخلوقات وزبدة الموجودات جميعها أعاليها وأدانيها وقلب الشيء خلاصته وزبدته وسدرة المنتهى لأنه البرزخية الكبرى التى يتنتهى إليها [٢٥٤] أعمال الخلائق وعلومهم والمقام الذى هو غاية الغايات ونهاية النهايات.

ومن أسمائه أيضاً: الوجود السارى لأنه لولا سريان الوجود الحق فى الموجودات بالصورة التى هى منه وهى هذا العنصر الأعظم ما كان للعالم ظهور ولا صح وجود لموجود لبعد المناسبة وعدم الارتباط فما صحت نسبة الوجود إلى الموجودات إلا بواسطة هذه الحقيقة والإنسان الكامل ويقال أيضاً الأكمل لأنه ما من كمال فى الوجود الكونى إلا وهو له أو مقتبس منه ولأن كل كامل من حيث صورته الظاهرة والباطنة مظهر له وللوازمه والخزانة الجامعة لأن كل شيء أبرزه الحق تعالى للوجود أودعه فيه أولاً ومنه كان بروزه ثانياً.

ومن أسمائه أيضاً: حقيقة الحقائق وذلك لكليته وشموله لكل حقيقة إلهية أو كونية وجمعيته بجميع الاعتبارات وسائر التعينات وانتشاء كل ذلك عنه والنور لما ورد من أن أول شيء خلقه الله تعالى نوره ﷺ وفى الآية الشريفة ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ ﴾

[المائدة آية: ١٥]يعنى به محمدا ﷺ والنور نوران نور الحق وهو الغيب المطلق القديم ونور العالم المحدث وهو نوره ﷺ المخلوق من نور الله تعالى وخلق كل شيء منه فهو كل شيء من حيث الماهية وكل شيء غيره من حيث الصورة وكانت ذاته عليه السلام نورانية تسطع منه وعليه الأنوار دائما وأبدا لا مطلق الأنوار بل أنوار مصحوبة برونق غريب وحسن بديع عجيب فتنفعل له النفوس الكريمة وتنجذب [٢٥٥] نحوه الطباع المستقيمة وتميل معها بكليتها الأرواح الغير المحجوبة ويشهد صحيح الإدراك فى شهوده مطلوبه ومرغوبه وتحصل النفوس غاية المرور بقربه ورؤيته وتسير بلا مهل إلى مشاهدة طلعته إذ هو ﷺ كالجنة فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين بل فيه ما ليس فيها مما لا يوصف ولا يمكن إلا بالذوق أن يعرف.

ومن أسمائه أيضاً: نور النور ونور الأنوار لأنه ما من نور إلا وهو متفرع من نوره وممتد من ذاته الحسية أو المعنوية وكل الكل لأنه أصل الأكوان ومادتها وعنه نشأت وإليه انتسبت وبه اتصلت.

ومن أسمائه أيضاً: مرآة الحق لأن الحق تعالى رأى فيه نفسه ومرآة الكون لأن الأكوان وأحكامها وأوصافها لم تظهر إلا فيه.

ومن أسمائه أيضاً: مجمع البحرين أى بحرى الوجود والإمكان لأنه ظهر بالأسماء الإلهية فكان حقا وبالحقائق الكونية فكان خلقاً والمادة الأولى أى هيولى الكل لأنه أول مخلوق تعين من الحضرة الغيبية وتفصل منه جميع ما فى العالم الكبير والصغير من جليل وحقير كما تقول الفلاسفة فى الهيولى الكل أنه الجوهر الذى منه تتركب الأجسام والمخلوق على الصورة لقوله فى الحديث: إن الله خلق آدم على صورته والصورة الرحمانية لقوله أيضاً فى بعض الروايات: إن الله خلق آدم على صورة الرحمن وآدم الخليقة لتنسل الخلائق كلهم منه والمثل قال الشيخ الأكبر وإليه الإشارة بقوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء ﴾ [الشورى:١١] والعمى [٢٥٦] الثالث والأول والثانى الأحدية والواحدية سمى عماء لأنه مرتبة كنهه ﷺ لا مطمع لأحد فى الوصول إليها.

ومن أسمائه أيضاً: النفس الواحدة ونفس محمد ﷺ لقوله ﴿ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [الأنعام:٩٨] وقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [النساء:١] أى ذات واحدة ونفس الرحمن لأنه تعالى ينفخ منه فى كل ذى روح والنفخ لا يكون إلا من النفس إلى غير ذلك من أسمائه الكثيرة لبيان هذا العنصر الأعظم جوهر بسيط نورانى جوهريته تظهر الذات المتجلية فى عالم الظهور ويسمى باعتبارها نفسا واحدة كما سبق ونورانيته مظهر علمها الأزلى ويسمى باعتبارها عقلاً أولاً فنورانية هذا العنصر هى التى تكون منها العقل الأول فكان لسان هذا العنصر وترجمانه وباعتبار آخر هذا العنصر هو سلطان المملكة الإلهية المستحق للخلافة العظمى عن الله وهذا العقل وزيره ومظهره بل هو أعظم مظاهره.

وقد ذكر فى " الفتوحات " فى الكلام على العالم وترتيبه فى الظهور والإيجاد وفى المكان وفى المكانة إن مكانة الإنسان الكامل هى الأولى ثم العقل الأول ثم الأرواح المهيمة ثم النفس إلى آخر ما قال وذكر أيضاً قبل هذا أثناء كلام له على العقل أنه يعنى العقل رأى فى جوهر العماء صورة الإنسان الكامل الذى هو للحق بمنـــزلة ظل الشخص من الشخص ورأى نفسه ناقصا عن تلك الدرجة قال وقد علم ما يتكون عنه من العالم إلى آخره فى الدنيا وفى المولدات [٢٥٧] فعلم أنه لابد أن يحصل له درجة الكمال التى للإنسان الكامل وإن لم يكن فيها مثل الإنسان فإن الكمال فى الإنسان الكامل بالفعل وهو فى العقل الأول بالقوة وما كان بالقوة والفعل أكمل فى الوجود مما هو بالقوة دون الفعل انتهى.

وقال فى " عقلة المستوفز " هذا العنصر المشار إليه أكمل موجود فى العالم ولولا عهد الستر الذى أخذ على أهل هذا الطريق فى بيان حقيقته لبسطنا الكلام فيه وبينا كيفية تعلق كل ما سوى الله عز وجل به انتهى.

وفى " الإنسان الكامل " فى الباب الموفى ستين فى الإنسان الكامل وأنه محمد ﷺ ما نصه:

اعلم وفقك الله تعالى أن الإنسان الكامل هو القطب الذى تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ثم له التنوع فى الملابس فيسمى باعتبار لباس ما لا يسمى به باعتبار لباس آخر واسمه الأصلى الذى هو له محمد وكنيته أبو القاسم ووصفه عبد الله ولقبه شمس الدين ثم له باعتبار ملابس أخر أسام وله فى كل زمان اسم ما، يليق بلباسه فى ذلك الزمان وقد اجتمعت به ﷺ وهو فى صورة شيخى الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتى فكنت أعلم أنه النبى ﷺ وكنت أعلم أنه شيخى وهذ من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة وسر هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة انتهى.

ولما ظهر هذا العنصر أقام يسبح الله تعالى ويقدسه ويحمده ويهلله ويكبره ويمجده [٢٥٨] مدة تقديرها فيما ذكره بعض الكبراء الأعيان ألف ألف سنة من الأزمان حيث لا عرش ولا كرسى ولا سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار ولا فوق ولا تحت ولا طول ولا عرض ولا لوح ولا ملك ولا زمان ولا مكان ولا مخلوق من قلم أو إنس أو جان فلما أراد سبحانه تكوين الكائنات وإبداع الموجودات نظر إليه بعين الجلال والعظمة والكمال فرجف لعظمته وتصدع من هيبته فأول شيء ظهر عنه ومن التفاته وبواسطته فى ذلك العماء فى المرتبة الأولى من مراتب الوجود لما ذكرنا أنه وجه من وجوهه واعتبار من اعتباراته وهو العقل الأول المسمى بالقلم الأعلى فكان حاملاً لنورانيته وعلمه ولما تحمله من حقائق الموجودات حتى سمى باسمه وجعلهما من جعلهما شيئا واحداً ونسبة مظهريته إلى التعين والبرزخ والتحلى الأول أقوى ولغلبة حكم الإجمال والوحدة على هذا التعين غلب على حقيقة هذا العقل والقلم ذلك الحكم فلم تقبل الوجود المفاض عليها إلا مجملاً وهو أول ما أوجد الحق تعالى من عالم العقول المدبرة وأول عالم التدوين والتسطير وتجلى له تعالى فى مجلى التعليم الوهبى بما يريد إيجاده من خلقه لا إلى غاية وحد فقبل بذاته علم ما يكون وما للحق تعالى من الأسماء الإلهية الطالبة صدور هذا العالم الخلقى ثم اشتق منه موجوداً آخر سماه اللوح وأمره أن يتدلى إليه ويكتب فيه جميع ما يكون إلى يوم القيامة لا غير ففعل.

وفى " عقلة المستوفز " للشيخ الأكبر بعد ما ذكر أن الله تعالى خلق فى الغيب [٢٥٩] المستور الذى لا يمكن كشفه لأحد العنصر الأعظم وتكلم على وجود الأرواح المهيمة ما نصه:

ثم نرجع ونقول إن هذا العنصر الأعظم المخزون فى غيب الغيب المكنون له التفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير ولا وجود لذلك العالم فى الغين فأوجد على ما قال الوارد الشاهد عند تلك الالتفاتة العقل الأول وقيل فيه أول لأنه أول عالم التدوين والتسطير، والالتفاتة إنما كانت للحقيقة الإنسانية التى لها الكمال من هذا العالم فكان المقصود انتهى.

ثم انبعث عن هذا العنصر ومنه بتجل آخر إلهى بقية الأرواح المهيمة الأول دفعة واحدة من غير ترتيب ثم بتجل آخر لأرواح المهيمة الثانية فى أرض بيضاء خلقهم عليها وللإنسان الكامل فى هذه الأرض مثال كما أن له فى الأرواح الأول مثالا آخر وهو فى كل عالم على مثال ذلك العالم.

وفى " شرح الفصوص " للجامى قال: صرح الشيخ صدر الدين القونوى قدس الله سره فى بعض رسائله بأن الأرواح الكلية التى للكمل مقارنة للعقل الأول فى الوجود واقعة معه فى وصف واحد انتهى.

واعلم أن هذه الأرواح المهيمة هى التى افتتح الحق تعالى بها وجود السوى والعقل و أولها خلقاً لم يتقدمه منهما إلا العنصر الأعظم وهى أرواح نورية إلهية مهيمة فى صورة نورية خلقية إبداعية فى جوهر نفس هو العماء أوجدها سبحانه من فيض سبحانه وهيمها فى جلاله وجماله ورفعة ذاته وما منهم روح مما دون العنصر [٢٦٠] الأعظم والعقل الأول يعرف أن ثم سواه لفنائه فى الحق بالحق واستلاء سلطان الجلال عليه فلا يعرفون العقل الأول ولا غيره ممن بعده ولا يعرفون سوى من هاموا فى جلاله وطاشوا بمشاهدته أو من يرسل إليهم رسولاً وهو العنصر الأعظم وعلى قلوبهم الأفراد... عن نظر القطب ودائرته.

وقد قال فى " الفتوحات " فى الباب الثالث عشر ما نصه:

إن أول جسم خلقه الله أجسام الأرواح الملكية المهيمة فى جلال الله ومنهم العقل الأول والنفس الكل وإليها انتهت الأجسام النورية المخلوقة من نور الجلال وما ثم ملك من هؤلاء الملائكة من وجد بواسطة غيره إلا النفس التى أبدى العقل وكل ملك خلق بعد هؤلاء فداخلون تحت حكم الطبيعة فهم من جنس أفلاكها التى خلقوا منها وهم عمارها وكذلك ملائكة العناصر وآخر صنف من الأفلاك الملائكة المخلوقون من أعمال العباد وأنفاسهم انتهى منه بلفظه.

وفى أول خطبة " عقلة المستوفز " الحمد لله الواهب الذى افتتح وجود السوى بالأرواح المهيمة المخلوقة بل المبدعة من فيض السبحات وعين منهم العنصر الأعظم بالمقام الذى لا يقبل الحركات الحكيم الذى فتح وجود عالم التكوين والتدبير بإيجاد القلم الأعلى واللوح المحفوظ مظهرى عالم التدوين والتسطير إلى آخر ما قال ثم إنهم لم يجعلوا هذه الأرواح مرتبة ثانية من مراتب الوجود بل جعلوا العقل فى المرتبة الأولى والنفس الآتية فى المرتبة الثانية لأنها ليست [٢٦١] مرتبة كلية بخلاف ما قبلها وما بعدها ثم انبعثت عن العقل الأول ومنه وبواسطته فى المرتبة الثانية من مراتب الوجود وهو أيضاً من جملة الأرواح المهيمة كما سبق عن " الفتوحات " ما يسمى نفسا كلية وذلك بتجل آخر مخصوص تجلى له الحق تعالى فرأى لذاته ظلاً فكان ذلك الظل نفساً كلية ناطقة ثابتة ناشئة عن جنبه الأيسر هى فى قبول صور المعلومات المفصلة بمثابة اللوح واللوح المحفوظ عبارة عنها ونسبة مظهريتها إلى التعين والبرزخ والتجلى الثانى وأحكامه التفصيلية أشد وأظهر ولغلبة حكم التفصيل على هذا التعين غلب على حقيقة اللوح ذلك الحكم فقبلت بواسطة القلم ذلك الوجود المجمل مفصلا فهى محل تفصيل حقائق المعلومات وهى أيضاً روح سائر أرباب الكمالات ممن عداه ﷺ وباطن هذه الأرواح إنما هو التجلى الثانى الذى هو ظاهر إطلاق ظاهر الوجود كما أن جهة وحدة القلم الأعلى هى الروح المحمدى وباطن هذا الروح إنما هو التجلى الأول الذى هو باطن إطلاق ظاهر الوجود وهى أول موجود انبعاثى لانبعاثها من الطلب القائم

بالعقل وأول موجود وجد عند سبب وهو العقل أيضاً وهى دونه فى النورية والمرتبة الضيائية ومن أسمائها الزمردة والياقوتة الخضراء ومن أسمائها الروح المضاف.

قال القاشانى فى " لطائفه " ما نصه: الروح المضاف يعنون به النفس الكلية المسماة باللوح المحفوظ وبكل شيء وبالكتاب المبين [٢٦٢] وذلك لأن هذا الروح لما قبل ما نقشه القلم الأعلى فيه صار متضمناً صنفى الكلم الفعلية والقولية مفصله بحيث لا يفوته شيء مما يدخل فى الوجود إلى انتهاء يوم القيامة سمى بهذا الاعتبار بكل شيء المعنى بقوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٤٥] ثم إنه باعتبار توجهه إلى موجده وأخذه المدد عنه بلا واسطة يسمى روحاً مفاضة إلى الحضرة الإلهية ثم باعتبار تنـزله وظهوره متصوراً فى تنـزله وظهوره بالصور المثالية والحسية البسيطة منها والمركبة عرشاً وكرسياً وسماوات وأرضين وما بينهما من الأفلاك والأملاك والكواكب والعناصر والمولدات معدناً ونباتاً وحيواناً وإنساناً يسمى بالكتاب المبين الفعلى المعنى بقوله تعالى ﴿ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] ثم باعتبار توجهه بوصف التدبير والتكميل لما تفصل منه وظهر بصور الموجودات المثالية والحسية فيدبر ويحفظ ويكمل سمى بالنفس الكلية انتهى.

وهى أول منكوح لناكح كونى لأنه وقع بينها وبين العقل تحيز وتجاذب يلزم من ميل الجنس إلى الجنس كما وقع بين آدم وحواء عليهما السلام فجرى القضاء الأزلى بازدواجهما وظهور نتائجهما لذكورة العقل لما فيه من التأثر والفعل وأنوثة النفس لما فيها من التأثير والإنفعال فتولدت الكائنات منهما على الترتيب نتيجة بعد أخرى حتى انتهى الأمر إلى آخر مولود وهو الإنسان فكانت للعقل بمنـزلة حواء لآدم منه خلقت وبه زوجت وكل ما دونها فهو من عالم التولد والعقل أبوه والنفس أمه [٢٦٣] وقد أعطاها الله تعالى قوتين قوة علمية وقوة عملية فبالقوة العملية تظهر أعيان الصور وبالقوة العلمية تعلم المقادير والأوزان ولها من الرقائق بعد ما للعقل قال بعضهم والوجود إذا أخذت حقيقته بشرط كلية الأشياء فهى مرتبة الاسم الرحمن رب العقل الأول المسمى بلوح القضاء وأم الكتاب والقلم الأعلى وإذا أخذت بشرط أن تكون

الكليات فيها جزئيات مفصلة ثابتة من غير احتجاها عن كلياتها فهى مرتبة الاسم الرحيم رب النفس الكلية المسماة بلوح القدر وهو اللوح المحفوظ والكتاب المبين انتهى.

ثم إنه تعالى قال للقلم اكتب فى اللوح قال وما أكتب فقال اكتب فيه ما كان وما يكون مما علمته وأمليه عليكِ وهو علمى فى خلقى إلى يوم القيامة فكتب العماء وما حواه هذا العماء من الحقائق وكتب وجود العنصر الأعظم وغيره من الأرواح المهيمة وما هيمهم وأحوالهم وما هم عليه وتأثير أسمائه تعالى فيهم وكتب نفسه ووجوده وصورة وجوده وما يجرى عليه من العلوم وكتب اللوح وانبعاثه منه وكيفية انبعاثه وما يكون من ذلك الوقت إلى يوم القيامة لا غير لأن أحوال الآخرة غير متناهية وما لا يتناهى لا يكتب وما كتبه من أحوالها يسير ولا يخلو من إجمال.

قال فى " الفتوحات " فكان ما ألقى إليه وما ضمه اللوح من الكلمات المخلوقة فى ذات القلم واللوح بعد فراغه من الكتابة مائتى ألف آية وتسع وتسعين ألف آية ومائتى آية وهو ما يكون فى [٢٦٤] الخلق إلى يوم القيامة من جهة ما تلقيه النفس فى العالم عند الأسباب وإما يكون من الوجوه الخاصة الإلهية فى الموجودات فذلك يحدث وقت وجوده لا علم لغير الله به ولا وجود له إلا فى علم الله انتهى ثم انبعث عن هذه النفس وتولد منها بما جعله الله فيها من القوة العملية وذلك فى المرتبة الثالثة من مراتب الوجود معقولية مرتبة الطبيعة الكلية التى هى بنت الطبيعة العظمى أوجدها الله تعالى وأوجد ما تعطيه من أنفاس العالم وهو ما تقع به الحياة فى الأجسام الطبيعية من نمو وحس لا غير ذلك [وصارت]حقائقها فى أربع وهى الحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة البسيطة لا المركبة وهى آثارها فى الأجسام الطبيعية لا عينها كالحياة والعلم والإرادة والقوة فى النسب الإلهية وهى كما ذكرنا معقولة الوجود غير موجودة العين لكنها مشهودة للحق تعالى ولذا ميزها وعين مرتبتها وجعلها للأجسام الطبيعية كالأسماء الإلهية تعلم وتعقل وتظهر آثارها ولا تجهل ولا عين لها جملة من خارج وكذلك هذه الطبيعة تعطى ما فى قوتها من الصور الحسية المضافة إليها الوجودية ولا

وجود لها من خارج فما أعجب مرتبتها وما أعلى أثرها وما تحتها من الأجسام الطبيعية إلى العناصر أنوار فى ظلال وما تحت العناصر من الأجسام العنصرية أنوار فى ظلمة وما فوق الطبيعة من الأجسام النورية أنوار فى أنوار أو تقول [٢٦٥] أنوار فى أنفاس رحمانية أو أنوار فى عماء ثم انبعثت عنها أيضاً أعنى النفس وتولد منها فى المرتبة الرابعة من مراتب الوجود معقولية مرتبة الجوهر الهبائى الذى هو محل الصور الجسمية وفيه فتحت وظهرت صور جميع الأجسام وتسميتها بالجوهر الهبائى منقولة عن على بن أبى طالب ﷺ وسماه الصوفية بالعنقاء لأنه يسمع بذكره ويعقل ولا وجود له فى العين كالعنقاء يسمع بها وتعقل ولا وجود لها وسماه الحكماء الهيولى الكل والهيولى لفظ يونانى يريدون به المادة الكلية التى قبلت صورة الجسم وتعينت فيها صور الأبعاد الثلاثة فكان المكان وهذا الهيولى جوهر مظلم لا نور فيه ولا عين له فى الوجود كالطبيعة وإنما تظهره الصورة فهو يقبل الصور بجوهره وهو على أصله فى المعقولية والمدرك الصورة لا غيرها ولا تقوم الصورة إلا فيه ثم انبعثت عنها أيضاً فى المرتبة الخامسة من مراتب الوجود معقولية مرتبة الجسم الكل المسمى بالغراب وهو القابل لعوالم الأفلاك والأركان وحكم الطبيعة وأول صورة قبلها الجوهر الهبائى وبه عمر الخلاء ولما أوجده الله تعالى لزمه الشكل إذ كانت الأشكال لوازم الأجسام فأول شكل ظهر فيه الشكل المستدير وهو أفضل الأشكال فعلم من ذلك أن الخلاء مستدير وأظهر الله صور العالم كله فى هذا الجسم على استعدادات مختلفة فى كل صورة وإن جمعها جسم واحد وحاكم واحد وظهر حكم الزمان بأمر الله فظهرت الصور بالترتيب فقبلت التقدم والتأخر الزمانى وظهر حكم [٢٦٦] الأسماء الإلهية بوجود هذه الصرر وما تحمله وأول صورة ظهرت تعينها فيه كما ذكره الشيخ الأكبر وأتباعه صورة العرش المحيط وهذا يؤذن بأنه غير العرش ومن الصوفية كما ذكره الجيلى فى إنسانه من قال أنه العرش وقد ظهر من هذا العماء صورة من قوة الطبيعة العظمى وإن الأرواح المهيمة من صور العماء وإن العنصر الأعظم منها وهو أولها وأجلها وأعظمها ومنه تكون جميعها وإن العقل والنفس من جملتها أيضاً لكنهما ليسا كهى فى الاستغراق الكلى بل معهما

شعور بما حملاه وبما هو ناشئ عنهما وفى النظر فى ذلك وامتثال الأمر فيه عبادتهما وإن الطبيعة والهباء والجسم الكل أمور متوهمة معقولة فى الأذهان ليس لها ظهور فى خارج الأعيان فهى أمر غيبى كلى لا تتعين له صورة فى الخارج فهو لا يزال غيبا ثم رتب الله الخلق فى الإيجاد فأوجد فلك العرش العظيم وهو جسم شفاف لطيف مستدير محيط بأجسام العالم وهو أول كثيف شفاف نورى ظهر وأول الموجودات التى قبلها عالم الأجسام وأول عالم التركيب ثم فلك الكرسى الكريم وهو جسم آخر فى جوف العرش كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض ثم الفلك الأطلس الذى هو فلك البروج فى جوف الكرسى وهو بالنسبة إليه أيضاً كحلقة ملقاة فى فلاة ثم فلك الكواكب الثابتة الذى هو فلك المنازل فى جوف الأطلس بالنسبة السابقة وبينهما خلقت الجنات بما فيها الأطلس سماؤها وهذا الفلك أرضها كما أنه سقف النار ثم العناصر وهى الأركان الأربعة [٢٦٧] وأولها وجوداً عند أكثر النظار كرة أو نقول ركن الأرض قال فى عقلة المستوفز ثم الكشف يعطى بأنها هى التى خلقت أولاً وأنها أولى الأركان خلقها الله تعالى قبل بقية الأركان وفيه خلاف كثير بين العلماء وقال فى الفتوحات فى الباب الخامس والتسعين ومائتين أصل العناصر عندنا الماء ووافقنا على ذلك بعض الناس من النظار فى هذا الفن لكن مستندنا الكشف فيما ندعيه من هذا وغيره من العلوم انتهى وعليه فأولها وجوداً ركن الماء ثم ركن الأرض ثم ركن الهواء ثم ركن النار ثم تكون الدخان وفيه فتقت السماوات السبع من سماء الدنيا ثم الثانية فوقها إلى منتهاها على الترتيب ثم المولدات ويقال لها المركبات العنصرية وأول ما تكون منها فى الأرض المعادن ثم النباتات ثم الحيوانات ثم انتهت النوبة والترتيب الإلهى إلى خلق الإنسان مضاهيا لجميع المحدثات فتجلى له الحق تعالى بالذات ووهبه معالم الأسماء والصفات ومهد له هذه المخلوقات ولذا كان آخر الموجودات وإن كان أولهم بالروح والشهادات فمن روحانيته صح له سر الأولية فى البدايات ومن جسمانيته صح له سر الأخرية فى النهايات فبه بدىء الأمر وبه ختم إظهارا للعنايات وإقامة الهيولى خليفة فى الأرض لأن فيها ما فى السماوات وأيده بالإرهصات والعلامات وأظهره

بالدلالات القاطعات وأنواع الآيات واختصه بأصناف المعجزات والكرامات ونصب به القضايا [٢٦٨] المشروعات ليميز الله به الخبيث من الطيبات فيلحق الخبيث بالشقاوات فى الدركات ويلحق الطيب بالسعادات فى الدرجات وبالجملة فهو غاية الغايات ومجمع المراتب كلها والمقامات ومنتهى جميع الفضائل والكمالات كما أنه أولها ومنبعها أصالة وبالذات وقد بين الحق تعالى هذا الجنس الذى هو الإنسان عن غيره من سائر البرايا بخصائص عظيمة وكرامات عميمة ومزايا أخرى أنه الحقيقة المطلوبة لأسماء الله الحسنى لكونه أحدية جمع جميع حقائق مظهرياتها المقصودة من إيجاد العالم نسبتها إليه نسبة الروح إلى البدن لأنها المدبرة له بما هو لها بمنـــزلة القوى وهو ما أودعه الله فيها من أسمائه ومنها أنه الحقيقة المتوسطة بين الله تعالى وبين خلقه فى إيصال فيضه إليهم الجامعة بين عز الربوبية وذل العبودية قال الجامى فى شرحه لنقش الفصوص فى الفص الآدمى ما نصه وفى كتاب الفكوك الإنسان الكامل الحقيقى هو البرزخ بين الوجوب والإمكان والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه وبين صفات الحدثان وهو الواسطة بين الحق والخلق وبه ومن مرتبته يصل فيض الحق والمدد الذى هو سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله علوا وسفلا ولولاه من حيث برزخيته التى لا تغاير الطرفين لم يقبل شيئا من العالم المدد الإلهى الوحدانى لعدم المناسبة والارتباط ولم يصل إليه فكان يفنى وأنه عمد السماوات والأرض انتهى المراد منه بلفظه.

وقد نقله أيضاً فى شرح الفصوص قائلاً ثم اعلم أن الشيخ [٢٦٩] الكبير ﷺ أورد فى كتاب الفكوك أن الإنسان الكامل الحقيقى إلى قوله فكان يفنى ومنها أن الله تعالى ذكر فى كتابه على جهة التخصيص له والتشريف لقدره والتنويه به لتعلم منـــزلته عنده ومكانته لديه أنه خلقه بيديه كما قال خطاباً لإبليس وتوبيخا له ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] والمراد منهما الصفتان الجلالية والجمالية المتقابلتان كالرضا والغضب واللطف والقهر أو الصورتان صورة الحق وصورة العالم فإن الله تعالى جمع للإنسان بين صفاتيه الجمالية والجلالية ولذلك ظهر فى ابنى آدم عليه السلام قابيل وهابيل ما كان مستورا فيه من الطاعة والمخالفة فظهرت

الطاعة فى أحدهما والمخالفة فى الآخر وجمع له بين الصورتين الصورة الحقية وهى الحقائق الإلهية والصورة الخلقية وهى الحقائق الكونية قال فى الفتوحات ولما أوجده الله باليدين سماه بشرا للمباشرة اللائقة بذلك الجناب باليدين المضافتين إليه وجعل ذلك من عنايته بهذا النوع الإنسانى فقال لمن أبى عن السجود له ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] انتهى.

وكل ما سواه من بقية الخلائق مخلوق بيد واحدة لأنه إما مظهر صفات الجمال كملائكة الرحمن أو الجلال كملائكة العذاب والشياطين ومنها أنه نفخ فيه من روحه كما قال تعالى ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ [ص:٧١،٧٢]والمراد بهذا النفخ على ما قاله المحققون من أهل الله تعالى إعطاؤه القابلية والاستعداد لقبول الفيض والإمداد قال [٢٧٠] فى الفصوص وما هو يعنى النفخ إلا حصول الاستعداد من تلك الصورة المسداة لقبول الفيض الذى هو التجلى الدائم الذى لم يزل ولا يزال انتهى.

ومنهم من قال الروح هنا روح القدس الذى هو روح الأرواح وهو الوجه الخاص من وحدة الحق الذى أقام الله به الوجود الكونى المشار إليه بقوله ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥] أى روحه وروح الشيء نفسه ونفسه ذاته ومنها أنه أسجد له ملائكته كما قال ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [ص: ٧٢، ٧٣] وعلمه الأسماء كلها كما قال ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]وليس هذا لغيره من المخلوقين.

قال فى الفتوحات فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى الفصل السابع والثلاثين ما نصه لما أراد الله تعالى كمال هذه النشأة الإنسانية جمع لها بين يديه وأعطاها جميع حقائق العالم وتجلى لها فى الأسماء كلها فحازت الصورة الإلهية والصورة الكونية وجعلهما روحا للعالم وجعل أصناف العالم له كالأعضاء من الجسم للروح المدبر له فلو فارق العالم هذا الإنسان مات العالم كما أنه إذا فارق منه ما فارق كان فراقه لذلك الصنف من العالم كالخدر لبعض الجوارح من الجسم فتتعطل تلك الجارحة لكون

الروح الحساس النامى فارقها كما تتعطل الدنيا بمفارقة الإنسان فالدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذى الإنسان روحه فلما كان له هذا الاسم الجامع قابل الحضرتين بذاته فصحت له الخلافة وتدبير العالم وتفصيله انتهى.

ومنها أنه مخلوق [٢٧١] من ذات الله بلا واسطة كما فى الحديث الذى يذكره أرباب الكشف وهو أنا من الله والمؤمنين منى وهذا لم يكن لغيره ومنها أنه محبوب لله بل هو محبوبه الأعظم وسره الجليل المكتم ففيما أوحى الله به إلى موسى عليه السلام فى التوراة يا ابن آدم إنى وحقى لك محب فبحقى عليك كن لى محبا ذكره فى الفتوحات فى الباب الثامن والسبعين ومائة.

وفى الرسالة القشيرية لدى باب المحبة نقلاً عن خط أبى على الدقاق رحمه الله تعالى فى بعض الكتب المنــزلة عبدى أنا وحقك لك محب فبحقى كن لى محبا انتهى.

ومنها أنه مجلى للحق تعالى ومظهر من مظاهره بل مظهريته أعظم المظاهر وأجلاها وأكملها صورة وأعلاها فإنه تعالى كشف له عن أستاره وتجلى عليه بأنواره وأظهر له بعض ما لديه من أسراره وأدرج أسماءه تحت أسمائه وأوصافه تحت أوصافه وأفعاله تحت أفعاله فصار كأنه هو مسمى بما له من الأسماء العلية موصوفا بصفاته البهية تابعا لأفعاله المرضية به يسمع ويبصر ويبطش ويمشى وعنه يأخذ وبه يتكلم وفى أدعية أبى الحسن الشاذلى ﷺ وأدرج أسمائى تحت أسمائك وصفاتى تحت صفاتك وأفعالى تحت أفعالك وفى بعض العبارات بأن الله تعالى قال لسيدنا محمد ﷺ أعطيتك أسمائى وصفاتى فمن رآك رآنى ومن علمك علمنى ومن جهلك جهلنى غاية من دونك أن يصلوا إلى معرفة نفوسهم منك وغاية معرفتهم بك العلم بوجودك لا بكيفيتك وكذلك أنت معى لا تعرفنى [٢٧٢] إلا من حيث الوجود انتهى.

ومنها: ما فى عدة أحاديث من التصريح أن الله تعالى خلق آدم وصورة الإنسان أى الباطنية على صورته السمية أخرج أحمد والبخارى فى أول الاستئذان ومسلم عن

أبى هريرة مرفوعاً « خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً » الحديث.[1]

وأخرج أحمد والطبرانى فى الكبير وفى السنة والدارقطنى فى الصفات وابن عساكر فى تاريخه عنه أيضاً مرفوعاً « إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ وَلاَ تَقُلْ قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ فَإِنْ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ».[2]

وأخرج أحمد أيضاً والبخارى فى الأدب المفرد عنه أيضاً مرفوعاً لا تقولن قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته.[3]

وأخرج الطبرانى وابن أبى عاصم كلاهما فى السنة عنه أيضاً مرفوعاً إذا قاتل أحدكم فليتقى الوجه فإن الله عز وجل خلق آدم على صورة وجهه.[4]

وأخرج مسلم فى كتاب البر والصلة عنه أيضاً وعبد بن حميد عن أبى سعيد الخدرى رفعاه إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته قال فى الموازين الذرية وفى رواية صححها ابن النجار وأيدها الكشف على صورة الرحمن انتهى.

قلت هذا اللفظ نقل النووى فى شرح مسلم عن المازرى أنه غير ثابت عند أهل الحديث قال وكأن من نقله رواه بالمعنى الذى وقع له وغلط فى ذلك هذا كلام المازرى وأقره النووى وفى فتح البارى آخر كتاب العتق قال حرف الكرمانى فى كتاب السنة سمعت إسحاق بن راهويه يقول صح أن الله خلق آدم على صورة الرحمن وقال إسحاق الكوسج [٢٧٣]سمعت أحمد يقول هو حديث صحيح انتهى.

---

(١) أخرجه البخارى (١٢١٠/٣، رقم ٣١٤٨) ومسلم (٢١٨٣/٤) وأحمد (٢٩٥/٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٤/٢) .

(٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٧١/١).

(٤) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢٥/٨) وابن أبى عاصم فى السنة (٢٢٨/١).

وفيه أيضاً قبل هذا بعد ما ذكر عن القرطبى أن بعضهم أعاد الضمير فى صورته على الله متمسكاً بما ورد فى بعض الطرق إن الله خلق آدم على صورة الرحمن وأن المازرى ومن تبعه أنكر صحة هذه الزيادة ما نصه قلت الزيادة أخرجها ابن أبى عاصم فى السنة والطبرانى من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات وأخرجها ابن أبى عاصم أيضاً من طريق أبى يونس عن أبى هريرة بلفظ من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن فيتعين إجراء ما فى ذلك على ما تقرر بين أهل السنة من إمراره كما جاء من غير اعتقاد تشبيه أو من تأويله على ما يليق بالرحمن جل جلاله انتهى.

قلت أخرج الدارقطنى فى الصفات عن أبى هريرة مرفوعاً إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه فإن صورة الإنسان على صورة الرحمن.(1)

وأخرج الطبرانى فى السنة عنه أيضاً مرفوعاً إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن.

وأخرج البخارى فى تاريخه عن عمر مرفوعاً إن آدم خلق على صورة الرحمن.

وأخرج الدارقطنى فى الصفات عنه أيضاً مرفوعاً لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته قال السيوطى فى الجمع وفى لفظ على صورة الرحمن وفى نقض النصوص للجامى قال وفى رواية معانى الآثار للشيخ أبى بكر بن إسحاق رحمه الله لا تقبحوا الوجوه فإن ابن آدم على صورة الرحمن انتهى.

وليس معنى هذه الأحاديث إن الله خلق آدم وبنيه على صورة الذات المقدسة لأن ذاته تعالى لا صورة لها لا فى الحس ولا [٢٧٤] فى العقل ولا فى الخيال ومن المحال أن يتخيله تعالى على ما هو عليه خيال مطلق أو مقيد أو يتخيل صفة من صفاته أو اسما من أسمائه أو فعلا من أفعاله أو حكما من أحكامه وإنما يتخيل المتخيل من منفعلاته التى فى الخيال المطلق ويتخيل معها ثبوتا وتحققا منسوباً إلى ذات غيبية وصفات وأفعال

---

(1) أخرجه الدارقطنى فى الصفات (١/٣٧).

وأسماء وأحكام مضافة إلى تلك الذات الغيبية على وجه يليق بها منـــزها جميع ذلك عن مشابهة كل شيء نعم عندنا شيء واقع وهو تجليه سبحانه وتعالى وظهوره فى الصور والأمثلة التى يريد أن يظهر بها من غير حلول فيها ولا اتحاد معها ولا امتـــزاج بها ولا تغير أو تبدل لذاته العلية أو حدوث صفة فيها لم يكن عليها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً هذا وهو التجلى فى الصور المشار إليه فى القرآن والمذكور فى غير ما حديث والمنصوص عليه عند الصوفية وهو غير الحلول خلافا لما يقع فى بعض الأفهام القاصرة من أنه هو فإن كون الشيء مجلى لشيء ليس معناه أنه محل له لأن الظاهر فى المرآة خارج عن المرآة بذاته قطعا بخلاف الحال فى محل فإنه حاصل فيه فالظهور غير الحلول فإن الظهور فى المظاهر للواسع القدوس بجامع التنـــزيه الشرعى الذى هو عدم التقيد بشيء من المظاهر مع التجلى فيما شاء منها بخلاف الحلول فافهم وللشيخ إبراهيم بن حسن الكردى الكورانى السهروردى الشهرانى ثم المدنى رسالة جلاء النظر فى برقاء التنـــزيه مع التجلى فى الصور فليرجع إليها من أرادها وقد ذكروا أنه تعالى يتجلى [٢٧٥] فى أى صورة شاء من الصور المعنوية والروحانية والطبيعية والعنصرية بل له التجلى فى صور الأشياء المختلفة التى تعرف وتنكر كلها من غير حلول ولا ممازجة ولا مماسة ولا نوع من أنواع التجسيم والتشبيه ولا شيء مما يشبه ذلك لأنه تعالى مطلق الوجود لا يتقيد بغيره وما لا يتقيد بغيره لا ينافى ظهوره فى الأشياء وتجليه فيها التنـــزيه لأن الظاهر فى المظهر إنما يأتى التشبيه إذا تقيد بالمظهر والله تعالى لغناه الذاتى عن العالم لا يتقيد بشيء مما ظهر فيه من المظاهر بل يتجلى ويظهر كما شاء فى كل ما شاء متى شاء على ما هو عليه من التنـــزيه والكمال ووالتعالى بل الأشياء كلها ما ظهرت إلا به سبحانه قال تعالى ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٣] وقال ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [يونس:١٠١].

وحكى عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ﴾ [لقمان

آية: ١٦]قال المحققون من الصوفية أى يظهرها ويتجلى لها وينكشف من حيث اسمه الجامع بجميع أسمائه وهو الاسم الله وذلك لأنها كلها أفعال له فهو الذى يأتى بأفعاله ومنفعلاته فيظهر متجليا بها من غير أن يتغير فى ذاته وصفاته وهى شئونه التى قال تعالى ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن:٢٩] والعارف يتحقق بهذا ويعلم أن كل شيئا يراه ليس إلا الحق ومن علم هذا الذى قررناه وكشفنا عن سره ومبناه علم سر الآيات والأخبار الموهمة للتشبيه عند [٢٧٦] أصحاب الأفكار فسلم من ورطتى التأويل والتشبيه وعاين الأمر كما ذكر مع كمال التنـــزيه.

وذكروا أيضاً أن ظهوره تعالى فى الصورة أو نقول فى المرآة المحمدية الخاصة أكمل ظهور وأعدله وأحسنه لما هى صورته عليه من الكمال والاعتدال التامين وإن رؤيته تعالى بالرؤية المحمدية أتم رؤية تكون مطلقا وبرؤية غيرها أتم من رؤيته فى مرآة الرائى وصورته قال فى الفتوحات فى الباب التاسع والخمسين وخمسمائة أفضل المرائى وأعدلها وأقومها مرآة النبى ﷺ فتجلى الحق فيها أكمل من كل تجل يكون فاجهد أن تنظر إلى الحق المتجلى فى مرآة محمد ﷺ لينطبع فى مرآتك فترى الحق فى صورة المحمدية برؤية محمدية ولا تراه فى صورتك انتهى المراد منها.

وذكر أيضاً أنه تعالى ما تجلى لأحد بصورة واحدة مرتين ولا فى صورة واحدة لشخصين أبداً بل لابد من فارق واختلاف من وجه أو وجوه وأنه لا تكرار فى أمر ما عند الحق لما يؤدى إليه من الضيق والتقييد فهو فى كل يوم من أيام الأنفاس التى هى أصغر الأيام فى شأن بل فى شئون يبديها وهذا مما ينبئك بوسع التجلى الإلهى الوسع الذى لا يتعقل ولا يدرك لمخلوق وبالإطلاق الذى هو عليه تعالى ويلزم منه القول بالخلق الجديد الذى أكثر الخلائق فى لبس منه كما قال تعالى ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق:١٥].

وفى الفصوص ما فى الحضرة الإلهية لاتساعها شيء يتكرر أصلاً يعنى لا من العطايا ولا من الأسماء المقتضية لها قال هذا هو [٢٧٧] الحق الذى يعول عليه انتهى.

ومما يشهد لهذا التجلى والظهور فى الصور والانكشاف فيها قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ [الأعراف:١٤٣] وقوله ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ ﴾ [البقرة:٢١٠] وحديث البخارى فى التوحيد ومسلم عن أبى سعيد الخدرى فى تجلى الحق تعالى يوم القيامة والناس فى الموقف فى بعض الصور بل الأحاديث الناطقة بتجلى الحق تعالى فى الصور بلغت مبلغ التواتر لمن تتبع الأحاديث ومنها أيضاً حديث معاذ وابن عباس وغيرهما رأيت ربى فى أحسن صورة والحديث الآخر رأيت ربى فى صورة شاب أمرد والآخر رأيت ربى فى صورة شاب له وفرة وتجليه سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام فى النار المخلوقة التى رآها إلى جانب الشجرة فسمع النداء ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [النمل:٩] وذلك أن ابن عباس ترجمان القرآن قال فى [من] قوله ﴿ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ ﴾ [النمل:٨] أنه تعالى أراد نفسه وعليه فالمعنى أن بورك من تجلى فى صورة النار لما اقتضته الحكمة لكونها مطلوبة لموسى وقوله وسبحان الله معناها عن التقيد بالصورة والجهة والمكان وإن ظهر فيها بمقتضى الحكمة ولم ينكر موسى تجليه تعالى فى النار بل آمن به وصدقه وما للبيضاوى فى هذه الآية عدول عن الظاهر وكيف يحسن ذلك مع قوله تعالى ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ ﴾ [النمل:٩] وما يوهمه التجلى فى مظهر النار من التشبيه قد أزاله التنـــزيه بقوله ﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [النمل:٨] تأمل إلى غير هذا من الأدلة وإنما معنى خلق آدم وبنيه على صورة الله إن الله تعالى خلق صورهم الباطنة من أسمائهم وأوصافهم [٢٧٨] وأخلاقهم على شبه وأنموذج أسمائه العلية ونعوته السمية وأخلاقه المرضية وذلك أنه تعالى مسمى بأسماء جليلة كالقادر والقدير والعالم والعليم والسميع والبصير والمتكلم منعوت بنعوت جميلة ومنها الاتصاف بصفات المعانى وبالصفات المعنوية متخلق بالأخلاق العظيمة الكريمة التى منها الحلم والجود والكرم والحياء والعفو والغفران والتجاوز والرأفة والرحمة وغير ذلك متحول من حيث التجلى لخلقه من غير تغير لذاته العلية ولا تبدل فيها فى الصور المختلفة والأحوال المتنوعة من المجيء والإتيان والنـــزول والاستواء والمعية والضحك والفرح والرضا والغضب وغير

ذلك والإنسان على هذه الصفة والصورة وما هو عليه الأمر الإلهى من حيث الجملة له أسماء كأسمائه تعالى وصفات كصفاته وأخلاق تحاكى أخلاقه تعالى على قدر ما يمكنه وما يطيقه من المحاكات لها ويذهب ويأتى ويصعد وينـــزل ويستوى ويضحك ويفرح ويرضى ويغضب إلى غير ذلك ولو لم يكن على هذه الصفة ما صح له معرفتها فى جانب الحق ولا تعقلها ولذا ورد فى الحديث الثابت كشفاً كما قاله فى اليواقيت وذكره الشيخ أبو حامد الغزالى والشيخ الأكبر وغيرهما من أكابر الصوفية فى كتبهم وأكثروا من الاستشهاد به من عرف نفسه عرف ربه وإن كان النووى قال إنه ليس بثابت ونقل السخاوى فى المقاصد الحسنة عن أبى المظفر بن السمعانى أنه لا يعرف مرفوعاً وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازى [٢٧٩] يعنى من قوله وبعضهم جعله من كلام على بن أبى طالب وقيل أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه عليهم الصلاة والسلام أيها الإنسان اعرف نفسك تعرف ربك وذلك أن كل ما لا يجد الإنسان له مثالا من نفسه يعسر عليه التصديق والإقرار به ومن شك فى هذا فليتعقل لنا شيئا لم يخلقه الله فإنه لا يقدر على ذلك.

وفى الفصوص فى الفص الموسوى بعد ذكر آدم عليه السلام وأنه البرنامج الجامع لنعوت الحضرة الإلهية التى هى الذات والصفات والأفعال وذكر حديث إن الله خلق آدم على صورته ما نصه وليست صورته سوى الحضرة الإلهية أى التى هى مجمع ذاته تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه فجمع فى الإنسان جميع هذه المراتب فله ذات وله أسماء وله صفات وله أفعال وله أحكام مضاهية للحضرة الإلهية قال فأوجد فى هذا المختصر الشريف الذى هو الإنسان الكامل جميع الأسماء الإلهية وحقائق ما خرج عنه فى العالم الكبير المفصل وجعله روحا للعالم فصخر له العلو والسفل لكمال الصورة فكما أنه ليس شيئا فى العالم إلا ويسبح الله تعالى بحمده كذلك ليس شيء فى العالم إلا وهو مسخر لهذا الإنسان لما تعطيه صورته قال ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ** ﴾ [الجاثية:١٣] فكل ما فى العالم تحت تسخير الإنسان علم

ذلك من علمه وهو الإنسان الكامل وجهل ذلك من جهله وهو الإنسان الحيوان انتهى.

وقال الجامى فى نقض [٢٨٠] النصوص بعد ما فسر الصورة بالصفة وبين ذلك ما نصه هذا باعتبار أهل الظاهر وأما عند المحققين فالصورة عبارة عما لا تعقل الحقائق المجردة الغيبية ولا تظهر إلا بها والصورة الإلهية هى الوجود المتعين بسائر التعينات التى بها يكون مصدراً لجميع الأفعال الكمالية والآثار الفعلية انتهى.

وقال القاشانى فى لطائفه ما نصه صورة الرحمن هى المشار إليها بقوله ﷺ إن الله خلق آدم على صورته ويروى على صورة الرحمن فتارة يفسرون الصورة بحقائق الأسماء الإلهية فإنها هى صورة الحضرة الإلهية وتارة يعنى بالصورة العالم فإن الإنسان الحقيقى الذى هو الإنسان الكامل مخلوق على صورتين وأما الإنسان الحيوانى فإنه مخلوق على صورة العالم انتهى.

وقد بين الجيلى فى مؤلفاته كتأليفه الذى سماه "بالكتاب المرقوم فى سر التوحيد المعلوم" كيفية مقامات تركيب الإنسان للحقائق الإلهية وفى كمالاته فصل مستقل فى مظهريته للحق ذات وصفات وأسماء وأفعالاً وآخر فى مظهريته للعالم صورة ومعنى علوا وسفلا ظاهراً وباطناً فاعلية ومنفعلية فلتنظر وليكن فى علمك أن سيدنا محمدا ﷺ هو النسبة الحقيقية التى بين العبد والرب وإن آدم فمن دونه إنما استحق هذه الصورة والاتصاف بالصفات الإلهية لكونه نسخة منه ﷺ.

ومنها أن الله تعالى خلق صورته الظاهرة من الجوارح والقوى فى أقوم [٢٨١] صورة وأعدلها، كما قال تعالى بعد قسمه على ذلك بقوله ﴿ وَالتِّينِ ﴾ [التين:١] إلى آخره ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين:٤] يعنى فى أبدع خلق وأحسن صنعة وأتقى عمل، لا ترى فى مخلوقات الله أبدع منه، ومن أعدل أمره أن الله تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه، إلا الإنسان فإنه خلقه مديد القامة حسن الصورة، يتناول بيده مأكوله، مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والمنطق، وفى خفية أفلاطون الصغرى قال: مظهر حيوان الإنسان عظيم فى نفسه جمع الثمانية

والعشرين حرفاً، لأن صورة الإنسان أكمل صور الحيوان وأعلاها وأنماها وأدراها وأظهرها وأقواها وأقدرها وأجبلها وأفكرها وأخبرها وأدبرها وأعملها وأرساها وأحكمها فهو سلطان العوالم بأسرها علوها وسفليها، وهو الذى اشترف على ما فوق الفوق وتحت التحت، وذلك بأمر الله تبارك وتعالى فجميع المعانى فى سائر الخلق ناقصة وفى الإنسان كاملة، وذلك لأجل كمال الأحرف فيه انتهى منها بلفظها.

وفى " الإبريز " فى الباب الثامن ما نصه: وسمعته ﷺ يقول إنه ليس فى مخلوقات الله كلها أحسن خلقة من بنى آدم، فذواتهم أحسن ذوات المخلوقات وأفضلها وأرفعها وأقومها، والعقل إذا تأمل فى التفاصيل التى فى ذات الآدمى والتركيب الذى بين أجزائها والترتيب الذى بين مفاصلها وعروقها، والمحاسن التى اشتمل صنع الله عليها فى ظاهرها وباطنها حار وعلم عظمة خالقها ومصورها سبحانه انتهى منه بلفظه وراجعه [٢٨٢] ومنها أن الله تعالى جعله نسخة الوجود يحاكى بصورته كل موجود فهو وإن كان صغيرا من حيث الجرم فهو كبير من حيث القدر، فجمع حقائق ما خرج عنه فى العالم الكبير من عرش وكرسى وأفلاك وأملاك وشياطين وعناصر وبرارى وبحار وغيب وشهادة، فهو العالم كله كما قال ابن البنا فى مباحثه:

يا سابقاً فى موكب الإبداع ... ولاحقا فى جنس الاختراع
اعقل فأنت نسخة الوجود لله ... ما أعلاك من موجود
أليس فيك العرش والكرسى ... والعالم العلوى والسفلى
ما الكون إلا رجل كبير ... وأنت كون مثله صغير

ومما ينسب لأبى العباس المرسى:

يا تائهاً فى فهمه عن سره ... انظر تجد فيك الوجود بأسره
أنت الكمال طريقة وحقيقة ... يا جامعا سر الإله بأسره

ومما ينسب لسيدنا على ﷺ وكرم وجهه:

دواؤك فيك ولا تبصر ... وداؤك منك وتستنكر

وتــــزعم أنــــك جـــرم صـــغير وفـــيك انطـــوى العـــالم الأكـــبر
وأنـــــت الكـــــتاب المـــــبين الــــذى بأحـــرفه يظهـــر المضـــمر

بل هو العالم الأكبر وما سواه هو الأصغر لأن فيه ما فى العالم كله وزيادة وهى سر الروح الذى هو العقل الأكبر ولذا قال بعضهم هو المثل الذى ليس كمثله شيء فى الأرض ولا فى السماء يعنى لكونه نسخة كاملة جامعة شاملة مع ما فيها مما ليس فى غيرها وفى [٢٨٣] " الرسائل " لمولاى العربى بن أحمد الدرقاوى ﷺ قال: قد قيل إن لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم كل عالم كعالمنا هذا، كما فى حلية الأولياء رضى الله عنهم والكل قد انطوى فى الإنسان وهو لم يشعر إلا من تولاه الله انتهى.

وفى " الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية " لأبى العباس أحمد بن عجيبة اللنجرى ما نصه: ذكر أهل التاريخ أن الوجود كله خلقه الله على صورة الآدمى من عرشه إلى فرشه ولعل تلك القبضة النورانية كانت على صورة الإنسان ثم تفرعت منها الأكوان كلها فاختصر الله الوجود بأسره فى هذا الآدمى فهذا دليل على شرفه على الكون انتهى.

وقال ابن غانم المقدسى فى كتابه " حل الرموز ومفاتيح الكنوز " ما نصه ثم اعلم أن الكون نسخة منك لأن فيك ما فى الكون وتـزيد على ما فى الكون بما حصل لك من معارفه وحكمه وأسراره وأنواره وتجلياته ومنازلاته كما أن الفيل وإن كبر نسخة من البعوضة وإن صغرت جثتها لأن فيها ما فى الفيل من جميع أجزائه وجوارحه وتـزيد عليه بأجنحتها انتهى المراد منه بلفظه وراجعه، فقد تكلم بعد على حديث: من عرف نفسه عرف ربه بكلام نفيس.

وقال القيصرى فى " شرح الفصوص " لدى ما ذكره أصله من أن الصورة الآدمية هى صورة العالم المعبر عنه فى اصطلاح القوم بالإنسان الكبير ما نصه: وإنما عبر عن هذا العالم فى اصطلاح الكون أهل التصوف بالإنسان الكبير لأن جميع ما فى العالم عبارة عن مجموع ما اندرج فى النشأة الإنسانية [٢٨٤] كما مر التنبيه عليه من أن أعيان العالم هى تفصيل النشأة الإنسانية فالإنسان عالم صغير يحمل صورة والعالم

إنسان كبير مفصل وإنما قيدت بصورة لأن الإنسان هو العالم الكبير مرتبة والعالم هو الإنسان الصغير درجة لأن الخلافة مستعلية على ما استخلفت عليه انتهى منه بلفظه.

وقال القاشانى فى لطائفه ما نصه: العالم الكبير يراد به جملة الممكنات والعالم الصغير يراد به الإنسان هكذا عند الأكثرين.

وقال الشيخ فى الفتوحات إن العالم الكبير هو الإنسان الكامل وإن العالم الصغير هو العالم وذلك لكون الإنسان الكامل قد جمع كل ما فى العالم وليس فى العالم عند قطع النظر عن الإنسان الكامل كل ما فيه انتهى.

وقد كشف الجيلى فى " الكمالات الإلهية " عن حقيقة هذه النسخة وكيفية معناها وكشف عن ذلك أيضاً على التفصيل فى كتابه " الموسوم بإنسان عين الوجود ووجود عين الإنسان الموجود " وكذلك تعرض لذكرها وبيانها الشيخ الأكبر فى كتاب " التدبيرات الإلهية فى اصطلاح المملكة الإنسانية " فليرجع إلى ذلك من أراد.

ومنها أنه تعالى جعل قلب الكامل من هذا الجنس محل الأنوار وموضع جميع التجليات وسائر الأسرار ووسعه بتجلياته الذاتية والأسمائية والصفاتية، وليس فى الموجودات من وسع قلبه الحق سواه كما فى الحديث القدسى المذكور فى القوت لأبى طالب المكى وفى الإحياء لأبى حامد الغزالى وفى غيرهما من كتب القوم وهو قال الله تعالى لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى [٢٨٥] قلب عبدى المؤمن زاد فى رواية، اللين الوادع يعنى الساكن المطمئن وفى أخرى التقى النقى وهو حديث مشهور عند الصوفية مذكور فى كتبهم مستشهد به فى كلامهم وذلك مما يدل على صحته عندهم وممن صرح بصحته يعنى من طريق الكشف الشيخ داود القيصرى فى "شرح الفصوص " ونصه: جاء فى الخبر الصحيح لا يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن التقى النقى انتهى.

وأما علماء الحديث فقال العراقى فيه فى تخريج أحاديث الإحياء لم أجد له أصلاً وقال ابن تيمية هو مذكور فى الإسرائليات وليس له إسناد معروف عن رسول الله ﷺ

يشير إلى ما أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد بسنده إلى وهب بن منبه قال إن الله فتح السماوات لحزقيل وهو بكسر الحاء اسم نبى من أنبياء بنى إسرائيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل سبحانك ما أعظمك يا رب فقال الله تعالى إن السماوات والأرض ضعفن عن أن يسعنى ووسعنى قلب المؤمن الوادع اللين قال فى " المقاصد الحسنة " ورأيت بخط الزركشى سمعت بعض أهل العلم يقول هذا يعنى حديث ما وسعنى إلى آخره باطل وهو من وضع بعض الملاحدة وأكثر ما يرويه المتكلم على رءوس العوام على بن وفا لمقاصد يقصدها ويقول عند الوجد والرقص طوفوا ببيت ربكم. قال السخاوى قلت وقد روى الطبرانى يعنى فى " الكبير " من حديث أبى عنبة الخولانى رفعه: إن لله آنية من أهل الأرض، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها ألينها وأرقها وفى سنده [٢٨٦] بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح بالسماع انتهى.

قلت ذكر الشيخ عبد الرءوف المناوى فى التيسير أن إسناده حسن وممن أورده السيوطى فى جمع الجوامع له وأورده رواية أخرى تصلح أن تكون شاهدة لهذه وهى أن لله عز وجل فى الأرض آنية وأحب آنية الله إليه أحثها صفاء وآنية الله فى الأرض قلوب العباد الصالحين وعزاها لتخريج أبى نعيم فى حليته عن أبى أمامة وعلى هذا فالحديث المذكور أعنى حديث ما وسعنى إلى آخره ثابت المعنى عن النبى ﷺ وارد اللفظ أو ما يقرب منه من طريق وهب بن منبه عن الكتب الإلهية الإسرائيلية فسقط التهويل والتشغيب والقول بأنه من وضع الملاحدة الدال على عدم اعتباره لفظاً ومعنى وكفى إثبات هذا الولى العارف القطب الربانى سيدى على بن وفا رضى الله عنهما له على أنه ليس أول ذاكر له بل ذكره قبله كما ذكرنا أبو طالب المكى وأبو حامد الغزالى وكذا ذكره الشيخ الأكبر فى فتوحاته وغيرها من كتبه وغيرهم ممن لم يحصى وانظر ما يفهم من قول الزركشى عن بعض من سمعه من أهل العلم فى هذا القطب أنه المتكلم على رؤس العوام لمقاصد يقصدها من الإنكار والتعصب والانتقاد على أكبر ولى فى عصره وحمله على المقاصد الغير اللائقة بجناب مطلق المؤمنين فضلا عمن هو معدود من

كبار العارفين، ولكن أصل كل حجاب وأعظمه المعاصرة ورؤية المماثلة وأكبر حامل على الانتقاد القناعة بالألفاظ التي تحكى عن الولى من غير مخالطة له ولا مذاكرة معه ولا تلق منه ومن [٢٨٧] جهل شيئا عاداه ومن لم يحط بعلم شيء كذب به:

لــوْ كنــت تعلم ما أقول عذرتنى ... أو كنــت أجهــل ما أقول عذلتكم
لكــن جهلــت مقــالتى فعذلــتنى ... وعلمــت أنــك جاهل فعذرتكــما

وهذا لسان حال كل عارف متثبت ... جوابــا لكــل جــاهل منكر متعنت

ثم رأيت الزبيدى فى شرح الإحياء نقل كلام الزركشى هذا وعقبه بقوله قلت وهذا من الزركشى تحامل على الصوفية الذين هم من خواص خلق الله تعالى قال ويعنى بالمتكلم المذكور القطب أبا الحسن على بن وفا الشاذلى قدس سره جد السادة الوفائية وناهيك به جلالة وقدرا قد خصه الله تعالى من الفيوضات والكشوفات بما لو فتح للزركشى فيه قلبه لرأى أجلية الحق وتحققت له الحقائق ولكنه محجوب بما تلقفه من مشايخه مجبول على ربقة التقليد وإن كان هو على علم من ربه وما كنت أرى له أن يتكلم بما قال كيف وقد أخرج عبد الله فذكر حديث وهب بن منبه السابق ثم قال ويشهد لصحة معناه حديث أبى عنبة الخولانى المار ذكره قريبا عن الطبرانى وهذا القدر يكفى الصوفى ولا يعترض عليه إذا عزاه إلى حضرة الرسالة والاتصاف من أوصاف المؤمنين ولا اعتراض على قول القطب عند الوجد طوفوا ببيت ربكم فإن القلب بيت الرب وليس يعنى به هذه المضغة الصنوبرية بل اللطيفة النورانية انتهى والله ولى التوفيق والهادى من يشاء بمنه إلى أقوم طريق آمين.

وصح كون القلب بيت الرب بانخلاع العبد عن صفاته الفانية وخلع سيده عليه صفاته الباقية فكان له سمعا وبصراً [٢٨٨] وفؤاد فكان ذلك الفؤاد الذى وسعه خلعه عليه هو الفؤاد الذى ما وسعه فى الحقيقة إلا هو لا الفؤاد الذى هو القلب الصنوبرى الشكل لأنه مضغة من دم ولحم محدث الوجود وواجب الوجود منــزه عن الحلول فى الحادث المحدود فهذا الوسع فى الحقيقة لمن تدبر وتفكر وتبصر إنما هو وسع نفسه لا وسع غيره لأنه وسع كل شيء وما وسعه شيء ذكره ابن غانم المقدسى فى " حل

الرموز " قال ومعنى آخر فى سر هذا الحديث اعلم أن هذا الوسع يستحيل أن يكون وسعا بالذات لأن الله تعالى لا يوصف بذلك وإنما هو وسع الصفات وصفات الله قسمان نفى وإثبات فينفى عنه ما يستحيل عليه كالشبيه والمثيل والشريك والعديل والضد والند والحد والعد والعجز والضعف والنقض وما أشبه ذلك ويثبت له ما يجب له كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وما شابه ذلك فإذا علمت بقلبك ما يستحيل عليه وما يجب كأنك قد أحاطت بصفاته فتكون قد وسعته بالصفات لا بالذات انتهى.

وقال الشيخ أبو عبد الله الخروبى فى " كفاية المريد " بعد ذكره لهذا الحديث ما نصه ومعنى ذلك والله أعلم إن أسرارى العظيمة وحكمى الجسيمة ومدلولات أسمائى وسر إيجادى لأفعالى لا يفهمها ولا يسعها إلا قلب عبدى المؤمن كل يفهم منها على قدر ما قسم له وبحسب ما كتب له فى سابق الأزل وما ورث من موروثه ﷺ وسلم انتهى منه بلفظه.

وفى " الفتوحات المكية " فى الباب الرابع والثلاثين أن السعة هنا المراد بها الصورة التى خلق الإنسان [٢٨٩] عليها قال كأنه يقول ما ظهرت أسمائى كلها إلا فى النشأة الإنسانية قال تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] قال أى الأسماء الإلهية التى وجدت عنها الأكوان ولم تعطها الملائكة انتهى.

وقال فى الباب الخامس وأربعمائة ما نصه وما حاز المؤمن هذه السعة إلا بكونه على صورة العالم وعلى صورة الحق وكل جزء من العالم ما هو على صورة الحق فمن هنا وصفه الله تعالى بالسعة قال أبو يزيد البسطامى فى سعة قلب العارف لو أن العرش يعنى ملك الله وما حواه من جزئيات العالم أو أعيانه مائة ألف ألف مرة لا يريد الحصر وإنما يريد ما لا يتناهى ولا يبلغه المدى فعبر عنه بما دخل فى الوجود وما يدخل أبداً فى زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به وذلك أن قلبا وسع القديم كيف يحس بالمحدث موجودا انتهى المراد منه وانظر تمامه.

وقال فى " الفصوص " بعد ذكره لكلام أبى يزيد هذا ما نصه: وهذا وسع أبى يزيد فى عالم الأجسام بل أقول لو أن ما لا يتناهى وجوده يقدر انتهاء وجوده مع العين الموجدة له أى الذى هى الحق المخلوق به وهو الجوهر الأول التى وجدت به السماوات والأرض فى زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس بذلك فى علمه فإنه قد ثبت أن القلب وسع الحق تعالى ومع ذلك ما اتصف وفى نسخة لا يتصف بالرى ولو امتلأ ارتوى وقد قال ذلك أى عدم ارتواء القلب من الحق تعالى أبو يزيد:

عجبت لمن يقول ذكرت ربى ... وهل أنسى فأذكر ما نسيت

شربت الحب كأسا بعد كأس ... فما نفد الشراب وما رويت [٢٩٠]

ذكره القيصرى وقال إنه أشار إلى ما ورد عن أبى يزيد من أنه أرسل إليه سهل بن عبد الله التسترى يقول له ها هنا رجل شرب شربة فلم يظمأ بعدها أبداً، فقال له أبو يزيد: ها هنا رجل شرب الأكوان جميعها وهو فارغ به يلهث من العطش، ذكره النابلسى وقيل أشار به لقول أبى يزيد الرجل منا يتحسى بحار السماوات والأرض ولسانه خارج يلهث عطشاً، ذكره الجامى.

ولهم ها هنا فى معنى هذا الوسع عبارات منها أن المراد به وسع التجلى بأحد الحضارات الإلهية وقيل وسع العلم به والمعرفة له المعرفة الممكنة للعبد اللائقة به لا معرفة الكنه لأن كنهه تعالى لا يعلم قط لأحد لا فى الدنيا ولا فى الآخرة كما قاله العارفون به وقيل وسع المشاهدة وهو الكشف الذى يطبع القلب به على محاسن جمال الله فيذوق لذة أسمائه وصفاته بعد أن يشهدها وقيل وسع الخلافة وهى التحقق بأسماء الله تعالى وصفاته حتى يرى ذاته ذاته فتكون هوية الحق عين هويته وآنيته عين أنيته واسمه اسمه وصفته صفته وذاته ذاته فيتصرف فى الوجود تصرف الخليفة فى ملك مستخلفه وهذا وسع المحققين وعلى كل حال ليس المراد به ما يفهمه الأجنبى عن طريق القوم من أنه وسع حلول ونحوه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا راجع " الإنسان الكامل " للجيلى وكتابه الذى سماه " لوامع البرق المومى فى معنى ما وسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن ".

ومنها أن الله تعالى مكنه من التخلق بأخلاقه والتحلي بمعاني أسمائه وصفاته [٢٩١] والعمل بمقتضاها والتعبد له بما يمكن أن يتعبد به منها وبقدر ما يتصور في حقه وأمره بذلك كما في الحديث الذي ذكره الشيخ أبو حامد الغزالي في " المقصد الأسنى " والشيخ عبد الجليل القصري في " شعبه " والقاشاني في لطائفه والجيلي في إنسانه وغير واحد من الصوفية بل وذكره أيضاً الحافظ السيوطي في تأييد الحقيقة العلية وتشيد الطريقة الشاذلية والمحدث شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيتمي في فتاويه الحديثية إلا أنهما لم يذكرا له مخرجا وهو تخلقوا بأخلاق الله تعالى وفي لفظ ذكره بعضهم بأخلاق الرحمن وفي " الرسالة القشيرية " " والإحياء " للغزالي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود تخلق بأخلاقي إني أنا الصبور يعني من الصبر وورد في عدة أحاديث إن لله تعالى كذا وكذا خلقاً وفي لفظ شريعة من أتاه بواحد منها دخل الجنة.

أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي في النوادر وأبو يعلى في مسنده عن عثمان بن عفان مرفوعاً: إن لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقاً [١]- وفي رواية وستة عشر خلقاً وفي أخرى وبضعة عشرة خلقاً – من أتاه بخلق منها دخل الجنة، وفيه عبد الواحد بن زيد البصري ليس بقوي في الحديث، عن عبد الله بن راشد مولى عثمان ضعفوه وفي التيسير قال الترمذي في " نوادره " يريد أن من أتاه بخلق منها وهب له جميع سيآته وغفر له سائر ذنوبه وتلك الأخلاق هدية الله لعبيده على قدر منازلهم عنده فمنهم من أعطاه خمسا ومنهم من أعطاه عشرا أو عشرين وأقل وأكثر ومنها [٢٩٢] يظهر حسن معاملته للحق والخلق انتهى.

---

(١) أخرجه الطيالسي (١٤/١) والهيثمي فيزوائده (٣٦/١) وقال رواه أبو يعلى في المسند الكبير وفي رواية أخرى مائة خلق وسبعة عشر خلقا وفي إسناده عبدالله بن راشد وهو ضعيف ورواه البزار من طريق عبدالله بن راشد وقال مائة وسبع عشرة شريعة.

وأخرج البزار عن عثمان أيضاً مرفوعاً إن لله مائة وسبعة عشرة شريعة من وافاه بخلق منها دخل الجنة قال فى الجمع وضعف.

وأخرج الطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ فى العظمة عن أنس مرفوعاً: إن لله عز وجل لوحاً من زبرجدة خضراء جعله تحت العرش كتب فيه إننى أنا الله لا إله إلا أنا، أنا أرحم الراحمين خلقت بضعة عشرة وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة، قال فى الجمع وضعف، وقال الزبيدى فى شرح الإحياء إسناده حسن.

وأخرج الحكيم الترمذى عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: إن لله تعالى ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة يقول الرحمن وعزتى لا يأتينى عبد من عبادى لا يشرك بى شيئا بواحدة منهن إلا أدخلته الجنة.

وفى حديث ذكره الغزالى فى خاتمة " المقصد الأسنى " إن لله تعالى تسعة وتسعين خلقاً من تخلق بواحدة منها دخل الجنة، قال الغزالى ولقد سمعت الشيخ أبا على الفارمذى يحكى عن شيخه أبي القاسم الكركانى قدس الله روحهما أنه قال إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً له للعبد السالك وهو بعد فى السلوك غير واصل انتهى.

ومعنى كونها تصير أوصافاً أنه يصير متخلقاً بها عاملاً بمقتضاها على حسب الوسع وما يليق بالمخلوق أن يتخلق به من أوصاف الخالق وفى هذا من التشريف للإنسان ما لا يخفى حيث مكنه الله تعالى من التخلق بأخلاقه وأمره أن يعمل بمقتضى أسمائه وأوصافه وأن يتعبد بما يصح له أن يتعبد به منها وهو جميع أسمائه الحسنى التسعة والتسعين [٢٩٣] قيل إلا أربعة منها وهى الله الخالق البارىء المصور وقيل إلا واحداً وهو الله خاصة نظراً إلى أن الإنسان يخلق ويبرىء ويصور بدليل قوله فى عيسى عليه السلام ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ [المائدة: ١١٠] وقوله عنه أيضاً ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩] وهذا الطير قالوا هو الخفاش وقوله ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] فأفاد أن ثم خالقين هو تعالى أحسنهم خلقاً وإذا جاز أن يوصف الإنسان بالخلق

وإن قلنا أنه بطريق المجاز جاز أن يوصف كذلك بالبرء والتصوير لأنها متقاربة وأما اسم الجلالة وهو الله فهو للتعلق خاصة دون التخلق.

وفى الطبقات الشعرانية فى ترجمة أبى العباس المرسى ﷺ أنه كان يقول جميع أسماء الله تعالى جاءت للتخلق إلا الاسم الله فإنه للتعلق فقط إذ مضمونه الإلهية والإلهية لا يتخلق بها أصلاً انتهى.

وقيل يمكن التعبد والتخلق بالأسماء الحسنى كلها حتى باسم الجلالة نظراً إلى أن الكامل قد يتجلى عليه الحق تعالى بأوصاف ألوهيته فتصدر عنه تصرفات الإلهية من الإماتة والإحياء واللطف والقهر والإعطاء والمنع وغير ذلك وقد يغلب عليه السكر حينئذ فينطق بالأنانية كقول الحلاج أنا الله أنا الحق وقول أبى يزيد سبحانى ما أعظم شانى وما فى الجبة غير الله وإنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى إلى غير ذلك وإلى هذا ميل بعض الصوفية وممن جرى عليه الشيخ الأكبر فى فتوحاته والشيخ عبد الكريم الجيلى [٢٩٤] فى كمالاته قال فى الفتوحات خلق الله الإنسان الكامل على صورته ومكنه بالصورة من إطلاق جميع أسمائه عليه فرداً فرداً وبعضاً وبعضاً لا ينطلق عليه مجموع الأسماء معا فى الكلمة الواحدة ليتميز الرب من العبد الكامل فما من اسم من الأسماء الحسنى وكل أسماء الله حسنى، إلا وللعبد الكامل أن يدعى به كماله أن يدعوا سيده به راجعه فى الباب السبعين وثلاثمائة وراجع أيضاً كتاب " الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية " للجيلى فى الكلام على إتصافه ﷺ بأسماء الله الحسنى وقد قالوا إنه لم يخلو إنسان ولا مكلف أصلاً من أن يكون على خلق ظاهر من أخلاق الله تعالى أو أخلاق عديدة كثيرة أو قليلة وفى " الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية " لأبى العباس أحمد بن عجيبة اللنجرى فى أوائله لما ذكر بعض خصائص الإنسان ما نصه: وخصه أيضاً فجعله خزانة لسائر أسمائه ففى الآدمى تسعة وتسعين اسما كلها كامنة فى سره ثم يظهر على ظاهره ما سبق له فى علم الغيب فالبعض يظهر عليه اسمه الكريم والبعض اسمه الرحيم والبعض اسمه الحليم والبعض اسمه المنتقم والبعض اسمه المتكبر والبعض اسمه القهار والبعض اسمه القابض والبعض اسمه الباسط، وقد يتعاقب عليه أسماء

كثيرة فى وقت واحد وإذا فنى عن حسه وغاب عن نفسه ظهرت عليه أنوار الألوهية فينطق بالأنانية غلبة ووجدا وبهذا قتل الحلاج انتهى.

وسئل الجنيد عن المعرفة والعارف [٢٩٥] فقال لون الماء لون إنائه قال فى " الفتوحات " أى هو متخلق بأخلاق الله تعالى حتى كأنه هو وما هو هو وهو هو انتهى.

ومنها أنه أشرف الحيوانات كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠] يعنى فضلناهم وخصصناهم بل نقول إنه أشرف مخلوقات الله كلها كما يدل عليه ما بعده.

ومنها أن السماوات السبع بما أظلت والأرض السبع بما أقلت وجميع المخلوقات كلها مسخرة له ومخلوقة من أجله كما يفيد ذلك آيات عديدة كقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ [البقرة:٢٩] وقوله ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان:٢٠]وقوله ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنـزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ *وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ *وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم:٣٢، ٣٣، ٣٤] وقوله ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل:٥] ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [المؤمنون:٢٢] وقوله ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣] فالدنيا خلقت متعة لبقائه والآخرة مملكة لجزائه والملائكة خلقوا لإرشاده ووده والسعى فى مصالحه والشياطين لغوايته وإضلاله وبغضه وخلقت الأرض لتقله وما فيها من الأشجار والمياه والحيوانات لينتفع بهم ويستدل بهم على وحدانية ربه والسماء لتظله ونجومها ليهتدى بها فى ظلومات البر والبحر إلى غير ذلك كما قال تعالى [٢٩٦] ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا ﴾ [النحل:١٨] وفى حديث أخرجه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبى ﷺ أن

النبى ﷺ قال: فى بعض خطبه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة فالأشياء كلها مخلوقة من أجل الإنسان وهو مخلوق من أجل حضرة الله عز وجل ليعرفه ويوحده ويعبده وينوب عنه فى المملكة ومما يشير لهذا قوله تعالى ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [طه:٤١] وفى " الفتوحات المكية " فى الباب الستين أن الله تعالى أنــزل فى التوراة يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلى وفيها أيضاً فى الباب الثالث والسبعين ما نصه وقالت طائفة من العارفين أن الله تعالى أوجد الإنسان له تعالى والجن وأوجد ما عدا هذين الصنفين للإنسان.

وقد روى فى ذلك خبر إلهى عن موسى ﷺ أن الله تعالى أنــزل فى التوراة يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تهتك ما خلقت من أجلى فيما خلقت من أجلك انتهى.

وفيها أيضاً: فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى الفصل السابع والثلاثين ما نصه واستخدم الله للإنسان العالم كله فما من حقيقة صورية فى العالم الأعلى والأسفل إلا وهى ناظرة إليه نظر كمال أمينة على سر أودعها الله إياه لتوصله إليه انتهى.

وفيهما أيضاً فى الباب الأحد والسبعين وثلاثمائة ما نصه: وما خلق الله العالم الخارج عن الإنسان إلا ضرب مثال للإنسان ليعلم أن كل ما ظهر فى العالم هو فيه والإنسان [٢٩٧] هو العين المقصودة فهو مجموع الحكم، ومن أجله خلقت الجنة والنار والدنيا والآخرة والأحوال كلها والكيفيات، وفيه ظهر مجموع الأسماء الإلهية وآثارها، فهو المنعم والمعذب والمرحوم والمعاقب، ثم جعل له أن يعذب وينعم ويرحم ويعاقب، وهو المكلف المختار، وهو المجبور فى اختياره وله يتجلى الحق بالحكم والقضاء والفصل وعليه مدار العالم كله ومن أجله كانت القيامة وبه أخذ الجاه وله سخر ما فى السماوات وما فى الأرض ففى حاجته يتحرك العالم كله علواً وسفلاً دنيا وآخرة انتهى منه بلفظه.

وفى التنوير سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول قال الله سبحانه يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له

وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ [الرحمن:١٠] وقال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ [الجاثية:١٣] وسمعت الشيخ ﷺ يقول الأكوان كلها عبيد سخرها لك وأنت عبد الحضرة انتهى.

وفى الطبقات الشعرانية فى ترجمة أبى المواهب الشاذلى قال وكان يقول: لا تطلب الأكوان فإنها ما خلقت بالأصالة إلا لك وأنت خلقت لربك فإن طلبت ما خلق لك وتركت ما أنت مطلوب له انعكس بك السير وإن أقبلت على ربك طلبتك الأكوان بنفسها وخدمك كل شيء فافهم انتهى.

وفى كلام بعض الكبار خلق الله الإنسان الكامل له ليظهر به وخلق العالم للإنسان الكامل ليظهر به فالعالم [٢٩٨] مخلوق لأجل الإنسان الكامل وبسببه انتهى.

ومنها أن الله تعالى كما بدأ به الأمر ختمه به، فهو أول الخلائق كلها فى عالم الأرواح روحا وآخرها فى عالم الأجسام جسما فبدئ به الأمر لأنه العين المقصودة ثم لما مهد له الكون وملأ بأنواع المخلوقات جاء فيه خاتما وإماما حاكما.

ومنها أن حقيقته التى روحه المدبرة لجسمه المحتجبه ببشريته سر من أسرار القدرة لا يجوز أن يوضع فى الكتب على وجه التصريح وإنما يذكر فيها بطريق الإشارة والتلويح لقوله تعالى ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء:٨٥] فسبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بأحكام الربوبية فى مظاهر العبودية وفى مباحث ابن البنا:

وهـــذه حقـــيقــة الإنســـــان ... حيـــث لهـــا أنـــموذج ربـــانى

ووضـــعه فى الكتـــب لا يجـــوز ... بـــل هـــو كـــنـــز فى النهى مكنوز

إيــــاك أن تطمـــع أن تحـــوزه ... مـــن دفـــتر أو شـــعر أو أرجـــوزة

وإنما امتنع وضعه فى الكتب لأمور ثلاثة:

أحدها: أن العبارة لا تشرحه كل الشرح بل لا تفى به أصلاً لأنه من علوم الإشارة وعلم الإشارة مهما صار عبارة سمج ويدخله الخفاء وقد يؤدى التعبير عنه إلى تكفير القائل أو تبديعه أو تفسيقه بل ربما أدى لقتله كما وقع للحلاج وغيره، ولذا قال الشيخ أبو مدين ﷺ فى قصيدته المشهورة:

وفى السر أسرار دقاق لطيفة تراق دماؤنا جهرة لو بها بحنا

[٢٩٩]وقال الشيخ الأكبر من قصيدة أيضاً ذكرها فى أول معراجه:

ومن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يقتل بالسنان

كحلاج المحبة إذ تبديت له شمس المحبة بالتدان

فقال أنا هو الحق الذى ل يغير ذاته مر الزمان

الثانى: إن وضعه فى الكتب يؤدى لإبتزاله وظهوره لغير أهله وذلك لا يجوز عند القوم لما يؤدى إليه من المفاسد الكثيرة.

الثالث: أن وضعه فيها مع عدم فهم المراد منه لأغلب الناس لعدم استيفاء الكلام عليه يكون قطعاً للمريد عن التحقق به وموجبا لوجود الحيرة فيه لأنه لا يفهمه على الحقيقة إلا من أطلعه الله عليه وأزال عنه حجب الأكوان التى تقف به عن الوصول إليه.

ومنها أنه تعالى فتح عليه من فنون العلوم ومخازن الفهوم ما لم يفتحه على غيره كما هو معلوم وانظر إلى قوله تعالى ﴿ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:٥] وقوله ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن:٣، ٤]وقوله ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١] وقوله ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء:١١٣] وقوله ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا علماً ﴾ [الكهف:٦٥] وقوله ﷺ أوتيت جوامع الكلم وقوله فعلمت علم الأولين والآخرين.

ومنها أنه تعالى جعله حاكما على الخليقة كلها والمظاهر بأجمعها قائما بأمرها مالكا لها بأسرها خليفة عن الله تعالى فيها يخلفه وينوب عنه فى كل ما يجرى عليها وإيصال جميع ما يصل إليها كما قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ

وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الأنعام:١٦٥] وقال ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ [النور:٥٥] [٣٠٠] يعنى ليجعلنهم خلفاء فيها عنه يدبرون أمر العالم ويتصرفون فيه بحسب النيابة والوكالة فيصير الفقير فيهم غنيا والخائف آمناً والذليل عزيزاً والضعيف قوياً.

وقال خطاباً لبنى إسرائيل على لسان سيدنا موسى عليه السلام ﴿ وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أحداً مِّنَ العَالَمِينَ ﴾ [المائدة:٢٠].

وقال فى حق سيدنا إبراهيم عليه السلام خطاباً له ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ﴾ [البقرة:١٢٤] أى خليفة عليهم لأن الإمامة اسم من أسماء الخلافة.

وقال خطاباً لسيدنا داود عليه السلام ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴾ [ص:٢٦] والخليفة فى العرف من يخلف غيره فى أموره وينوب عنه فى شئونه ويقوم مقامه فى تصرفاته وخليفة الله له التصرف التام الشامل العام فى جميع المملكة الإلهية وله بحسب ذلك الأمر والنهى والتقرير والتوبيخ والحمد والذم على حسب ما يقتضيه مراده نبياً كان أو ولياً ثم التنصيص على خلافته هو من خصوصياته ولم يصرح القرآن بخلافة أحد سواه وخلافة آدم عليه السلام مشار إليها لا مصرح بها.

قال فى " نقش الفصوص " فى الفص الداودى ما نصه وداود عليه السلام منصوص على خلافته وإمامته وغيره ليس كذلك ومن أعطى الخلافة فقد أعطى الحكم والتصرف فى العالم كله انتهى.

قال شارحه الجامى وداود عليه السلام من هذا القبيل، فلذلك أعطى التصرف فى أنواع الموجودات انتهى.

وقال فى حق آدم عليه السلام خطاباً للملائكة أى بجميعهم على ما ذهب [٣٠١] إليه أكثر الصحابة والتابعين لعموم اللفظ وعدم المخصص، وللتنصيص على العموم فى قوله ﴿ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ [ص: ٧٣،٧٤] والاستثناء من معيار العموم، وقيل لملائكة الأرض منهم خاصة، وهو قول طائفة من المفسرين،

وحكى ابن عقيل فى " تفسيره " وصاحب الخميس قولا بأن الخطاب بالسجود لجميع العالم وخصت الملائكة بالذكر لكونهم الأشرف حينئذ، وكان من عداهم تبعا انتهى.

وفى " الفتوحات المكية " أن المراد فإن منهم وهما الملائكة المسخرة وملائكة التدبير اللذين هما فى عالم التدوين والتسطير دون الصنف الثالث وهو المهيم لأنهم ثلاثة أصناف لا رابع لها وهى هذه والمراد بالمسخرة المستعملة فى مصالح العالم وهم على طبقات كثيرة فمنهم الموكل بالوحى والإلقاء والموكل بالأرزاق والموكل بقبض الأرواح والموكل بإحياء الموتى والموكل بالاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم والموكل بنصرهم فى حروبهم ونحوها والموكل بهبوب الرياح والموكل بإنشاء السحاب والموكل بإنـــزال المطر والموكل بالغراسات فى الجنة جزاء لأعمال العباد إلى غير ذلك مما لا ينحصر كثرة.

قال فى " الفتوحات " فى الباب الرابع والخمسين ومائة: ورأسهم القلم الأعلى وهو العقل الأول سلطان عالم التدوين والتسطير قال وكان وجودهم مع العالم المهين يعنى قريبا منه ومتصلا به غير أنهم حجبهم الله عن هذا التجلى الذى هيم أصحابهم لما أراد الله أن يهبه هذا الصنف المسخر من رتبة الإمامة فى العالم وله ولاية تخصه وتخص ملائكة التسخير انتهى.

وملائكة التدبير [٣٠٢] هى الأرواح المدبرة للأجسام كلها الطبيعية النورية والهبائية والفلكية والعنصرية وجميع أجسام العالم ولهم ولاية أيضاً وكلهم رسل الله عن أمر الله حفظة والصنف الثالث المهيم هم الذين أوجدهم الله من أبنية العماء ولما أوجدهم تجلى لهم فى اسمه الجميل فهيمهم وأفنائهم عنهم فلا شعور لهم بذواتهم فضلا عن غيرهم ولا يعرفون ما هم فيه ولا ما هيمهم فهم فى الحيرة سكارى.

وفى " الفتوحات " فى أول الباب الأحد والستين وثلاثمائة ما نصه: وقد يريد يعنى الحق تعالى فى الآية بالعالين الملائكة المهيمة فى جلال الله، الذين لم يدخلوا تحت الأمر بالسجود، وهم أرواح ما هم ملائكة، فإن الملائكة هى الرسل من هذه الأرواح

كجبريل عليه السلام وأمثاله، فإن الألوكة هى الرسالة فى لسان العرب، فالملائكة هم الرسل من هذه الأرواح خاصة، فما بقى ملك إلا سجد لأنهم هم الذين قال الله لهم اسجدوا لآدم، ولم تدخل الأرواح المهيمة فيمن خوطب بالسجود، فإن الله ما ذكر أنه خاطب إلا الملائكة، ولهذا قال ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [ص:٧٣] ونصب إبليس على الاستثناء المنقطع لا المتصل، وهذه الأرواح المهيمة فى جلال الله لا تعلم أن الله خلق آدم ولا شيئا ليشغلهم بالله يقول الله لإبليس ﴿ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص آية: ٧٥] أى من هؤلاء الذين ذكرناهم فلم تؤمر بالسجود انتهى منه بلفظه.

وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على حضرة العلو ما نصه: وأما العالون من عباد الله الذين قال الله فى توبيخه لإبليس حين أبى عن السجود [٣٠٣] لآدم ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص:٧٥] فهم الأرواح المهيمة فى جلال الله، فأعلاهم الحق أن يكون شيئا من الخلق لهم مشهودا أو لأنفسهم، وهم عبيد اختصهم لذاته، فالتجلى لهم دائم وهم فيه هائمون لا يعلمون ما هم فيه انتهى المراد منه بلفظه أيضاً.

وقد تكلم على هؤلاء المهيمين الإمام الجيلى فى كتاب " المناظر الإلهية فى منظر الملائكة المهيمين " ونصه: لله ملائكة مهيمون فى مناظر التجليات الإلهية، فمنهم من دهش، ومنهم من صعق، ومنهم المشاهد والمتكلم والمتحرك والساكن، وهم كلهم من الملأ الأعلى، ليسوا عنصريين ولا موجودين من الطبائع، بل هم أنوار مجردة خلقهم الله تعالى من نور أسمائه وصفاته، وكل من خلق من نوره اسم فهو مهيم فيه لا يعرف الله إلا به ولا يعرف غير ذلك الاسم.

رأيت فى هذا المشهد خلقاً من هذا النوع الكريم لا يمكن شرحهم قد ألبسهم الله تعالى ملابس الهيبة والعظمة فلا يراهم أحد إلا ويخرج عن حاله إلى حال آخر ورأيت لهم مائة ملك مقدمين عليهم ورأيت عليهم واحداً مقدما على كلهم تحت حيطة اسمه الله وله مع كل ملك وجه خاص ولهذا الملك من التمكنات والحيطة والاتساع ما لا

يمكن شرحه وهو الملك المسمى بالروح فى قوله ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً** ﴾ [النبأ:٣٨] فيكون هذا الملك وحده صفا وباقى الملائكة جميعها صفا.

وفى هذا المنظر رأيت جماعة من الأولياء كل شخص مع ملك خلق من محتده إليه يعطى كل منهما ما أودع الله تعالى فيه مما لا يقبل ذلك إلا أحدهما أو كلاهما وفى هذا المنظر من عجائب آثار الله ما لا يمكن [٣٠٤] شرحه انتهى منه بلفظه.

وقال فى " الإنسان الكامل " فى الباب التاسع والخمسين ما نصه: والعالون هم الملائكة المخلوقون من النور الإلهى كالملك المسمى بالنون وأمثاله، وباقى الملائكة مخلوقون من العناصر، وهم المأمورون بالسجود لآدم عليه السلام انتهى.

والظاهر أنه أراد بالعناصر ما يشمل الطبائع فتأمل وقال قبله فى الباب الحادى والخمسين فى الملك المسمى بالروح ما نصه: وجميع الملائكة المقربين مخلوقون منه مثل إسرافيل وجبريل وميكائيل وعزرائيل ومن هو فوقهم كالملك المسمى بالنون وهو الملك القائم تحت اللوح المحفوظ وكالملك المسمى بالقلم وسيأتى بيانه فى تلو هذا الباب والملك المسمى بالمدبر وهو الملك القائم تحت الكرسى والملك المسمى بالمفصل وهو القائم تحت الإمام المبين وهؤلاء هم العالون الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم حكمة إلهية ثم قال بعد كلام: والحاصل من هذا الكلام جميعه أن العالين لم يؤمروا بالسجود لآدم ولهذا لا يتوصل إلى معرفتهم إلا الإلهيون من بنى آدم منحة إلهية بعد الخلوص من الأحكام الآدمية وهى المعانى البشرية ألا ترى إلى قوله سبحانه لإبليس ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾ [ص:٧٥] يعنى أن العالين لا سجود عليهم.

وقد ذكر الإمام محيى الدين بن العربى هذا المعنى فى " الفتوحات المكية " ولكنه لم ينص على أحد أنه من العالين ثم استدل بهذه الآية انتهى.

وعنه فى الباب الثالث عشر أن من الأرواح المهيمة العقل الأول [٣٠٥] والنفس الكل وكذا ذكر فى غير ما موضع من جملتها العقل الأول وفى عقلة المستوفز له فى أوله تعيين العنصر الأعظم منها أيضاً وقد تقدم نصه والله أعلم والمقول المذكور هو قوله

تعالى ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة:٣٠] يعنى يخلفنى وينوب عنى وفى جميع مخلوقاتى، ومعنى قوله ﴿ **فِي الأَرْضِ** ﴾ أن مسكنه بجسمه يكون فيها ومن معناه أيضاً الإشارة إلى أن ملائكة الأرض هم الطاعنون فى خلافته دون غيرهم من ملائكة السماوات وإلا فالكامل وهو الخليفة لله المطلق يكون خليفة فى العالم كله أعلاه وأسفله، نافذ الحكم والتصرف فيه بأجمعه، وله استعداد للظهور بالأسماء الإلهية كلها، لأنه مخلوق على الصورة قالوا أى قالت ملائكة الأرض ومن تابعهم من الجن والشياطين الذين غلبت عليهم الظلمة والنشأة الموجبة للحجاب دون غيرهم من أهل الجبروت وأهل الملكوت السماوية فإنهم لغلبة النورانية عليهم وإحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف الإنسان الكامل ورتبته عند الله تعالى وإن لم يعرفوا حقيقته كما هى ﴿ **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا** ﴾ [البقرة:٣٠] أى بارتكاب الفواحش والمحرمات ﴿ **وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ [البقرة:٣٠] أى السفك المحرم بغير وجه ولا حق وقالوا هذا لعلمهم الحقائق وما يقع وكان الأمر كما قالوا، وإنما وقع الغلط عندهم فى استعجالهم بهذا من قبل أن يعلموا حكمة الله فى هذا الفعل ما هى، وحملهم على ذلك الغيرة التى فطروا عليها فى جناب الله تعالى وشدة التعظيم له ولأوامره، ثم مدحوا أنفسهم بما يعلمونه [٣٠٦] منها وهم صادقون فيه بقولهم ﴿ **وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ** ﴾ [البقرة:٣٠] التسبيح أخص من التقديس، وذلك أن التسبيح تنزيه الحق تعالى عن نقائص الإمكان والحدوث والتقديس تنزيهه عن ذلك وعن الكمالات اللازمة للأكوان، لأنها من حيث إضافتها إلى الأكوان تخرج عن إطلاقها وتقع فى ونقائص التقيد ﴿ **قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ** ﴾ [البقرة:٣٠] أى من الحكم التامة والمصالح العامة ﴿ **مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة:٣٠] فعلم الحق تعالى هذا الخليفة الذى هو آدم عليه السلام الأسماء المتوجهة على إيجاد العالم كلها وهى الأسماء الإلهية التى يطلبها العالم بذاته إذ كان وجوده عنها، وعلمه أيضاً أسماء الكائنات وجميع المخلوقات بجميع ألسنها ولغاتها على اختلافها إلى يوم القيامة، ومعنى تعليمه إياها أنه خلق فيه إذ ذاك بموجب استعداده علماً ضرورياً تفصيلياً بها وبأحوالها وخواصها اللائقة بكل منها وبعبارة أخرى ثانية

علمه الأسماء كلها التى لها توجه إلى العالم وتطلب الآثار فيه وما يمتد به من أسماء التقديس والتنـــزيه حتى سجد بها ومجده وعظمه وعلم منها ما تطلبه من ذوات الأشياء وأسمائها وخواصها ومعارفها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها إلى غير ذلك وهذا التعليم ما كان بإلهام ولا بدراسة ولا بإنـــزال وحى وإنما كان عن كشف كشف له عن حقيقته الإنسانية فوجدها مجموع الأسماء الإلهية والكونية وبعبارة أخرى ثالثة أطلعه الله على الأعيان الثابتة [٣٠٧] التى هى حقائق الأشياء الخارجية وكان ذلك فى الموطن الثانى من مواطن العالم المسمى بظاهر القلم والوجود فعلم من اطلاعه على الأعيان الثابتة أسماء الحق تعالى المتوجهة على إيجاد الأعيان الخارجية إذ كل عين لها اسم يخصها والعارف يعرف الاسم الإلهى بأثره الخارجى فيكون الاسم كالروح والأثر بمثابة الصورة وهذه المعرفة دون معرفة سيدنا محمد ﷺ لأن سيدنا محمد ﷺ عرف الأعيان فى موطنها الأول وهو المسمى باطن العلم والوجود حيث تسمى شؤونا ثم نـــزل إلى الموطن الثانى الذى تسمى فيه أعيانا ثابتة واستعدادات ثم عرفها فى موطنها الثالث حيث تسمى أعيانا خارجية فسيدنا محمد ﷺ عرف الأصل ثم تدلى إلى الفرع وهذا الخليفة عرف الفرع ثم ترقى إلى الأصل وبين المعرفتين من الشرف ما بين الأصل والفرع ثم بعد معرفته لهذه الأسماء عرضهم يعنى عرض مسميات أسمائهم على الملائكة بعد أن أحضرها بصورها لهم وقال تبكيتا لهم وتعجيزا أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فى أنكم أحق بالخلافة وأنه ليس هناك من هو أعلم منكم كما ينبئ عنه مقالكم فالتفتوا إلى الحق تعالى التفات عجز وافتقار وإنابة واضطرار وقالوا ﴿ **سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا*إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ** ﴾ [البقرة:٣٢،٣٣] فجعله أستاذا لهم وشيخا ومعلما فأنبأهم بها بأن ذكر لهم الأسماء الإلهية التى أوجدتهم واستندوا إليها فى إيجاد أعيانهم وأعلمهم أن لله تعالى [٣٠٨] أسماء كثيرة فى العالم ما عرفوها ولا قدسوا الحق ولا سبحوه بها فبينها لهم وسمى لهم كل مخلوق باسمه وحكمته التى خلق لها وأصله وو كيفية تربيته ووضع شكله وما يئول أمره إليه وما ذكره ها هنا كثير من المفسرين

المراد بهذه الأسماء خصوص أسماء الاصطلاح الوضع الكونى كالقصعة والقصيعة بعيد عن المرام غير أليق بهذا المقام ولا مقصود من الكلام كما نبه عليه جمع أكابر عظماء من أرباب البصائر أهل اليد الطولى فى الباطن والظاهر فعند هذا ظهر لهم فضله وعلموا أنه أحق بالخلافة وأن هناك من هو أعلم منهم حقيقة فأمرهم الله حينئذ بالسجود له فسجد الملائكة المخاطبون كلهم أجمعون سجود خضوع وتعظيم وتحية وتكريم إذ كان ذلك جائزا فى الشرائع السابقة قبل هذا الشرع الشريف لا سجود عبادة لأنه مختص بالله تعالى لا يجوز لغيره بإجماع جميع الشرائع وقيل كان سجودهم لله تعالى وكان آدم قبلة لهم كالكعبة التى جعلها الله تعالى قبلة للمصلين وفى الحقيقة إنما كان هذا السجود للصورة المحمدية أو تقول للنور المحمدى الذى كان فى ظهره وهو المعلم لهم فى الحقيقة وهذه الصورة الآدمية كانت نائبة عنه فى التعليم فنالوا بهذا السجود السعادة الأبدية والسيادة السرمدية وأبى إبليس وامتنع من السجود ولم يلتفت إلى آدم بل ولاه ظهره كبرا وعنادا وحسدا فباء بخزى الدنيا والآخرة ونال الطرد واللعن والشقاوة الأبدية نسأل الله العافية وإنما قيدنا بقولنا [٣٠٩] المخاطبون ليخرج من ذكرنا أنهم لم يؤمروا بالسجود وهم العالون وظاهر الفصوص فى الفص العيسوى أن الملائكة العلوية التى ليست بعنصرية وهى ما فوق السماوات السبع من العرش والكرسى وما شاكلهما نورية كانت أو طبيعية كلها لم تؤمر به وإن المأمور به إنما هو ملائكة السماوات وهى العنصرية لقولنا فى تفسير آية ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ [ص:٧٥] إلى آخره ما نصه استكبرت على من هو مثلك يعنى عنصرياً أم كنت من العالين عن العنصر ولست كذلك قال ونعنى بالعالين من على بذاته عن أن يكون فى نشأته النورية عنصريا وإن كان طبيعيا انتهى.

وهو خلاف ما تقدم عنه فى الفتوحات وذكره غيره من غير ما واحد من أن المراد هم المهيمون والمهيمون كالعقل الأول والنفس الكلية وإن دخلوا تحت الطبيعة النورية العامة الكبرى فهم فوق الطبيعة التى تحت النفس وفوق الهباء فيقال فيهم نوريون ولا يقال نوريون ولا يقال طبيعيون بالطبيعة الخاصة لكونهم لم يدخلوا تحت حكمها وإن

كان بعضهم كالنفس يعطى الإمداد بذاته لعالم الطبيعة من غير قصد كما تعطى الشمس ضوءها بذاتها لغيرها من غير قصد منها لمنفعته أو ضرره.

ولقد صرح الشيخ نفسه فى الباب الثالث عشر بأنهم يعنى المهيمين فوق عالم الأجسام الطبيعية قال ولا عرش ولا مخلوق تقدمه وقال الشيخ بالى فى شرح الفصوص ما من صورة من الصور مما سوى الله إلا وهى صورة من صور الطبيعة ما عدا الملائكة المهيمة، ومنهم العقل الأول فإنهم نوريون وإن كانوا [٣١٠] طبيعين لكنهم لم يدخلوا تحت حكم الطبيعة انتهى.

جبريل من الملائكة الذين أمروا بالسجود لكونه من الرسل المأمورين به وهو من جملة العالين

وخلاف ما تقدم عنه أيضاً من أن جبريل من الملائكة الذين أمروا بالسجود لكونه من الرسل المأمورين به وهو من جملة العالين وأيضا فهو وبقية الملائكة الأربعة الذين هم من العالين من الملائكة المسخرة وقد تقدم أنهم مخاطبون بالسجود كالملائكة المدبرة وأيضا فقد ورد عن وهب بن منبه كما ذكره أهل التفسير وغيرهم قال أول من سجد لآدم جبريل فأكرمه الله بإنـــزال الوحى على النبيين خصوصاً على سيد المرسلين ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون نقله فى "المواهب" قال وعن أبى الحسن النقاش إن أول من سجد إسرافيل قال ولذا جوزى بتولية اللوح المحفوظ قال فى شرحها وهذا رواه ابن أبى حاتم عن ضمرة والسلفى عن عمر بن عبد العزيز انتهى.

وقال شارحها أيضاً فى الكلام على الإسراء روى أبو الشيخ وابن أبى حاتم عن ضمرة قال بلغنى أن أول من سجد لآدم إسرافيل فأثابه الله أن كتب القرآن فى جبهته انتهى.

والأربعة المذكورون والملائكة المقربون كلهم من العالين فتعين حينئذ أن نقول إن المراد بهم فى الآية خصوص المهيمين دون من عداهم من بقية العالين وإن الشيخ أراد

بالعنصر ما يشمل الطبيعة الصغرى وبالطبيعة المصرح بها فى كلامه النورية الكبرى فتأمل.

وفى الكمالات الإلهية للجيلي رحمه الله ما نصه وما ورد عن الشيخ محيى الدين بن العربى وأمثاله من القول بأن الملائكة العلوية التى ليست بعنصرية لم تؤمر بالسجود له فذلك [٣١١] صحيح قال والنكتة فى أنهم لم يؤمروا بالسجود كونهم كالقوى للأعصاب فهم من ذاته أى مخلوقون من نوره مباشرة بلا واسطة شيء ولأجل ذلك عظموا عن الأمر بالسجود كرامة للإنسان لا لهم لأن كرامتهم على الحقيقة راجعة إلى الإنسان فافهم انتهى منه بلفظه.

وقال غيره إنما سقط حكم السجود لأن الحق تعالى لما أوجدهم تجلى لهم فى اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنهم وعن كل ما سواه فكانوا فى حكم المجاذيب الغائبين الذين سقط التكليف عنهم وإلى هذا يشير القيصرى فى شرح الفصوص بقوله معنى الآية ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص:٧٥] المهيمين الذين لا يسجدون لغير الله ولا يشعرون إلا بجمال الله قال وهذا لا يناقض قوله ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [ص:٧٣، ٧٤] لأن الأمر إنما يتعلق بالعقلاء العالمين انتهى والنابلسى بقوله أيضاً لم يؤمروا بالسجود لآدم عليه السلام لعدم معرفتهم به من كمال استغراقهم فى شهود الله تعالى انتهى.

ولا يخفاك أن هذا لا يستلزم أفضلية هؤلاء – الذين لم يؤمروا بالسجود – على آدم ولا على غيره من سائر البشر وإن ذكر الشيخ الأكبر فى فصوصه إن الإنسان فى الرتبة فوق الملائكة الأرضية والسماوية وأن الملائكة العالين خير من هذا النوع الإنسانى بالنص الإلهى أى وهو قوله أم كنت من العالين أى الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم بناء على أن علة ذلك كونهم أفضل من هذا النوع الإنسانى وخيرا منه.

وقال فى الفتوحات فى الباب التاسع والستين فى وصل فضل المشى مع [٣١٢] الجنازة بعد ما ذكر حديث أن النبى ﷺ قام عند ما رأى جنازة يهودى فقال أليس معها الملك ما نصه: وفى هذا الحديث قيام المفضول أى وهو جنس الإنسان للفاضل أى وهو

جنس الملك عندنا وعند من يرى أن الملائكة أيضاً أفضل من البشر على الإطلاق وهكذا قال لى رسول الله ﷺ فى مبشرة أريتها انتهى.

وقال فى الباب الحادى والسبعين فى وصل عن أن الإنسان أكمل نشأة والملك أكمل منـــزلة قال كذا قال لى رسول الله ﷺ فى مشهد واقعة أبصرته ﷺ فيه فسألته انتهى المراد منه.

– فضل الملائكة على البشر –

وقال فى الباب الثالث والسبعين فى الجواب عن السؤل التاسع والعشرين من أسئلة الحكيم الترمذى ما نصه: وأما المسألة الطفولية التى بين الناس واختلافهم فى فضل الملائكة على البشر فإنى سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فى الواقعة فقال لى إن الملائكة أفضل فقلت له يا رسول الله فإن سئلت ما الدليل على ذلك فما أقول فأشار إلى أن قد علمتم أنى أفضل الناس وصح عندكم وثبت وهو صحيح إنى قلت عن الله تعالى أنه قال من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وكم ذاكر لله تعالى فى ذكره فى ملأ أنا فيهم فذكره الله فى ملأ خير من ذلك الملأ الذى أنا فيهم فما سررت بشيء سرورى بهذه المسألة فإنه كان على قلبى منها كثير انتهى منه بلفظه.

– السبب الموجب للمشورة –

وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى الفصل الحادى عشر ما نصه:

والسبب الموجب للمشورة كون الحق تعالى له وجه خاص فى كل موجود لا يكون لغير ذلك الموجود [٣١٣] فقد يلقى إليه الحق سبحانة فى أمر ما، ما لا يلقيه لمن هو أعلى منه طبقة كعلم الأسماء لآدم مع كون الملأ الأعلى عند الله أشرف منه ومع هذا فكان عند آدم ما لم يكن عندهم وقد ذكرنا فى هذا الكتاب دليل تفضيل الملأ الأعلى من الملائكة على أعلى البشر أعطانى ذلك الدليل رسول الله فى رؤيا رأيتها

وقبل تلك الرؤية ما كنت أذهب فى ذلك إلى مذهب جملة واحدة انتهى منه بلفظه أيضاً.

فأفاد بهذه النصوص أفضلية الملأ الأعلى من الملائكة على آدم وغيره من أعلى البشر وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو خلاف ما عليه جمهور الصوفية وأهل السنة من العكس وهو الحق الذى لا يعول إلا عليه ولا يعدل عنه أصلاً لقوة أدلته وكثرة من قال به من العلماء والعارفين والصوفية والآية الشريفة وهى قوله ﴿ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ ﴾ [ص:٧٥] قد علمت الجواب عنهم وإن معناها من الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم لغيبتهم عنه وعن كل ما سوى الله حتى عن أنفسهم فسقط التكليف به عنها لذلك لا لكونهم أفضل، وأما قوله عليه السلام له فى الرؤية الأولى إن الملك أكمل منــــزلة وفى الثانية إن الملائكة أفضل فلا يدل على أن الملك أكمل وأفضل من جميع الوجوه بل يحمل على بعضها مما فضل به الملك البشر من المزايا ككونه عند الله فى السماء أو فوقها لقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [الأعراف:٢٠٦] ودؤبه على الطاعة والعبادة من غير مهلة ولا فترة لأن حقيقة نشأته تعطيه ذلك فتسبيحه لله وتقديسه له ذاتى وكذا [٣١٤] سائر أنواع الطاعات وقوته على الأعمال الشاقة التى لا يقدر عليها بنو آدم ونقله للأرضين بريشة من جناحه والبشر يسكنون الأرض و لم يعطوا فى الطاعة والعبادة والقوة على الأعمال قوة الملك والأدلة على أنه يجوز أن يكون فى المفضول خصلة أو خصالا لا يوجد مثلها فى الفاضل ودلت الأدلة على أن للإنسان أيضاً مزايا أخر فإن بها ميزة كالتقدم فى الوجود العلمى والعينى على غيره من المخلوقات ...الذات العلية بلا واسطة وعلى الصورة الإلهية ...وتعليمه الأسماء كلها وجعله خليفة فى المملكة وخلق الأكوان كلها من أجله وبسببه واقتباسها للوجود للإمداد وإتيانه جوامع الكلم وإعطائه كلمة كن وسعة قلبه الرب العلى إلى غير ذلك مما يؤذن بشفوق رتبته على الملك وتفضيله عليه ويمكن أن يقال إنه عليه الصلاة والسلام إنما فضل الملأ الأعلى على أعلى البشر لكونه فيه الروح الأعظم وهو روحه ﷺ وإذا اعتبر هذا زال الإشكال و لم يبق للتردد فى هذه المسألة مجال ولعله كان فى زمن

الشيخ الأكبر من يطعن فى الرتبة الملكية ويحط منها أو لا يوفيها حقها فلذلك قال له النبى ﷺ ما قال والله أعلم بحقيقة الحال وأما حديث ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه فلنا أن نقول فى الجواب عنه إن المقصود منه بيان أفضلية الملأ الأعلى على غيرهم من حيث الجملة لا مطلقاً سلمنا أن المقصود منه الأفضلية المطلقة فهى من حيث كون الروح [٣١٥]- الأعظم الذى هو روحه ﷺ فيهم ومنهم لا من حيث خصوص ذواتهم وأرواحهم فقط.

وللعلماء والعارفين عن هذا الحديث الشريف أجوبة منها ما ذكره الشيخ الأكبر نفسه فى فتوحاته فى الباب الثالث والسبعين منها فى جواب السؤال التاسع والعشرين ومائة من أسئلة الحكيم الترمذى من أن الملأ الذى يقع الذكر فيه ثانيا قد يكون عين الأول وتكون الخيرية فيه بالحال أى إن حال ذلك الملأ فى ذكر هذا العبد لله تعالى فيهم وهم يسمعون دون حاله فى ذكر الله تعالى لهذا العبد فيهم وهم يسمعون أيضاً فهو فى هذا الحال خير منه فى حال ذكر العبد والملأ الأعلى واحد كما تتشرف الجماعة بالملك إذا كان فيها على شرفها إذا لم يكن فيها وعين الجماعة واحدة وقد يكون مغايرا له فتكون خيرية الثانى على الأول إما بالحال أيضاً كما تقدم لكون الحق وتعالى أسمعهم ذكره لعبده وإما بأمر آخر تقتضيه مرتبة ذلك الملأ الثانى عند الله إما نشأة أو حالاً أو علماً راجع كلامه.

ومنها ما ذكره الشيخ سيدى عبد الرحمن العيدروس فى شرحه لصلاة أبى الفتيان سيدى أحمد البدوى ونصه لطيفة قوله فى الحديث القدسى من ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه لا يلزم منه إلا أفضلية باطنه ﷺ على ظاهره لأن باطنه دائما مع الحق تعالى فتنبه له أو يقال لا يلزم منه الأخيرية ملأ الباطن على ملأ الظاهر وهو من المعنى المتقدم فافهمه راشدا فإن قيل فلذا وقع الذكر فى ملأ الباطن فكيف يكون [٣١٦] الحال فالجواب أنه ﷺ فى كل نفس فى الترقى لأن مطلق الترقى له ولغيره من أهل الترقى دائم غير منقطع لا فى الدنيا ولا الآخرة فتكون الخيرية باعتبار الترقى، ومعنى ذلك ظاهر قال وبقى هنا سر آخر لا ينبغى التصريح به إلا لأهله انتهى.

وقوله وكم ذاكر لله تعالى ذكره فى ملأ أنا فيهم فذكرْه الله تعالى فى ملأ خير من ذلك الملأ الذى أنا فيهم هذا الكلام إذا أخذ على ظاهره اقتضى أمرين:

أحدهما: أفضلية ملأ الملأ الأعلى الذين ليس فيهم النبى ﷺ على الملأ الذين هو ﷺ فيهم وهو خلاف النص والإجماع، أما النص فحديث ابن عساكر فى تاريخه عن عبد الرحمن بن غنم الأشعرى مرفوعاً سلم على ملك ثم قال لى لم أزل أستأذن ربى عز وجل فى لقائك حتى كان هذان أوان أذن لى وإنى أبشرك أنه ليس أحد أكرم على الله منك قال الشيخ عبد الرءوف المناوى فى " التيسير " أى حتى الملائكة حتى خواصهم حتى جبريل وعليه إجماع أهل السنة انتهى.

وحديث البيهقى فى " فضائل الصحابة " والحاكم وصححه وإن نوزع أنه ظهر على بن أبى طالب ﷺ من البعد فقال ﷺ هذا سيد العرب فقالت عائشة ألست بسيد العرب فقال أنا سيد العالمين وحديث الحاكم أيضاً وصححه عن بشر بن شغاف الضبى قال كنا جلوساً عند عبد الله بن سلام فى المسجد يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام إن أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة [٣١٧] وإن أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم ﷺ قال فقلت له رحمك الله فأين الملائكة فنظر إلى وضحك وقال يا ابن أخى هل تدرى ما الملائكة إنما الملائكة خلق كخلق السماوات والأرض وخلق الرياح وخلق السحاب وخلق الجبال وسائر الخلق التى لا يعصى الله منها شيء وإن أكرم الخلق على الله أبو القاسم ﷺ.

وبين السراج البلقيني أن هذا له حكم الرفع قال بعض وهو كذلك فإنه من أجلاء الصحابة فلا يقوله إلا عنه ﷺ أو عن ما صح في التوراة لكونه أيضاً من أجل علماء أهل الكتاب.

وصح في حديث بحير الراهب وهو أيضاً من علماء أهل الكتاب الذين لا يقولون شيئا إلا عنه هذا سيد العالمين.

وأما الإجماع فأجمع العلماء والصوفية والعارفون وجميع الأمة الإسلامية على أنه ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق إلا من لا يعتد بخلافه كالزمخشرى في سورة التكوير

حيث زعم أن سيدنا جبريل أفضل منه ﷺ وهو قول شاذ مرغوب عنه لا يقدح في الإجماع المذكور، ولعلماء السنة فى الرد عليه في هذا كلام طويل نظما ونثرا وقد قال بعض المغاربة جهل الزمخشرى مذهبه فقد أجمع المعتـــزلة على ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من أفضليته ﷺ على سائر الخلق نعم طائفة منهم كالرمانى خرقوا الإجماع فتبعهم الزمخشرى، وقد صرح الشيخ نفسه في غير ما موضع من الفتوحات بأفضليته [٣١٨] ﷺ على غيره كقوله في الباب السادس والسبعين منها في الكلام على الملامية وسيد العالمين فيهم ومنهم وهو محمد ﷺ انتهى.

وكقوله فيه أيضاً في جواب السؤال التاسع والأربعين والموفى خمسين من أسئلة الحكيم الترمذى إن الله تعالى لما خلق الخلق خلقهم أصنافاً وجعل في كل صنف خياراً واختار من بينهم خواص وهم المؤمنون واختار من المؤمنين خواص وهم الأولياء واختاره من هؤلاء الخواص خلاصة وهم الأنبياء واختار من الخلاصة نقاوة وهم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم واختار من النقاوة شرزمة قليلة هم صفاء النقاوة المروقة وهم الرسل أجمعهم واصطفى واحداً من خلقه هو منهم وليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله عمدا أقام عليه قبة الوجود جعله أعلى المظاهر وأسناها صح له المقام تعيينا وتعريفا فعلمه قبل وجود طينته الشريفة طينته السر وهو محمد رسول الله ﷺ لا يكاثر لا يقاوم هو السيد ومن سواه سوقة انتهى المراد منه بلفظه.

وكقوله فى الباب الأحد والسبعين وثلاثمائة فى الفصل التاسع وأما ترتيبه يعنى العالم بالمكانة يعنى بالشرف والمنـــزلة فالإنسان الكامل ثم العقل الأول ثم الأرواح المهيمة ثم النفس إلى آخر كلامه وقال فى الخطبة التى ذكرها بعد الذى جعل الإنسان الكامل أشرف الموجودات وأتم الكلمات المحدثات والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير البريات وسيد الجسمانيات والروحانيات.

وكقوله فى [٣١٩] الباب الثانى والثمانين وثلاثمائة ولما لم يكن فى الأنكحة أفضل من نكاح الهبة لأنه لا عن عوض كالاسم الواهب الذى يعطى لينعم واختص به لفضله أفضل الخلق وهو محمد ﷺ انتهى المراد منه.

وكقوله فى أول الباب الذى بعده:

إن العظـــيم إذا عظمـــته لا ... وإن تعاظمـت جلـت ذاتـه فعلا
فهـو الـذى أبطل الأكوان أجمعها ... مـن بـاب غيرتـه وهو الذى فعلا
ولـيس يـدرك ما قلنا سوى رجل ... قـد جـاوز المـلأ العلوى والرسل
وهـام فـيمن يظـن الخلق أجمعه ... تحصـيله وسـهى عـن نفسه وسل
ذاك الرسـول رسـول الله أحمدنا ... رب الوسـيلة فى أوصـافه كمـل

انتهى.

وأدلة تفضيله ﷺ على غيره من جميع الخلق والكلام على ذلك طويل منتشر جدا وقد قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسى ثبوت شرفه ﷺ وأفضليته على جميع المخلوقات يكاد أن يكون معلوما من الدين بالضرورة بحيث لا يحتاج إلى سرد دليل.

وقال المحققون هو أفضل من كل واحد من الأنبياء والملائكة وجميع الخلق على حدته وأفضل من مجموعهم وأفضل من جميعهم والموجودات وإن تفاوتت فى الدرجات فهو فى الدرجة التى لا درجة فوقها والآيات والأخبار وأقاويل العلماء والآثار الدالة على ذلك كثيرة ولله در البوصيرى إذ يقول:

فمـبلغ العـلم فـيه أنـه بشـر ... وأنه خير خلق الله كلهم

ثانيهما: أفضلية الملأ الأعلى على غيرهم من البشر عموما وخصوصا [٣٢٠] وهو خلاف ما عليه جمهور أهل السنة والمحققون من العلماء والعارفون من أهل الله تعالى من أن خواص البشر والمراد هم الأنبياء وقيل هم والصحابة والأفراد والأقطاب أفضل من خواص الملائكة وهم حملة العرش والكروبيون والمقربون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ومن فى طبقتهم وخواص الملائكة أفضل من عوام البشر والمراد هم من عدا الخواص المذكورين من أهل الطاعة والولاية والصلاح لا الفسقة كما نبه عليه ابن أبى شريف وغيره وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة لما

نذكره من الأحاديث والأدلة والمسألة فيها نـــزاع طويل وطرق لعلماء الظاهر والباطن كما سنذكره.

وقد أخرج ابن عساكر فى تاريخه عن أنس والديلمى وابن عساكر عن جابر والبيهقى فى الشعب وفى الأسماء والصفات عن عروة بن رويم اللخمى عن الأنصارى وهو جابر بن عبد الله رفعوه إن الله عز وجل قال للملائكة لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان وفى رواية أخرى للطبرانى فى الكبير عن ابن عمر مرفوعاً أنه قال لهم لا أجعل صالح ذرية من خلقته بيدى كمن قلت له كن فكان ذكرهما فى الجامع الكبير فى أن الملائكة وفى لما خلق الله آدم وذريته وقال ابن حجر الهيتمى فى فتاويه الحديثية بعد ذكره للرواية الأولى ما نصه وهذا الحديث من الأدلة الصريحة على تفضيل جنس البشر على جنس الملك كما هو مذهب أهل السنة انتهى.

وأخرج البيهقى فى الشعب وضعفه عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً [٣٢١] لكنه قال الصحيح وقفه عليه ما شيء أكرم على الله من ابن آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال ولا الملائكة، الملائكة مجبرون بمنـــزلة الشمس والقمر وأخرج الطبرانى فى الكبير والخطيب فى تاريخه عن ابن عمرو مرفوعاً ما من شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال ولا الملائكة ولا الملائكة ولا الملائكة، هم مجبرون بمنـــزلة الشمس والقمر.

وأخرج الطبرانى فى الصغير عنه أيضاً مرفوعاً ليس شيء أكرم على الله من المؤمن.

وأخرج ابن النجار فى تاريخه عن أنس مرفوعاً المؤمن أى الكامل المتناهى فى الكمال أكرم على الله من الملائكة المقربين.

وأخرج ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة مرفوعاً المؤمن أكرم على الله من الملائكة [1] ورواه ابن ماجه عنه ولكن بلفظ أكرم على الله من بعض ملائكتى وفيه أبو المهزم يزيد بن سفيان تركه شعبة وضعفه ابن معين.

– تفضيل الأنبياء على الملائكة –

واعلم أنه قد اختلف النقل عن العلماء والصوفية فى هذه المسألة على طرائق:

الأولى: تقول إن مذهب جمهور الأشاعرة وأهل الحديث والتصوف كما حكاه البكيعن هؤلاء قال ابن الحاجب وهو الأصح تفضيل الأنبياء على الملائكة كيفما كانت علوية أو وسطية لأن الله تعالى قال بعد ذكر جمع منهم ﴿ **وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام:٨٦] وقال ﴿ **وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [الدخان:٣٢] وقال ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ** ﴾ [البينة:٧] أى الخلق وأسجد لآدم ملائكته وفى الأنبياء من هو أفضل منه ولأن النفوس البشرية داعية إلى [٣٢٢] الشهوات وبمخالفتها عادة فاقت الملائكة ولأن أهل الموقف إنما يستشفعون بالأنبياء لا الملائكة إلى غير ذلك وقال القاضى أبو بكر الباقلانى والأستاذ أبو إسحاق الإسفرائنى وأبو عبد الله الحليمى وأبو عبد الله الحاكم وفخر الدين الرازى فى المعالم خلاف ماله فى المحصول وأبو شامة شيخ الإمام النووى وابن حزم الظاهرى والمعتـزلة والفلاسفة بتفضيل الملائكة مطلقا.

الثانية: وهى للآمدى والبيضاوى قصر الخلاف السابق على الملائكة العلوية وأرادوا هم ملائكة السماء فأكثر أصحابنا والشيعة على أن الأنبياء أفضل منهم خلافا للحكماء والمعتـزلة والقاضى والحليمى فى قولهم إن الملائكة العلوية أفضل من الأنبياء وأما الملائكة السفلية وهم ملائكة الأرض فلا خلاف أن الأنبياء أفضل منهم

(١)وفى نسخة ملائكتى.

الثالثة: للحنفية أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة وخواص الملائكة أفضل من عامة البشر من المؤمنين وعامة البشر من المؤمنين أفضل من عامة الملائكة قال النسفى فى تفسيره لدى قوله تعالى ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ المَسِيحُ أَن يَكُونَ عبداً لِّلّهِ وَلاَ المَلائِكَةُ المُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء:١٧٢] ما نصه والحاصل أن خواص البشر وهم الأنبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم كجبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة انتهى.

قال بعضهم ويعنى بعوام المؤمنين أهل الطاعة والموافقة منهم.

قلت وطريقتهم هذه موافقة للطريقة الأولى لا تـــزيد عليها [٣٢٣] إلا بما فيها من التفضيل المسكوت عنه فى الأولى.

الرابعة: لضياء الدين أبى النجيب السهروردى فى كتابه فى مذهب الصوفية فإنه قال أجمعوا يعنى الصوفية على تفضيل الرسل على الملائكة واختلفوا فى تفضيل الملائكة على المؤمنين وبين الملائكة تفاضل كما بين المؤمنين.

الخامسة: للإمام أبى بكر الكلاباذى فى كتاب " التعرف لمذاهب أهل التصوف " قال سكت جمهورهم يعنى الصوفية عن التفضيل بين الملائكة والرسل وقالوا الفضل لمن فضله الله ليس بالجوهر ولا بالعمل وقال الشيخ على القونوى فى شرحه أسلم الأقوال ما حكاه المصنف عن جمهور الصوفية والسلامة لا يعدلها شيء وأدلة الجانبين متجاذبة وليس مما كلفنا به انتهى.

وإلى التوقف صار الكيا الهراسى وغيره وقال البيهقى الأمر فى هذا سهل وليس فيه إلا معرفة الشيء على ما هو عليه.

السادسة: ما نقله البكى عن الصوفية من أن الأنبياء أفضل لجمعهم خواص كمالات الكون والملائكة أشرف لبساطة ذواتهم وبعدهم عن شوائب التركيب وإلى هذا المنحى ينحو كلام الشيخ عز الدين فى قواعده.

السابعة: للشيخ الأكبر فى فصوصه وهى أن الإنسان فى الرتبة فوق الملائكة الأرضية والسماوية لأنهم كلهم عنصريون مخلوقون بيدٍ واحدة فلا لهم شرف حال الإنسان ولا مرتبة كماله والملائكة العالون والمراد بهم من فوق السماوات السبع من ملائكة العرش والكرسى وما فوقهما وهم المسمون فى لسان الشريعة بالملأ الأعلى خير من هذا [٣٢٤] النوع الإنسانى فالنص الإلهى الذى هو قوله ﴿ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ ﴾ [ص:٧٥] وكتب الشيخ داود القيصرى فى " شرح الفصوص " على قوله إن الملائكة العالين خير من هذا النوع الإنسانى ما نصه: وهذه الخيرية إنما هى بحسب عموم أفراده يعنى الإنسان لا بحسب الخصوص وتحقيقه أنك قد علمت أن الكل موجود من الموجودات وجها خاصا لربه لا يشاركه فيه غيره والإنسان جامع لجميع تلك الوجوه لأنه جامع لجميع الحقائق الكونية والإلهية كما هو مقرر عند جميع المحققين فالإنسان من حيث حقيقته خير من جميع الموجودات لذلك صار خليفة عليها ومن حيث خلقته أيضاً فالإنسان الكامل والأفراد والأقطاب خير من جميعها لظهور الحق فيهم بجميع كمالاته وصفاته دون غيرهم، وغيرهم من الأناسى لا يخلو إما أن يقع فى الصنف الأعلى من دائرة حقيقة الإنسان أى يقع فى الطرف الكمالى أو فى الصنف الأسفل أى فى الطرف النقصانى، الأول خير من الملائكة الأرضية والسماوية جميعا لتسبيحهم للحق وتقديسهم بألسنة أكثرهم بل كلهم كالمتوسطين فى الكمال المتوجهين إلى حضرة ذى الجلال والصنف الثانى أدنى مرتبة من الملائكة السماوية دون الأرضية إلا من وقع أسفل سافلين من الإنسان فإنه شر من كل حيوان وأدنى مرتبة من كل شيطان وهذا مجمل شأنا فعليك بتفصيله بيانا والله أعلم بالمراتب انتهى منه بلفظه.

قلت وهذا الذى ذكره مخالف لكلام الشيخ فى فتوحاته فإنه كما سبق عنه فيها يقول بتفضيل الملأ الأعلى على آدم وغيره [٣٢٥] من أعلى البشر، وأعلاهم هم الرسل والأنبياء، فهذا الذى ذهب إليه أعنى القيصرى تفصيل آخر لم يعرج الشيخ عليه بحال فليتأمل وهذا الخلاف قالوا إنه مخصوص بغير نبينا ﷺ أما هو فالإجماع كما ذكره فخر الدين الرازى وأبو عبد الله الأبى وغيرهما على أنه أفضل من المخلوقات على

الإطلاق وأجلهم عند الله وأكملهم بطريق العموم والاستغراق وفى نظم " محصل المقاصد " فى كلامه على الأنبياء:

وإنهم أفضل فى الأصح ... من الملائكة دون قدح
نبينا ذا الخلق لا يشمله ... ومن يعممه يخص قوله
قلت كما يظهر فى الإبكار ... للآمدى يرد بالأقطار
نبينا أفضل بالإطباق ... من كل مخلوق على الإطلاق

وفى أرجوزة علم الكلام لسيدى حمدون بن الحاج السلمى المرداسى:

الرسل أفضل من الملائك ... والمصطفى أفضل من أولئك
هو أجل ما اختفى وظهر ... انعقد الإجماع فيه واشتهر

ولما لم يحفظ السراج البلقينى هذا الإجماع قال فى منهاج الأصلين وينبغى أن يكون محل الخلاف فى غير النبى ﷺ فهو أفضل خلق الله أجمعين وكذا قطع السبكى بتفضيل النبى ﷺ على الملائكة ولكن من غير حكاية إجماع وقطع أيضاً الشيخ الأكبر فى فتوحاته حسبما تقدم عنه فأفضليته ﷺ على الكل وهو مما لا يمترى فيه ولا يظن بأحد من أئمة المسلمين [٣٢٦] أنه يتوقف فيه.

وزعم أن هذا ليس مما كلفنا بمعرفته باطل فإن هذا من مسائل أصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف بشهادة ما فى الحديث الصحيح المشهور وهو ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وحينئذ فما اقتضاه ظاهر كلام الآمدى فى " أبكار الأفكار " والغزالى فى " الإحياء " وغيره من أن الخلاف حتى فى نبينا ﷺ لا يعول عليه ثم كلامه فى الإحياء مؤذن بتفضيل الملائكة على الأنبياء وصرحوا بأن ذلك مذهبه وزعم بعضهم أن الشيخ الأكبر رجع عن ما فى الفصوص والفتوحات من تفضيل الملأ الأعلى من الملائكة على أعالى البشر وانظر هل يصح ذلك عنه فإن الفصوص والفتوحات من أواخر ما ألف ومما ذكر هذا الرجوع بل حكم بصحته عنه الشيخ عبد الرحمن العيدروس فى شرحه لصلاة أبى الفتيان سيدى أحمد البدوى فإنه لما قرر فيه أفضليته ﷺ على الملائكة وغيرهم قال ما نصه فإن قلت

إنه قد صح عن الشيخ محيى الدين بن عربى قدس سره وهو من أجلاء أهل الكشف أنه قال خواص الملك أفضل من خواص البشر وهذا خلاف ما قررت فالجواب صحيح صح عنه هذا ولكنه قد صح عنه الرجوع عنه والذهاب إلى ما قررناه وحينئذ فلا إشكال وكذلك قد صرح فى الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة من الفتوحات المكية بأن نبينا ﷺ أفضل من الملائكة وسائر الرسل وسكت عما عداه وبالجملة فالذى عليه أسلافنا الجامعون بين الشريعة والطريقة [٣٢٧] والحقيقة السادة الأشراف بنو علوى وخلاصتهم العيدروسيون نفع الله بهم هو تفضيل خواص البشر على خواص الملك مع عدم إنكار رأى أنه يوجد فى المفضول ميزة أو مزايا ليست توجد فى الفاضل وأجمعوا على تفضيله ﷺ على جميع الخلق انتهى منه بلفظه.

وإذا علمت هذا فالكلام المذكور وهو قوله وكم ذاكر لله تعالى إلى آخره يتعين تأويله كما يقال معناه وكم ذاكر لله تعالى ذكره فى ملأ أنا فيهم ببشريتى ومحمديتى فذكره الله فى ملأ خير من ذلك الملأ الذى أنا فيهم لوجودى فيه بروحانيتى وأحمديتى والحاصل أن كلام الشيخ الأكبر هذا وأجوبة النبى ﷺ له، اعتبر فيها أن من جملة الملأ الأعلى الروح الأعظم الذى هو حقيقته ﷺ وبهذا الاعتبار يزول إشكاله والله أعلم.

وفى ... فمن تكلم على آية ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ [البقرة:٣٠] الآية أنها تدل على شرف الإنسان وميزته وفضله على الملائكة وأنه مناط الخلافة الكبرى عن الله تعالى لأن علوم هذه الخليفة وكمالاته فاقت علوم الملائكة وكمالاتهم وعبارة أبى السعود فى تفسيره فى الكلام عليها قالوا فى الآية الكريمة دلالة على شرف الإنسان وميزة العلم وفضله على العبادة وإن ذلك هو المناط للخلافة انتهى.

وفى الجامع لأبى المشرفى نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى قال وأما أمر الله للملائكة بالسجود فهو إشارة إلى إظهار علو رتبة آدم على جميع العوالم [٣٢٨] وخصوصيته عند الله من بينهم بما لا غاية له من عناية الحق به ومحبته له وتعظيمه إياه وإجلاله له ما لم يعط غيره من المخلوقات شيئا من ذلك وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ إلى قوله ﴿ تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء:٧٠].

وفى " الجواهر والدرر " ما نصه قلت لسيدى على الخواص ﷺ فهل أعطى أحد من الملائكة التصرف بكن فقال ﷺ إنما ذلك خاص بالإنسان لما انطوى عليه من الخلافة والنيابة فى العالم انتهى.

وفى " الفتوحات " فى الباب الحادى والستين وثلاثمائة ما نصه ولم يرد نص عن الله تعالى ولا عن رسوله ﷺ فى مخلوق أنه أعطى كن سوى الإنسان خاصة انتهى المراد منه.

وقد قيل فى الحديث السابق وهو إن الله خلق آدم أو ابن آدم على صورته أن المراد بالصورة فيه الشأن والأمر والحكم أى أنه خلقه على شأنه وأمره وحكمه من الأمر والنهى والتولية والعزل والأخذ والسماح والإعطاء والمنع والرحمة والانتقام والإعزاز والإذلال والتصرف والحكم فى الأشياء كلها بحكم مولاه وخالقه وقيل المراد بها مجموع صفاته تعالى وأسمائه وأفعاله وأحكامه يعنى خلقه على شبه أوصافه وسماه بمثل أسمائه وأدرج أفعاله تحت أفعاله وحكمه فى جميع مخلوقاته يفعل فيهم ما أراد ويحكم بالمراد عن إرادة وأمر من له الإرادة والأمر سبحانه وذلك أنه تعالى جعله خليفة والخلافة تقتضى أن يكون المستخلف [٣٢٩] بالفتح متصفا بأوصاف مستخلفه بالكسر جامعا لا يحتاج إليه منها فى استخلافه فسمى باسمه أو بأسمائه سالكا مسلكه فى أفعاله ظاهراً فى من هو خليفة عليهم بأحكام من استخلفه وصورته فى التصرف والأمر والنهى وغير ذلك وإلا فلا تتم خلافته وفى " الفتوحات المكية " فى أول الباب السادس ما نصه فكما أن الإنسان عالم صغير من طريق الجسم كذلك هو أيضاً الآن حقير من طريق الحدوث وصح له التأله لأنه خليفة الله فى العالم والعالم مسخر له مألوه كما أن الإنسان مألوه لله تعالى انتهى منه بلفظه.

وفيها أيضاً فى الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة فى معرفة منـــزل جثوالشريعة بين يدى الحقيقة ما نصه فهذا المنـــزل يعطيك شرف الإنسان على جميع من فى السماوات ومن فى الأرض وأنه العين المقصودة للحق من الموجودات لأنه الذى اتخذه الله مجلى وأعنى به الإنسان الكامل إلى أن قال فخلق الحق سبحانه وتعالى الإنسان الكامل على

صورته وعرف الملائكة بمرتبته وأخبرهم بأنه الخليفة فى العالم وأن مسكنه الأرض وجعلها له دارا لأنه منها خلقه وشغل الملأ الأعلى به سماء وأرضا فسخر له من فى السماوات ومن فى الأرض جميعا منه أى من أجله واحتجب الحق إذ لا حكم للنائب بظهور من استخلفه واحتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار إلى أن قال أيضاً وقد عرفوا يعنى الملائكة أن الأرض موضع الخليفة وأمروا بالسجود فطأطؤا عن أمر الله [٣٣٠] ناظرين مكان هذا الخليفة حتى يكون الشهود لأن الله أمرهم بالسجود له ولم يزل حكم السجود فيهم لآدم الكامل أبداً دائما انتهى المراد منه بلفظه.

وقال الجامى فى شرحه نقش الفصوص فى الكلام على الفص الآدمى لدى قوله ولذلك يعنى لكون آدم له جهة ربوبية بها يناسب الحق وجهة عبودية بها يناسب الخلق جعله خليفة وأبناءه خلفاء ما نصه وكذلك جعل سبحانه أبناءه كاملين خلفاء فى العالم كله وأعطى الكاملين فيما يتعلق بهم فإن لكل فرد من الأفراد الإنسانية نصيب من هذه الخلافة يدبر به ما يتعلق به كتدبير السلطان لملكه وصاحب المنــزل لمنــزله وأدناه تدبير الشخص لبدنه والخلافة العظمى إنما هى للإنسان الكامل انتهى.

وفى جنى ... فى الفصل السادس من الباب الخامس نقلاً عن شيخه التيجانى فى الكلام على آية ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠] قال ما نصه معناه ينوب عنه فى مملكته سبحانه وتعالى فحيثما كان الرب إلها كان هو عليه خليفة فى الأحكام فى جميع المملكة قال الجيلى يعنى الشيخ عبد القادر ﷺ فى هذا المعنى:

وأمــرى بأمر الله إن قلت كن يكن وكــل بأمــر الله فــاحكم بقدرتى

وكذلك قول الشيخ زروق ﷺ:

وملكـــت أرض الغرب طراً بأسرها وكـــل بـــلاد الشرق فى طى قبضتى

وكقول غيره:

يـــا ريـــح اســـكنى علـــيهم بإذنى

معنى ذلك أنه خليفة [٣٣١] استخلفه الحق على مملكته تفويضا عاما أن يفعل فى المملكة كل ما يريد ويملكه الله كلمة التكوين متى قال لشيء كن كان من حينه وهذا

من حيث بروزه بالصورة الإلهية المعبر عنها بالخلافة العظمى فلا يستعصى عليه شيء من الوجود، قال سيدنا على ﷺ أنا مبرق البروق ومرعد الرعود ومحرك الأفلاك ومديرها يريد بها أنه خليفة الله فى أرضه فى جميع مملكته انتهى.

قلت كلام الأولياء من هذا النمط كثير وإخبارهم عن أنفسهم بما ملكهم الله تعالى عن التصرف فى العالم شهير وسبب ذلك ما خصوا به من الخلافة العظمى وما منحهم الله به من التخلق بما له من الأسماء وسريانهم فى جميع الموجودات كسريان الحق فيها وذلك فى السفر الثالث الذى من الحق إلى الحق بالحق وعند هذا السفر يتم كمال الكامل.

وفى " شرح الفصوص " للشيخ داود القيصرى فى الفصل الثامن من الفصول التى ذكرها فى أوائلها أن سيدنا على ﷺ قال فى خطبة كان خطبها للناس أنا نقطة باء بسم الله أنا جنب الله الذى فرطتم فيه وأنا القلم وأنا اللوح المحفوظ وأنا العرش وأنا الكرسى وأنا السماوات السبع والأرض قال إلى أن صحا فى أثناء الخطبة وارتفع عنه حكم تجلى الوحدة ورجع إلى عالم البشرية وتجلى له الحق بحكم الكثرة فنــزع معتذرا فأقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت أحكام الأسماء الإلهية.

وقد ذكر أيضاً الشعرانى فى كتاب الجواهر [٣٣٢] والدرر له قائلا بلغنا أن الإمام عليا ﷺ كان يقول فى خطبته على رؤس الأشهاد أنا نقطة بسم الله إلى آخر ما ذكره عنه القيصرى بنحوه قال فإذا صحا وارتفع عنه تجلى الوحدة فى أثناء الخطبة يعتذر ويقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الأحكام الإلهية.

وقد كتب الشيخ الولى الجليل سيدى أبو الغيث بن جميل اليمنى وهو الملقب بشمس الشموس ووفاته سنة إحدى وخمسين وستمائة قال:

إنى تجــلى لى القــديم باسمــه ... فاشــتقت الأسمــاء مــن أسمــائى

وحــبانى الملــك المهــيمن خلعــة ... فــالأرض أرضــى والســماء سمائى

كتبه جواباً عما كتب به إليه الشيخ العارف بالله أحمد بن علوان العوفى وهو أما بعد فإنى أخبرك شعراً:

جــزت الصفوف إلى الحروف إلى ــــتى انتهيــت مراتــب الإبــداع
لا باســم ليلى أستعين على السرى كــلا ولا لــبنى تقــل شــراعى

ومعنى هذا الكلام جزت صفوف الأولياء أو الملائكة إلى محل علم الحروف ثم إلى محل علم الهجاء حتى انتهيت إلى مراتب التكوين ولم أستعن على سرايا باسم ليلى ولا على حمل شراعى وقلع مركبى بلبنى لاستقلالى بالأمر واستبدادى بالتصرف فأجابه أبو الغوث بكتاب يقول فيه أما بعد فإنى أخبرك أنى تجلى لى القديم باسمه إلى آخر البيتين المذكورين فأشار إلى ما هو أعلى من حصول مرتبة الخلافة العظمى له ويشير إلى ذلك أيضاً قوله وقد قال [٣٣٣] له الشيخ الجليل الولى الكبير العارف محمد بن أبى بكر الحكمى اليمنى ﷺ ما حالك أصبحت أحيى وأميت وأفعل ما أريد وأنا على كل شيء قدير وذكر الإمام القدوة عبد الله بن أسعد عفيف الدين اليمنى اليافعى فى روض الرياحين فى الحكاية الثامنة والأربعين بعد الأربعمائة عن الشيخ الولى العارف المعروف بالأهدل وهو شيخ أبى الغيث بن جميل المذكور أنه قال لأبى الغيث هذا فى شأن العارفين الشهيرين المتقدمين الشيخ والفقيه صاحبى مواجد هذان فى مقام التولية والعذل يوليان ويعذلان بإذن الله تعالى وسوف أرثهما أنا وترثنى أنت قال اليافعى قلت يعنى إنه فوض إليهما فى التصرف فى المملكة بعد أن وفق لموافقة مراد الحق عز وجل قال وقد بلغنى أنهما سمعاً خطاباً من قبل الحق عز وجل وهو يقول لهما إذا أردتما أن تفعلا شيئاً فافعلا ولا تسألانى فإنى أكره أن أرى ذل السؤال فى وجوهكما.

وتواتر باليمن عن الشيخ العارف بحر المعارف ذى الكرامات العظيمة والمناقب الكريمة إمام الفقهاء والصوفية فى وقته أبو الفداء إسماعيل بن محمد اليمنى الشهير بالحضرمى نفع الله به أنه قال من قبل قدمى دخل الجنة فلم يزل يقبل قدمه كل زائر وإن جلت مراتبه ومن كراماته أنه كان داخلا لزبيد وقد دنت الشمس للغروب فقال لها لا تغربى حتى ندخلها فوقفت ساعة طويلة فلما دخل أشار إليها فإذا الدنيا مظلمة والنجوم [٣٣٤] ظاهرة ظهوراً تاماً.

وحكى أن الشيخ عبد الله باعباذ اليمنى سأل السيد الشريف علوى بن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن على العلوى الحسينى عن ما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده المذكور فقال ظهر لى ثلاث أحيى وأميت بإذن الله تعالى وأقول للشيء كن فيكون وأعرف ما سيكون فقال الشيخ عبد الله نرجوا منك أكثر من هذا نقله السيد شيخ بن محمد الجفرى العلوى فى " كنـــز البراهين ".

ونقل غير واحد عن الشيخ الأكبر الغوث الأشهر مولانا عبد القادر الجيلانى ﷺ أنه كان يقول أنا من وراء ما يعرفه الخلق أنا من وراء عقوهم كل رجال الحق لما وصلوا إلى القدر وجدوه مصمتا فوقفوا [1] إلا أنا لما وصلت إليه فتحت لى فيه رزونة فركبت فيها فدافعت [2] أقدار الحق بالحق للحق فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له.

وكان ﷺ ممن يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ويمشى فى الهواء على رءوس الأشهاد فى مجلسه ويقول أنا شيخ الملائكة والجن والإنس ويقول بينى وبين الخلق بعد ما بين السماء والأرض فلا تقيسونى بأحد ولا تقيسوا على أحداً ويقول طوبى لمن رآنى أو رأى من رآنى إلى سبع وأنا حسرة من لم يرن ويقول يا أهل الأرض شرقاً وغرباً ويا أهل السماء تعالوا تعلموا منى قال الله ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٨] ويقول ما تطلع الشمس حتى تأتينى وتسلم على وكذا السنة والشهر والجمعة والأيام وتخبرنى بما يجرى فيها وما يكون [٣٣٥] ويحدث وعزة ربى إن السعداء والأشقياء ليعرضون على وأنا لؤلؤ عينى فى اللوح المحفوظ وأنا غائص فى بحار علم الله ومشاهدته أنا حجة الله عليكم جميعكم أنا نائب رسول الله ﷺ ووارثه فى الأرض ويقول إذا سألتم الله فاسألوه بى ويقول من استغاث بى فى كربة كشفت عنه ومن نادانى باسمى فى شدة فرجت عنه ومن توسل بى إلى الله فى حاجة قضيت حاجته

---

(١) فى نسخة فأمسكوا.

(٢) فى نسخة فنازعت.

ويقول أعطيت سجلاً مد البصر فيه أسماء أصحابى ومريدى إلى يوم القيامة وقيل لى قد وهبوا لك وسألت مالكا خازن النار هل عندك أحد من أصحابى فقال لا.

قلت ومثل قوله إن الشمس لا تطلع حتى تأتيه إلى آخره ما نقل عن الشيخ أبى يعزى أبى النور المغربى من أنه كان إذا دخل شهر رمضان جاءه يعلمه بما قبل فيه من العمل وممن قبل ويقبل ذكر ذلك فى الفتوحات ومن كلام الشيخ عبد القادر فى تائيته:

أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة ... على سائر الأقطاب صولى وحرمتى

توسل بنا فى كل هول وشدة ... أغيثك فى الأشياء طرا بهمتى

ومن كلامه أيضاً:

ما فى الصبابة منهل مستعذب ... إلا ولى فيه الألذ الأطيب

أوفى الوصال [1] مكانة مخصوصة ... إلا ومنزلتى أعز وأقرب

وهبت لى الأيام رونق صفوها ... فصفت مناهلها وطاب المشرب

وغدوت مخطوبا لكل كريمة ... لا يهتدى منها اللبيب ويخطب

أنا من رجال لا يخاب جليسهم [2] ... ريب الزمان ولا يرى ما يرهب

[٣٣٦] قوم لهم فى كل مجد رتبة ... علوية وبكل جيش موكب

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها ... طربا وفى العلياء باز أشهب

أضحت جيوش الحب تحت مشيأتى ... طوعا ومهما رمته لا يعذب

لم يبق لى أمل ولا أمنية ... أرجو ولا موعودة أترقب

ما زلت أرتع فى ميادين الرضا ... حتى بلغت مكانة لا توهب

أضحى الزمان كحلة مرقومة ... تزهو ونحن لها المذهب الطراز

غربت شموس الأولين وشمسنا ... أبدا على أفق العلى لا تغرب

---

(١) فى نسخة الزمان.

(٢) فى نسخة نزيلهم.

ومما هو منقول من كلام الشيخ العارف القطب سيدى إبراهيم بن أبى المجد الدسوقى الحسينى الشافعى أنا موسى الكليم فى مناجاته أنا على فى حملاته أنا كل ولى فى الأرض خليفة، بيدى ألبس منهم من شئت أنا فى السماء شاهدت ربى وعلى الكرسى خاطبته أنا بيدى أبواب النار إن أغلقتها لأغلقتها وبيدى جنة الفردوس ان فتحتها فتحتها من زارنى أدخلته جنة الفردوس وقال المناوى فى طبقاته وكان يتكلم بجميع اللغات من عجمى وسريانى وغيرهما ويعرف لغات الوحش والطير وذكر عنه أنه صام فى المهد وأنه رأى فى اللوح المحفوظ وهو ابن سبع سنين وأنه فك طلسم السبع المثانى وأن قدمه لم تسعه الدنيا وأنه ينقل اسم مريده من الشقاوة إلى السعادة وإن الدنيا جعلت فى يده كخاتم وإنه جاوز سدرة المنتهى وجالت نفسه فى الملكوت ووقف بين يدى الله وفتح له من عين العناية قدر خرم إبرة وقال وليت القطبانية [٣٣٧] فرأيت المشرقين وما تحت النجوم وصافحت جبريل انتهى.

وفيها أيضاً عنه قال من كمل سلوكه أخذ العلوم المكنونة فى ألواح المعانى ففهم رموزها وعرف كنوزها وفك طلسمها واطلع على العلوم المودعة فى النقط والشكل وما كتب على ورق الشجر والماء والهواء والبحر والبر وما كتب فى صفحة قبة السماء وما فى جباه الثقلين مما يقع لهم دنيا وأخرى وعلى ما هو مكتوب وبلا كتابة من كل ما فوق الفوق وتحت التحت انتهى.

ومن نظمه:

سقانى محبوبى بكأس المحبة	فتهت عن العشاق سكرا بخلوتى
ولاح لنا نور الجلالة لو أضاء	لهم الجبال الراسيات لدكت
وكنت أنا الساقى لمن كان حاضرا	أطوف عليهم كسرة بعد كرة
ونادمنى سرا بسر وحكمة	وإن رسول الله شيخى وقدوتى
وعاهدنى عهدا حفظت لعهده	وعشت وصيفا صادقا بمحبتى
وحكمنى فى سائر الأرض كلها	وفى الجن والأشباح والمرضية
وفى أرض صين الصين والشرق كله	لأقصى بلاد الله صحت ولايتى

أنـا الحـرف لا أقـرأ لكل مناظر وكـل الـورى عن أمر ربى رعيت

وكـم عـالم قد جاءنا وهو منكر فصـار بفضـل الله من أهل خرقتى

ومـا قلـت هذا القول فخرا وإنما أتـى الإذن كـى لا يجهلون طريقتى

وله تائية أخرى أطول من هذه وقد ذكرهما معا الشعراني فى طبقاته فى ترجمته وذكرهما أيضاً هو فى كتاب " الجواهر " له وهو مجلد ضخم فيه عجائب.

وفى التائية للقطب الشاذلى القادرى أبى العباس [٣٣٨] أحمد زروق الفاسى دفين مسراتا من بلاد الجريد:

وقلـدت سيف العز فى مجمع الوغى وصـرت إمـام الوقت صاحب رفعة

وملكـت أرض المغرب طرا بأسرها وكـل بـلاد الشرق فى طى قبضتى

فملكنـيها بعـض من كان مالكا وخلفـنى فـيها بأحسـن سـيرتى

فـأرفع قـدر الأخفـض رتـبة لأرفـع مقـدار وأخفـض رتـبة

وأعـزل قومـا ثم أولى سـواهم وأعـلى مقـام الـبعض فوق المنصة

وأبسـط أرواحـا وأقـبض أنفسا وأحـيى قلوبـا بعـد موت القطيعة

وأجـبر مكسـورا وأشـهرخامل وأرفـع موضـوعا بـأرفع همـة

وأقهـر جـبارا وأضـحد ظالمـا وأنصـر مظلومـا بسلطان سطوتى

وألهمـت أسـرارا وأعطيت حكمة وحـزت مقامـات العـلا المستنيرة

أنـا المـريدى جـامع لشـتاته إذا مسـه جـور الـزمان بنكـبة

فإن كنت فى ضيق وكرب ووحشة وقلـب كسـير ثم سـقم وفاقـة

توجـه لغـرب ثم أسـرع بخطوة ونـاد أيـا زروق ائـتى بسـرعة

فكـم كـربة تجـلى إذا ذكر اسمنا وكـم طـرفة تجـنى بإفراد صحبة

وفى " الإنسان الكامل للجيلى " فى الباب السابع والثلاثين فى الزبور بعد ما ذكر أن سيدنا داود عليه السلام كان يفهم أحاديث الطيور على اختلاف أصواتها ويعلم المعانى التى تدل عليها تلك الأصوات بطريق الكشف الإلهى وذلك قول ولده سليمان

﴿ عَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل آية:١٦]وأن سائر الحيوانات كانت إذا برز منها صوت علم داود منها ما تضمنه ذلك الصوت علماً كشفيا [٣٣٩] إلهيا وكان إذا أراد أن يكلم أحداً منها كلمها إن شاء باللغة السريانية وإن شاء بغيرها من أصوات الحيوانات فيفهمه ذلك الحيوان للقوة الإلهية التى جعلها الله لداود فى كلامه ما نصه: وهذا الأمر الذى جعله الله لداود وسليمان عليهما السلام غير محصور فيهما ولا مقصور عليهما وإنما هو أمر عام فى جميع الخلفاء أعنى الخلافة الكبرى وما اختص داود وسليمان إلا بظهور ذلك والتحدى به وإلا فكل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف فى جميع المملكة الوجودية ويعلم كل واحد منهم ما اختلج فى الليل والنهار فضلا عن لغات الطيور.

وقد قال الشبلى رحمه الله لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء فى ليلة ظلماء ولم أشعر بها لقلت إنى مخدوع أو ممكور بى.

وقال غيره لا أقول ولم أشعر بها لأنه لا يتهيأ لها أن تدب إلا بقوتى وأنا محركها فكيف أقول لا أشعر بها وأنا محركها انتهى المراد منه بلفظه.

وكلام الأولياء من هذا النمط لا ينحصر وإنما ذكرت منه ما حضرنى فى الوقت وهو مشهور فى كتب القوم معروف عندهم مشير إلى ما امتن به الحق عليهم من التمكن من العوالم والتصرف فيها، وقد قال فى الإبريز فى الباب الرابع فى ذكر ديوان الصالحين فى الكلام على أهل الديوان ما نصه قال ﷺ يعنى شيخه مولانا عبد العزيز الدباغ ولهم يعنى لأهل الديوان التصرف فى العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى فى الحجب السبعين وحتى فى عالم [٣٤٠] الرقا بالراء وتشديد القاف وهو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفى أهله وفى خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم فلا يهجس فى خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف رضى الله عنهم أجمعين وإذا كان هذا فى عالم الرقا الذى هو فوق الحجب السبعين التى هى فوق العرش فما ظنك بغيره من العوالم.

قال صاحب الإبريز قلت ولقد قبض أصحاب المخزن ولدا لبعض أصحابي وكان المخزن يطلبه وهو متخوف منه فلما قبضوه أيقن أبوه بالهلاك فجاءني فذهبت للشيخ ﷺ فرغبته وكلمته فيه فقال ﷺ إن كنت تظن أن القط يأكل الفأر بغير إذن فلان يعني نفسه فما ظنك بشئ فلا تخف على الولد وقل لأبيه يطيب خاطره فكان الأمر كذلك فإنه لما بلغ إلى المخزن أطلقه بلا سبب وكان ﷺ يقول إذا أردت قضاء حاجة لك أو لغيرك فاذكرها لي ولا تـــزد أي ولا تحرص في قضائها وتهتم بها فإن ذلك هو سبب عدم قضائها فكان الأمر كذلك فكنا إذا عرضت حاجة وذكرناها له وسكتنا جاء فيها الفرج سريعا وإذا وقع لنا بها اهتمام وعناية انغلق بابها والله أعلم.

وفيه أيضاً بعد هذا بيسير ما نصه قال ﷺ كل ما أعطيه سليمان في ملكه عليه السلام وما سخر لداود وأكرم به عيسى عليه السلام أعطاه الله تعالى وزيادة لأهل التصرف من أمة النبي ﷺ فإن الله تعالى سخر لهم الجن والإنس [٣٤١] والشياطين والريح والملائكة بل وجميع ما في العوالم بأسرها ومكنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ولكنه أمر غيبي مستور لا يظهر إلى الخلق لئلا ينقطع إليهم فينسوا ربهم عز وجل وإنما حصل ذلك لأهل التصرف ببركة النبي ﷺ فكل ذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلام انتهى منه بلفظه.

وفي العهود المحمدية في عهد الاستعداد لوقوف عرفه ما نصه وكان سيدي علي الخواص ﷺ يرسل أصحاب الحوائج إلى شخص يبيع الفجل على باب جامع الأزهر فيقضيها لهم في الحال وجاء مرة شخص وفي حلقه علقة مثل السمكة وقال له اذهب إلى الرجل الذي يبيع الفجل على باب جامع الأزهر وأعطه جديدا وخذ منه حزمة فجل فكلها ففعل الرجل فأكل منه ورقة واحدة فعطس فطلعت العلقة من حلقه.

وأخبرنا الشيخ أن هذا الرجل كان لا يأكل أحد من فجله وببدنه مرض من جزام أو برص أو غيرهما إلا شفي.

وسمعته ﷺ يقول إن الله تعالى أعطى أرباب الأحوال في هذه الدار التقديم والتأخير والولاية والعزل والقهر والتحكم على الله الذي هو الإدلال عليه ونفوذ الأمر في كل

ما أرادوه من الأمور فإياك والإنكار على أحد إلا بعد التوجه إلى رسول الله ﷺ ليحفظكم من ذلك الرجل وإلا فربما مقتكم فهلكتم وسمعت سيدى عبد القادر الدسطوطى يقول أرباب الأحوال مع الله كحالهم قبل خلق الخلق [٣٤٢] وإنـــزال الشرائع وفى الفتوحات فى الباب الخامس والثمانين وأربعمائة عن أبى العباس السبتى بمراكش من بلاد المغرب أنه كان يمرض ويشفى ويحيى ويميت ويولى ويعزل ويفعل ما يريد كل ذلك بالصدقة ومن كلام الشيخ أبى العباس المرسى قال لو كشف عن حقيقة الولى لعبد يعنى لأنه انسلخ من جميع الأوصاف البشرية كما تنسلخ الشاة من جلدها ولبس خلعة الأوصاف إلهية فصارت أوصافه من أوصاف الله ونعوته من نعوته فإذا انكشف حاله للخلق وجدوا أوصافاً إلاهية محضة فعبدوه من دون الله قال بعض والولى فى كلامه هو الإنسان الكامل ومن كلامه أيضاً إن لله عبادا محق أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أسراره ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه وهم الذين غرقوا فى بحار الذات وطيار الصفات.

– مقام الجمع بين القربين –

قلت وإليهم الإشارة بقوله فى الحديث القدسى فى بعض رواياته فإذا أحببته كنته وهو مقام الجمع بين القربين قرب الفرائض وقرب النوافل والأول عبارة عن فناء العبد بالكلية عن شعور جميع الموجودات بحيث عن نفسه حتى لم يبق فى نظره إلا وجود الحق سبحانه وهو معنى فناء العبد فى الله وهو ثمرة الفرائض والثانى عبارة عن زوال الصفة البشرية وظهور صفاته تعالى عليه بأن يحيى ويميت بإذنه تعالى ويسمع ويبصر بجميع جسده لا من الأذن والعين فقط وكذا يسمع المسموعات من بعيد ويبصر المبصرات من بعيد وعلى هذا القياس وهو معنى فناء [٣٤٣] الصفات فى صفات الله تعالى وهو ثمرة النوافل والجامع بينهما هو الخليفة الكامل والقطب الواصل أو من يكون فى معناه من الأولياء المقاربين له فى الدرجة.

وقد قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ كنت يوما بين يدى أستاذى يعنى الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنهما فقلت فى نفسى ليت شعرى هل يعلم الشيخ اسم الله الأعظم؟ فقال ولد الشيخ وهو فى آخر المكان الذى أنا فيه يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم الشأن من يكون هو عين الاسم فقال الشيخ من صدر المكان أصاب وتفرس فيك ولدى قيل وكان الولد المذكور من ثلاث سنين ذكره ابن زكرى فى الإلمام والإعلام لدى تعريفه بأبى الحسن ونقل غير واحد من كلام الشيخ مولانا عبد القادر الجيلانى ﷺ قال اسم الله الأعظم هو الله وإنما يستجاب لك إذا قلت الله وليس فى قلبك غيره فاسم الله من العارف أى فى إيجاد الأفعال ككن من الله عز وجل وفى مطالع المسرات وتحفة الأخيار كلاهما لسيدى المهدى الفاسى لدى قول الشيخ الجزولى ﷺ فى دلائله وأسألك بالاسم الذى وضعته على الليل فأظلم وعلى النهار فاستنار إلى آخره نقلاً عن قريبه العارف بالله سيدى عبد الرحمن بن محمد الفاسى فى حاشيته على الدلائل قال ما نصه قوله وبالاسم الذى وضعته على الليل فأظلم إلى آخره هو قوله للشيء إذا أراده كن فيكون وله عباد إن تحققوا بأسمائه تكونت لهم الأشياء كما أخبر الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام بقوله ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود آية: ٤١] [٣٤٤] وكما أخبر عن عيسى عليه السلام فى إحيائه الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص وكذا قوله فى حق نبينا ﷺ ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال:١٧] إلى غير ذلك مما ورد قرآنا وسنة وهو جار فى أتباع الرسل أيضاً كقصة آصف والعلاء بن الحضرمى وغيرهما مما لا يعد كثرة والله أعلم.

وفى تفسير الفاتحة للإمام أبى العباس أحمد الإقليشى قال وهيب بن الورد وكان من الأبدال لو قال بسم الله صادق على جبل لزال وإلى هذا أشار بعض أهل الإشارات فى قوله بسم الله منك بمنـــزلة كن منه ومعناه أنك إذا قلت موقنا كون الله لك حاجتك وأعطاك طلبتك دون تأخير انتهى.

وعد الحاتمى من الكرامات أسماء التكوين إما بمعرفة الأسماء وإما بمجرد الصدق لأن بسم الله منك حينئذ بمنـــزلة كن منه قال كذا أشار إليه بعض العارفين من أهل التكوين وهو صحيح انتهى منهما وكله كلام العارف المذكور فى حاشيته المذكورة بلفظه زاد فى تحفة الأخيار بعده ومثل هذا ما أخرجه البيهقى وابن السنى وأبو عبيد وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود ﷺ أنه قرأ فى أذن مبتلى فأفاق فقال رسول الله ﷺ ما قرأت فى أذنه قال ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً** ﴾ [المؤمنون:١١٥] حتى ختم السورة فقال رسول الله ﷺ لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال انتهى.

وفى الفتوحات فى الباب التاسع والخمسين وخمسمائة قال الحلاج يعنى مقالة معتبرة صادقة وإن لم يكن من أهل الاحتجاج [٣٤٥] يعنى ممن يحتج به لأنه سكران والسكران لا يحتج بكلامه لكن إذا قبله أهل الصحو كما فى هذا الكلام قيل باسم الله منك بمنـــزلة كن منه فخذ التكوين عنه فمن تقوى جأشه واستدار عرشه وتمهد فرشه كرسول الله ﷺ قال كن ولم يبسمل ولم فكان يحوقل انتهى المراد منه.

ويعنى أنه إذا لما كان الولى فأعلى بالله لتحقق ذاته بمعانى أسماء الله وصفاته كان بسم الله منه بمنـــزلة كن من الله إذا قارن ذلك حركة إرادية بصدور ما يريده فى الخارج كما أن كلمة كن من الحق تعالى مقارنة لإرادته ما يكون على الوجه المخصوص المراد والعارف المتمكن فى المعرفة القوى الجأش والقلب بالمكابدة المتمهد فى فراش المشاهدة يأخذ علم كيفية التكوين عن الله المكون باستوائه بذاته على عرش أسمائه وصفاته فيظهر أثر باطنه على ظاهره فيقول للشيء كن فيكون من غير احتياج إلى بسملة ولا إلى حوقلة بل لا يحتاج إلى نطق أصلاً لأن الأشياء تتكون همته وعلى حسب إرادته لكونه نائباً عن الله تعالى وخليفة عنه فى خليقته ولذا قالوا إن ذات العارف تبلغ أن تكون هى العاملة فى الأشياء بلا دعاء ولا ذكر حتى أنه لو اجتمع عليه ألف رجل لقتله فى محل ليس فيه غيره ثم تحرك ضميره لعجزهم عجزوا عنه فى الحين وإن تحرك ضميره لتفريق شملهم تفرقوا شذر أو لوقوع القتال بينهم وقع فى الحين أو لنـــزول العلة المعروفة بين العامة عندنا بالنقطة بهم نـــزلت عليهم فى الحين [٣٤٦]

وتعطلت الحركة منهم دون أن يذكر الله تعالى أو يستعيذ به لأنه يفعل الأشياء بالله ولو تحرك عليه العطش الشديد المهلك وكان فى برية قفر وشاء فى ضميره أن ينـزل عليه المطر فى الحين بلا دعاء نـزل ولو شاء أن يتفجر الماء فى الأرض تفجر من حينه فى أسرع من طرفة عين لكن إذا وقع للعارف هذا لم يتركه دائما بل إذا توضأ أو شرب أو قضى حاجته طمسه فى الحين وربما اقتضى الحال إبقاءه فأبقاه كما وقع لغير واحد كالعارف بالله القطب أبى محمد سيدى عبد الله الخياط الزرهونى الشريف الحسينى وهو دفين جبل الخيايطة بأرض زرهون القريبة من فاس فى عين العكاز المشهورة به الموجودة إلى الآن وقد زرناها وتبركنا بمائها وشربنا فالحمد لله على ذلك ولكن ذلك نادر والحاصل أى شيء أراده العارف فى ضميره يقع فى الحال بلا تأخير وفى الفتوحات قبيل ما تقدم عنهما وذلك بنحو خمسة أوراق ما نصه: وأما قول السائل ما معنى قول الشيخ عبد القادر الجيلانى ﷺ وأمرى بأمر الله إن قلت كن يكن، وقول الشيخ زروق ﷺ فى طى قبضتى، وقول بعضهم:

يا ريح اسكنى عليهم بإذنى ...

إلى غير ذلك من أقاويل السادات رضى الله عنهم مثل هذا فقال يعنى شيخه ﷺ معنى ذلك أن الله تعالى ملكهم الخلافة العظمى واستخلفهم الحق على مملكته تفويضا عاما أن يفعلوا فى المملكة كل ما يريدون ويملكهم الله تعالى كلمة التكوين متى قالوا للشيء كن [٣٤٧] كان من حينه وهذا من حيث بروزهم الصورة الإلهية المعبر عنها بالخلافة العظمى فلا يستعصى عليهم شيء من الوجود قال على بن أبى طالب ﷺ أنا مبرق البروق ومرعد الرعود ومحرك الأفلاك ومديرها يريد بذلك أنه خليفة الله فى أرضه فى جميع مملكته انتهى.

وفى قوله فى الآية الشريفة السابقة ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:١٦٥] إشارة إلى تعدد الخلفاء فى الأرض ووجودهم فيها واحداً بعد واحد لا دفعة واحدة لأنه لا يجتمع خليفتان باطنان فى وقت واحد أبداً وقال فى الفتوحات فى الباب الخامس والخمسين ومائتين لا يكون فى الزمان إلا واحد يسمى الغوث والقطب

وهو الذى ينفرد به الحق ويخلو به دون خلقه فإذا فارق هيكله المنور انفرد بشخص آخر لا ينفرد بشخصين فى زمان واحد قال وهذه الخلوة الإلهية من علم الأسرار التى لا تــنزاع ولا تفشى وما ذكرناه وسميناها إلا لتنبيه قلوب الغافلين عنها بل الجاهلين بها فإنى ما رأيت ذكرها أحد قبلى ولا بلغنى مع علمى بأن خاصة أهل الله بها عالمون انظر بقيته.

قلت وقد ذكرها أيضاً ولكن بعده الشيخ سيدى على الخواص قال الشعرانى فى طبقاته فى ترجمته وكان ﷺ يقول الخلوة بالله وحدة لا تكون إلا للقطب الغوث فى كل زمان فإذا فارق هيكله المنور بالانتقال إلى الدار الآخرة انفرد الحق تعالى وتخلى بشخص آخر مكانه لا ينفرد بشخصين قط فى زمان واحد قال وهذه الخلوة وردت فى الكتاب [٣٤٨] والسنة ولكن لا يشعر بها إلا أهل الله خاصة قال الشعرانى قلت ورأيت هذا بعينه فى كلام الشيخ محيى الدين أيضاً قال يعنى شيخه الخواص وأما خلوة غير القطب فلا تكون بالله وإنما هى لمزيد الاستعداد والبعد عمن يشغله عن الطاعات من المخلوقين لا غير انتهى وقد نقله أيضاً فى الروضة العرشية وفى كتاب التدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانية بعد ما ذكر فيه أن الله سبحانه قد منع أن يوجد من الخلائف فى زمن واحد اثنان وقرر ذلك ما نصه فإن قيل قد سمعنا الله تعالى يقول ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:١٦٥] وقد قلت إنه واحد شرعا فكيف الجمع؟

فنقول إن سر الخلافة واحد وهو متوارث بتوارث هذه الأشباح فإذا ظهر فى شخص ما دام ذلك الشخص متصفا به من المحال شرعا أن يوجد ذلك السر فى ذلك الزمان بعينه فى شخص آخر وإن ادعاه أحد فهو باطل ودعواه مردودة وهو دجال ذلك الزمان فإذا فقد ذلك الشخص انتقل ذلك السر إلى شخص آخر فانتقل معه اسم الخليفة فلهذا قيل خلائف انتهى منه بلفظه.

ومن جواب للشيخ العارف سيدى أبى بكر بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الرحمن العيدروس العلوى الحسينى ما نصه والمعهود سلفا وخلفا أنه لم يجتمع فى هذه

الأمة قطبان فى وقت واحد ولا يبعد أن يقع ذلك فيمن قبلها لأن القطب فى هذه الأمة قائم مقام نبيها ومقامه ﷺ منـــزه:

مـــنـــزه عـــن شـــريك فى محاسنه ... فجوهـــر الحســـن فـــيه غير منقسم

انتهى.[٣٤٩]

قلت المتبادر من قوله ولا يقع أن يبعد ذلك أنه يعنى به اجتماع القطبين فى وقت واحد فى الأمم السالفة وهذا ممنوع وكلامهم يفيد خلافه وإن الخلافة إنما هى لواحد لا فى هذه الأمة ولا فى ما قبلها من الأمم على أن القطبية الكبرى سيأتى أنها من خصائص هذه الأمة فاعرف ذلك وفى قوله فيها أعنى الآية السابقة ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الأنعام:١٦٥]إشارة إلى تفاوت الخلفاء فى المعارف والعلوم والأسرار والأنوار والدرجات وإن كانت المرتبة واحدة ومن هنا ينقل عن بعض الخلفاء أن الله أعطاه كذا ومنحه كذا مما لم يعطه من قبله أو من بعده وعن بعضهم أن مقامه فوق مقام سيدى فلان من الأقطاب بأربعين درجة مثلا ومن نحوه ما فى المفاخر العلية عن سيدى شمس الدين الحنفى من أن الله تعالى أطلعه على مقام سيدى عبد القادر الجيلانى ومقام سيدى أبى الحسن الشاذلى فوجد الثانى أعلى من الأول ومن نحوه أيضاً ما فى الإبريز نقلاً عن شيخه مولانا عبد العزيز الدباغ قال لو عاش سيدى إبراهيم الدسوقى ﷺ من زمنه إلى زمننا ما أدرك من المقامات ولا ترقى مثل ما ترقى أخوك عبد العزيز يعنى نفسه من أمس إلى اليوم قال والله ما وإنما قاله أخوك افتخاراً قاله تعريفا وتحدثا معكم بالنعمة انتهى.

– مرتبة الخلافة –

وقد ذكر هذه المرتبة أعنى مرتبة الخلافة الباطنية والتصرف فى الكون والتحكم فيه بتحكيم الله جماعة من الصوفية الكبار وذكروا أنها بحسب الأصالة للإنسان وإن رئيسها وكبيرها فى كل زمن [٣٥٠]واحد وهو موضع نظر الله من العالم فى كل زمان ويسمى بالفرد الجامع وبالغوث وبغوث الزمان وبغوث العالم وبالقطب الجامع

وبالقطب الحقيقى وبقطب الأقطاب وبصاحب القطبية الكبرى والعظمى وبالخليفة الكبير والأكبر وبالخليفة الباطن وبعبد الله وبعبد الجامع وبواحد الزمان وبصاحب الزمان وبصاحب الوقت وبعين الزمان إلى غير ذلك.

وهو إنسان كامل فى الحضرتين الإلهية والخلقية منعوت بجميع الأسماء تخلقا وتحققا مرآة الحق ومجلى النعوت المقدسة ومجلى المظاهر الإلهية وصاحب سر القدر وله علم دهر الدهور ومن مراتب الولاية أعلاها والسيادة الكاملة على أهل زمانه سمى قطبا لجمعه جميع المقامات والأحوال ودورانها عليه مأخوذ من القطب وهو الحديدة التى تدور عليها الرحى، منه يستمد الوجود كله أعلاه وأسفله قليله وكثيره كبيره وصغيره جليله وحقيره لأنه روحه وحياته السارية فيه والإمدادات الحسية والمعنوية كلها منه وعلى يديه وبواسطته وحركات أهل الوجود وسكناتهم وعباداتهم وطاعاتهم وسائر تقلباتهم وأحوالهم كلها بإذنه وهو المقيم لكل واحد منهم فى ما هو فيه لأنه بمنـــزلة الروح لكل جسد والكون كله أجمع بين يديه وهو حال فيه ومتمكن منه وناظر إليه ومتصرف فيه كمال التصرف ونهايته بما يأذن الله به ويوقعه فى قلبه من مراداته حكمة إلهية وخصيصة ربانية [٣٥١]يشاهد الحق تعالى فى المراتب للتصرف فى جميع المملكة الإلهية كحالة أهل التصريف ويشاهده لا فى المراتب كحالة الأفراد وله مرتبة مخصوصة لا يشاركه فيها غيره ولا يعرفها إلا هو أورثه الله تعالى التجلى الكامل المحيط فالتجليات كلها وأورثه الاسم الأعظم بجميع إحاطاته وأورثه المدد من النبى ﷺ بلا واسطة وتحريك الجمادات وتحريك كل حى والإمارة على كل شيء والتعظيم على كل شيء وله الخلافة العظمى عن الله مطلقاً فى الأحوال كلها فى الأرض وغيرها من سائر المملكة جملة وتفصيلاً فحيثما كان الرب إلها كان هو خليفة فى تصريف الحكم وتنفيذه فى كل من عليه ألوهية الله تعالى لظهوره واحتوائه على الجمعية التى لها ومطابقته إياها فصورته الظاهرة مطابقة للصورة الإلهية الباطنة فيعلم من ذاته جميع الأسماء المتصرفة فى الكون ولها تعلق به وله القيام بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق فلا يصل إلى الخلق شيء كائنا ما كان من جانب الحق تعالى إلا بحكمه وتوليه

وتوصيله كل قسمة إلى محلها وتوزيعه إياها على مستحقيها على حسب قبولهم واستعدادهم يعلم ذلك من نفسه لأن فيه أنموذج كل شيء علوى وسفلى وله العلم بكل شيء كذلك وله القيام أيضاً بكل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا بروحانيته فترى الكون كله أشباحا لا حركة لها وهو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا وقيامه فيها فى أرواحها وأشباحها [٣٥٢] وله التصرف فى مراتب الأولياء وأذواقهم فلا تكون فى الوجود مرتبة للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف فى جميعها والممد لأربابها وله الاستعلاء على الزمان والمكان والحكم عليهما والتصرف فيهما فهو متمكن من طى الزمان ونشره وبسط المكان وجمعه حقيقة لا وهما وله التمكن أيضاً وإحضار الأشباح البعيدة الثقيلة كالجبال وغيرها فى أقل من تغميضة العين ومن استنشاق أرواح أهل الجنان وكل ما تجرى به الرياح بنسمة واحدة ومن استعراض الآفاق كلها عليه بخطوة واختراق السبع الطباق بخطوة وله أيضاً التمكن من تلاوة علوم العالمين جميعها بلفظة واحدة مشتملة على جميع المعانى والألفاظ الكائنة من المبدأ إلى المنتهي ومن أن يعرض على عينه جميع العالمين من أعيان الجواهر والأعراض التى كانت من مبدأ الوجود والإيجاد وتكون إلى منتهاه بلحظة واحدة فيلحظ بها جميع الآثار والصفات والنعوت الأصلية والعارضية والكمالات الحاصلة لتلك الآثار والمتعلقة بها الحال المعنوى الذى يحصل ذلك اللحظ فيه له وإذا شاء أن يظهر فى زمان أقل من لمحة فيسمع فيه أصوات الداعين كلهم ويفهمها كلها ويعرف مفهوم سائر اللغات التى لسائر الخلق ويتكلم بجميعها وكلها بالنسبة إليه على السوية لأنه مظهرها.

قال ابن الفارض فى التائية الكبرى:

وأهل تلقى الروح باسمى دعوا إلى … سبيلى وحجوا الملحدين بحجتى

وكلهم عن سبق معناى دائر … بدائرتى أو وارد من شريعت

وإنى وإن كنت ابن آدم صورة … فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

وفى الطبقات المنوية فى ترجمة أبى العباس المرسى عنه قال قد يطلع الله الولى على معرفة لغات سائر الخلق فيكون [٣٥٣] سليمانى المقام وقال إن كمل الرجال تنطق بجميع اللغات انتهى.

وله أيضاً أعنى القطب الاختصاص بالسر المكتوم الذى لا مطمع لأحد فى دركه وبالجملة فهو فى جميع مراتبه فى حضرة الحق بمنــزلة إنسان العين من العين به يرحم الوجود وبه تفاض الإفادة على كل موجود وبه يبقى الوجود فى حجاب الرحمة واللطف ثم إنه ليس له فى نفسه اسم يختص به لا يدعى بغيره لأن أسماء الموجودات كلها أسماء له لتحققه بمراتبها كما أنه ليس له مكان يختص به لا يحل فى غيره لحلوله فى جميع الأمكنة وليس له وصف باطنى يعرف به لأن أوصافه الباطنية مجهولة ونعوته الحقيقية للورى منكرة غير معقولة لأن الولى كل ما عرج فى معارج العلى ودرج على مدارج سبح اسم ربك الأعلى جهلت صفته وتنكرت معرفته فلولا رسم العبودية اللازم لما ثبتت له المعالم ولا علمت كينونته فى العوالم ولا ما قام له يتعين فمقامه أن لا مقام فهو فى كل نفس وفى كل زمان وفى كل حال بصورة ما يقتضيه ذلك النفس والزمان والحال فلا يستمر على حال لأن الأحكام الإلهية تختلف فى كل زمان فيختلف باختلافها ويكفى فى وصف حاله قول بعض أهل هذا المقام ورجاله:

تســترت عــن دهرى بظل خياله ولو لاح غربيا لحنَّ إلى الغرب فصرت
فلــو تســأل الأيــام عنى ما درت وأيــن مكــان مــا دريــنا مكانيا

وهذان البيتان أنشدهما أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى المعروف [٣٥٤] بابن العريف الصنهاجى المراكشى فى رسالته التى سماها محاسن المجالس وتبعه الشيخ الأكبر فى فتوحاته وغير ما واحد من الصوفية فى كتبهم وفى جواهر المعانى نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى ومعنى البيتين هو مرتبة الخليفة الأعظم إذ لا اسم له يختص به فإن أسماء الوجود كلها أسماء له لتحققه بمراتبها ولكونه هو الروح فى جميع الموجودات فما فى الكون ذات إلا وهو الروح المدبر لها والمحرك لها والقائم فيها ولا فى كرة العالم مكان إلا وهو حال فيه ومتمكن منه فبهذا الاعتبار لا اسم يتميز به عن الوجود ولا مكان

يختص به دون آخر فلذا قال فلو تسأل الأيام يشير إلى هذه المرتبة وهى الخلافة العظمى انتهى.

ولا يعرفه من الأولياء إلا القليل جدا لأن الله تعالى سطر أحواله عن الخاصة والعامة غيرة منه عليه غير أنه يرى عالماً كجاهل وأبله كفطن آخذاً تاركاً زاهداً راغباً قريباً بعيداً سهلاً عسراً أميناً صعباً آمناً حذراً كثير الناح راغب فيه يعلم من تحليه ما يحرضه على طلبه والتعشق به محب للنساء حاله العبودية والافتقار يغار لله ويغضب لله إن كان صاحب دنيا تصرف فيها على الوجه المشروع وإن لم يكن صاحب دنيا كان على ما يفتح له فإذا لم يجد لجأ إلى الله ثم ينتظر الإجابة منه فيما سأله فإن شاء أعطاه ما سأل عاجلا أو آجلا فمرتبته الإلحاح فى السؤال بخلاف أصحاب الأحوال فإن الأشياء تتكون عن همتهم والقطب منـــزه عن الحال [٣٥٥] ثابت فى العلم مشهود فيه فيتصرف به لا تطوى له أرض ولا يمشى فى هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شيء مما ذكرناه من خرق العادة وما تعطيه الأحوال إلا نادرا لأمر يراه الحق فيفعله لا يكون ذلك مطلوبا له يجوع اضطرارا لا اختيارا ويصبر على النكاح كذلك لعدم الطول وقد نصوا على أن خوارق العادات قلماً تصدر من الأقطاب والخلفاء لقيامهم بالعبودية التامة واتصافهم بالفقر الكلى فلا يتصرفون لأنفسهم فى شيء.

وفى الفتوحات فى الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة قال ظهر خواص الله الأكابر فى الحكم بصورة العامة فجهلت مرتبتهم فلا يعرفهم سواهم وما لهم مزية فى العالم بخلاف أصحاب الأحوال فإنهم متميزون فى العموم مشار إليهم بالأصابع لما ظهر عليهم بالحال من خرق العوائد، وأهل الله أبقوا من ذلك لاشتراك غير الجنس معهم فى ذلك انتهى.

وانظر قول سيدنا سليمان عليه السلام لمن دونه من الجن والوزراء ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ [النمل آية: ٣٨]وهو قطب وقته وخليفة الله المتصرف فى العالم لكنه ترك التصرف بنفسه عبودية وانظر أيضاً قول سيدنا لوط عليه السلام لو أن بكم قوة مع أنه

من الرسل وهم لهم قوة التصرف فى العالم لكنه تركه عبودية ورجع إلى اعتبار حالته الأصلية وهى العجز والضعف والمعرفة لا تدع للعارف همة يتصرف بها فإنه كلما علت معرفته نقص تصرفه بالهمة حتى إذا بلغت غايتها لم يبق له من نفسه [٣٥٦] لنفسه تصرف أصلاً لتحققه بمقام العبودية ورجوعه إلى ضعفه الذاتى وعجزه الأصلى فإن أمر بالتصرف بجذم تصرف امتثالا للأمر وإن منع امتنع وإن خير اختار ترك التصرف تأدبا بآداب العبودية وقد قال بعض الأبدال للشيخ عبد الرزاق تلميذ أبى المدين قل للشيخ أبى مدين لا يعطاس علينا معاشر الأبدال شيء نريده من الأكوان وأنت تعطاس عليك الأشياء ونحن نرغب فى مقامك وأنت لا ترغب فى مقامنا وجوابه ما تقدم ذكره وغيره من الوجوه التى لم نذكرها والله أعلم.

ثم الحق وهو الذى يساعده الوجدان أنه ليست له مدة معينة بل تطول مدته إلى نحو الستين عاما أو أزيد كما وقع للشيخ سيدى على بن عبد الرحمن العمرانى الملقب بالجمل شيخ مولاى العربى بن أحمد الدرقاوى وتقصر بحيث لا يدرك القطبية إلا عند خروج روحه أو قبل ذلك بقليل كما وقع لغير واحد وذلك بحسب مشيئة الله سبحانه وأنه لا ينعزل إلا بالموت وسكنه قيل مكة وقيل اليمن والحق أنه لا يختص بمكة ولا بغيرها من البلدان بل تارة يكون من آل هذه البلدة وتارة من أهل هذه وقد يكون جوالا فى الأقطار قلبه ساكن فى حضرة الحق لا يخرج منها أبداً يشهد فى كل وجهة ومن كل وجهة.

– لا يختص القطب بقريش –

ولا بنى هاشم والأصح أيضاً وهو الذى يساعده الواقع فى الخارج أنه لا يختص بقريش ولا ببنى هاشم ولا بأولاد الصبتين الحسن والحسين رضى الله عنهما خلافا لمن قال بذلك بل تارة يكون قرشيا [٣٥٧] وتارة هاشميا وتارة حسنيا أو حسينيا وذلك هو الغالب لأن سيدنا الحسن ﷺ لما ترك الخلافة الظاهرية عوضه الله عنها بالخلافة الباطنية فلا يكون القطب المتصرف فى الوجود بعده غالبا إلا من نسله أو نسل أخيه

سيدنا الحسين وقد يكون هاشمياً وقد يكون قرشياً من غير بنى هاشم أو آخرين كأبى العباس المرسى وغير ذلك قيل بطريق الاستقلال وقيل بطريق النيابة عن أحد الأشراف الفاطميين لأن القطبية لهم بطريق الأصالة.

– القطبية بعد أئمة أهل البيت –

وفى آخر مكتوبات الإمام الربانى مجدد الألف الثانى الشيخ أحمد الفاروقى الصرهندى قدس سره إن القطبية بعد أئمة أهل البيت المشهورين رضى الله عنهم أجمعين لم يثبت لأحد أصالة وإنما كان كل قطب بعدهم نائبا عنهم إلى أن أظهر الله تعالى من صدف بحر الإمكان حضرة الجوهرة التى لا تقوم السيد عبد القادر الجيلانى ﷺ فثبت له بطريق الأصالة ولم يثبت لأحد بعده كذلك وإنما تكون الأقطاب بعده نوابه إلى أن يظهر المهدى فتكون له كسائر الأئمة أصالة ثم قال وإلى ذلك الإشارة بقوله قدس سره:

أفلــت شمــوس الأولــين وشمسنا ... أبــدا عــلى فلــك العلا لا تغرب

فهو الآن القطب الأصيل والمتصرف بإذن الله الجليل انتهى نقله صاحب الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين وهو السيد أبو الذفر ظهير الدين القادرى الحنفى والعلم عند الله تعالى ثم تارة تكون [٣٥٨] له الخلافة الباطنية خاصة ولا يكون له حكم فى الظاهر وهو الأكثر كأحمد بن هارون الرشيدى السبتى، وأبى يزيد البسطامى، والشيخ سيدى عبد القادر الجيلانى، والشيخ سيدى أحمد الرفاعى، والشيخ سيدى إبراهيم الدسوقى، والشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش، والشيخ أبى الحسن الشاذلى، والشيخ أبى العباس المرسى، والشيخ أحمد زروق، والشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسى، وغيرهم ممن يكثر عده فى أقطار الأرض ونواحيها لكن من الأقطاب فى كل زمان من يؤمر بالسكوت فلا يسعه إلا السكوت فيكون خاملا لا يعرف ومنهم من يؤمر بالقول وبالظهور فلا يسعه إلا القول والظهور فيتكلم وتظهر على يديه الخوارق حتى يعرف وهو أكمل فى مقام القطبية وربما كان الخامل أعلى مرتبة ومقاما من الظاهر ﴿ وَرَبُّكَ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص:٦٨] ثم القطبية هى مرتبة واحدة ولكن أصحابها متفاوتون فى المعارف ومنهم من هو راق ومن هو أرقى وعامة وخاصة الخاصة كابن مشيش والشاذلى والجيلانى والحاتمى ولا تتجلى حقيقة الكبرياء للقطب إلا بعد بلوغه للمرتبة العليا من القطبانية وهى مرتبة ختم المقامات ولم يرتقها من الأقطاب إلا القليل لبعد مرامها فإذا ارتقاها القطب ووصلها هنالك يتجلى له سبحانه بالكبرياء الذاتى ولا يزال مرتقيا فيه إلى الأبد ولو تجلى فى ذلك الكبرياء بمقدار ذرة لجميع العارفين والصديقين [٣٥٩] لصاروا هباء فى أسرع من طرفة عين قال على ﷺ المعرفة كشف سبحات الجلال وغايتها الدهش فى كبرياء الله المتعال أراد بغايتها مقام الختم فى القطبانية فهو غاية الغايات.

- أول من تقطب بعد النبى ﷺ -

وفى شرح المواهب اللدنية قال أول من تقطب بعد النبى ﷺ الخلفاء الأربعة على ترتيبهم فى الخلافة ثم الحسن هذا ما عليه الجمهور وذهب بعض الصوفية إلى أن أول من تقطب بعده ابنته فاطمة قال بعض ولم أره لغيره وأول من تقطب بعد الصحابة عمر بن عبد العزيز وإذا مات القطب خلفه أحد الإمامين لأنهما بمنـــزلة الوزيرين له أحدهما مقصور على عالم الملكوت أى وهو الذى عن يمينه والآخر على عالم الملك أى وهو الذى عن يساره والأول أعلى مقاما من الثانى أى وهو الذى يخلف القطب إذا مات وهذا ما فى المفاخر العلية وقال الشيخ الأكبر والقاشانى فى لطائفه والجرجانى فى تعريفاته وغير واحد إن صاحب اليسار أعلى وأنه هو الذى يخلف القطب والله أعلم.

قلت والذى قال بأن فاطمة أول من تقطب بعده ﷺ العارف بالله الأستاذ صفى الدين أبو المواهب التونسى نقل ذلك عنه الشيخ على الأجهورى فى فضائل عاشوراء وغير واحد وفى جواهر المعانى نقلاً عن شيخه أبى العباس أحمد التيجانى إن جماعة من

العارفين أجمعوا على هذا قال من طريق الكشف لا من طريق السمع وفى نظم عقود الفاتحة لسيدى حمدون بن الحاج السلمى المرداسى: [٣٦٠]

بـــنو ابـــنة له حـــازت سره ورثت قطابة منـــه أورثـــت لكـــل ســـمى

خصـــت بهـــا دون ســـائر النساء لأن صـــينت من الطمث صوما غير

وأشار بقوله خصت بها إلى ما ذكروه من أن هذه المرتبة لا تكون إلا للكمل من الرجال المتأهلين لحمل الأثقال لأنها مقام خلافة عن الرسول ﷺ ولا تكون للنساء لأنهن بمعزل عن الولايات الظاهرة القاصرة فمن باب أولى قصورهن عن الأحكام العلية الفاخرة واستثنى بعضهم من هذا فاطمة رضى الله عنها فقال إنها أول من تلقى القطبانية عن أبيها مدة حياتها ثم بعدها انتقلت إلى الخلفاء الأربعة على ترتيبهم ثم الحسن قال ومن ثم لم تحض فيكون هذا حينئذ من خصائصها وبه استدل بعضهم على أنها أفضل من عائشة قال لأن القطب سيد أهل زمانه بدليل ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣]وليس فى خلق الله كلهم عموما وإطلاقا من بعد الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين من يأتى فيه أن يصل إلى مقدار جزء من ألف جزء من تقوى قطب الأقطاب ولو بلغ ما بلغ فهو أفضل جماعة المسلمين عموما فى كل عصره انتهى.

– الخليفة الأعظم عن الله –

قلت ذكروا فى الخليفة الأعظم عن الله إن كان نبياً أو رسولاً فواضح وإن لم يكن نبياً ولا رسولاً فمقامه هو مقام الصديقية العظمى التى هى الموالية لرتبة النبيين والمرسلين على ما عليه جمهور الصوفية والعارفين وقد قال القاشانى فى لطائفه ما نصه القطبية الكبرى هى مرتبة قطب الأقطاب فإن أقطاب الأمم الخالية ليست [٣٦١] لهم هذه القطبية الكبرى لأنها وراثة محمدية فكما أنه ﷺ صاحب الدعوة العامة والرسالة الشاملة لجميع العالمين فكذا ورثته ﷺ هم أصحاب القطبية الكبرى وأيضا فإن لكل

مرتبة من مراتب الولاية قطبا وهو الحاصل فى ذروهًا وقطب الأقطاب من ليس وراء مرتبته إلا النبوة العامة وهو رأس الصديقين انتهى منه بلفظه.

وممن جرى على هذا الشيخ أبو حامد الغزالى والقاشانى فى لطائفه فى ترجمة الصديق والفرغانى فى شرحه لتائية ابن الفارض قالوا ليس بين الصديقية ونبوة التشريع مقام ولا منــزلة بل كل من تخطى مقام الصديقية حصل فى مقام النبوة لأنه التالى له والنبوة باب مغلق.

– مقام القربة –

وذكر الشيخ الأكبر فى فتوحاته فى الباب الثالث والسبعين أن بينهما مقاما يسمى مقام القربة قال وهو للأفراد هو دون نبوة التشريع فى المنــزلة عند الله وفوق الصديقية فى المنــزلة عند الله وهو المشار إليه بالسر الذى وقر فى صدر أبى بكر ففضل به الصديقين إذ حصل له ما ليس من شرط الصديقية ولا من لوازمها فليس بين أبى بكر ورسول الله ﷺ رجل لأنه صاحب صديقية وصاحب سر فهو من كونه صاحب سر بين الصديقية ونبوة التشريع انتهى.

وقال أيضاً فى الباب الحادى والستين ومائة فى المقام الذى بين الصديقية والنبوة وهو مقام القربة أنكر أبو حامد الغزالى هذا المقام وقال ليس بين الصديقية والنبوة مقام ومن تخطى رقاب [٣٦٢] الصديقين وقع فى النبوة والنبوة باب مغلق فكان يقول لا تتخطوا رقاب الصديقين ثم ذكر أعنى الحاتمى أنه من هذا المقام حصل لأبى بكر السر الذى وقر فى نفسه وظهرت قوة ذلك السر مع وقته راجعه.

وقال أيضاً فى فتوحاته فى موضع آخر إنما نكر تعالى علماً فى قوله ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا علماً** ﴾ [الكهف:٦٥] ليشمل الأربعة علوم التى خص ها أصحاب منازل القربة الذين الخضر رأسهم وهى علم الكتابة الإلهية وعلم الجمع والتفرقة وعلم النور والعلم اللدنى راجع الفتوحات المكية فى عدة أبواب منها والكبريت الأحمر للشعرانى وفى وجه الحجاب والران عن كشف أسئلة الجان له ما نصه وسألونى هل بين الصديقية والنبوة

مقام لأحد فأجبتهم نعم بينهما مقام القربة الذى هو مقام الخضر عليه السلام صرح بذلك الشيخ محيى الدين بن عربى وجماعة وأنكره جمهور الصوفية لعدم ذوقهم له وكان الأولى أن يقولوا هذا أمر لا نعلمه لا أنهم ينفون ذلك فإن المثبت مقدم على النافى انتهى.

وذكر الشيخ الأكبر أيضاً فى فتوحاته وغير واحد فى الكلام على الأفراد وهم الرجال الخارجون عن نظر القطب ولا يدخلون تحت دائرته وحكمه وما له فيهم تصرف وهم كمل مثله مأهلون لما ناله من القطبية أنه قد يكون فيهم من هو أكبر منه فى العلم بالله تعالى وهم أخفياء فى الخلق أبرياء علماء بالله لا يدون ولا يرون ولا يعرفون ولا عدد يحصرهم إلا أنهم من الثلاثة إلى ما فوقها من الأفراد وقيل إنهم أربعة [٣٦٣]وهو ما ذكره ابن المشرى فى جامعه نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى فى مواضع منه وله من الحضرات الإلهية الحضرة الفردانية وفيها يتميزون من الأسماء الإلهية الفرد والمواد الواردة على قلوبهم من المقام الذى ترد منه على الأملاك المهيمة ولذا يجهل مقامهم وهم أصحاب العلم الذى كان يقول فيه على بن أبى طالب حين يضرب بيده إلى صدره ويشهد إن ها هنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة فإنه كان من الأفراد وإلى هذا العلم كان يشير زين العابدين رضى الله عنه بقوله:

يا رب جوهر علم لو أبوح به ....البيتين

ولا عدد يحصرهم وهم المقربون بلسان الشرع وكان منهم محمد الأوانى يعرف بابن قائد أوانة من أعمال بغداد من أصحاب الإمام عبد القادر الجيلى وهم رجال خارجون عن دائرة القطب وخضر منهم ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة فى جلال الله وهم الكروبيون مقامهم بين الصديقية والنبوة الشرعية وهو مقام جليل جهله أكثر الناس من أهل طريقنا كأبى حامد وأمثاله لأن ذوقه عزيز هو مقام النبوة المطلقة انتهى المراد منه باختصار.

وقال النابلسى فى شرح الفصوص أثناء كلام له على الخليفة الكامل ما نصه ولا يخرج عن التبعية له إلا الأفراد من أهل الله لأن ذكرهم هو فهم المستغرقون فى الهوية

الإلهية فإذا رجعوا إلى حسهم وصحوا من جمعهم دخلوا تحت حكمه وتصرفه فيهم بحسب ما استعدوا له من كمال أو نقصان كباقى الخلق وقال فى جواهر المعانى [٣٦٤] نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى فى الكلام على مفاتيح الكنوز الأربعة إن القطب أفضل منهم فى أمور وهم أفضل منه فى أمور وقد ذكرهم أيضاً العارف بالله سيدى عبد الرحمن الشامى الفاسى فى كتاب الأسرار له وأخبر عن نفسه أنه من جملتهم وأن كل واحد منهم يدرك من العلوم المحمدية إثنينَ وسبعين علماً وقل من يصل إليها من الأولياء إلا بعض الكمل كمولانا عبد السلام بن مشيش وأبو الحسن الشاذلى نقص عن شيخه بواحد منها وله أى لكل واحد منهم خمسة عشرة حبة من حبوب النور التى هى أجزاء النبوة وأما الأفراد فلكل واحد منهم ثلاثة عشرة لا غير وهذا يفيد أنهم غير الأفراد وأنهم أعلى منهم مرتبة ومقاماً لكن فى الجواهر المذكورة فى موضع أن مفاتيح الكنوز هم رءوس الأفراد.

– الختم المحمدى الخاص –

وذكر الشيخ الأكبر أيضاً فى الباب السادس والستين وثلاثمائة فى ختم الولاية المحمدى الخاص أنه واحد لا فى كل زمان بل فى العالم يختم الله به الولاية التى تحصل من الإرث المحمدى فلا يكون فى الأولياء المحمديين أكبر منه وأنه أعلم الخلق بالله يعنى من بعد النبيين والمرسلين والملائكة المقربين والصحابة أجمعين قال لا يكون فى زمانه ولا بعد زمانه أعلم بالله وبمواقع الحكم منه فهو والقرآن أخوان كما أن المهدى والسيف أخوان انتهى.

وفى الفصوص إن هذا الختم كان وليا يعنى بالفعل عالماً بولايته قال وآدم بين الماء والطين وغيره من الأولياء ما كان وليا إلا بعد تحصيله شرائط الولاية من الأخلاق الإلهية [٣٦٥] فى الاتصاف بها وأنه الولى الوارث الآخذ عن الأصل يعنى بلا واسطة، المشاهد للمراتب وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ أى مظهر من

مظاهر ولايته الخاصة أو المطلقة وفى الفتوحات كما نذكره عنها قريبا إن منـــزلته من رسول الله ﷺ منـــزلة شعرة واحدة من جسده ﷺ.

وفيها أيضاً كما يأتى أنه لا ولى بعده إلا وهو راجع إليه كما أنه لا نبى بعد محمد ﷺ إلا وهو راجع إليه كعيسى عليه السلام إذا نـــزل وفيها أيضاً فى الباب التاسع والخمسين وخمسمائة قال الختم الخاص هو المحمدى ختم الله به ولاية الأولياء المحمديين قال أى الذين ورثوا محمدا ﷺ قال وعلامته فى نفسه أن يعلم قدر ما ورث كل ولى محمدى من محمد ﷺ فيكون هو الجامع علم كل ولى محمدى لله تعالى وإذا لم يعلم هذا فليس بختم ألا ترى إلى النبى ﷺ لما ختم به النبيون أوتى جوامع الكلم واندرجت الشرائع كلها فى شرعه اندراج أنوار الكواكب فى نور الشمس انتهى.

وفى كلام بعض المتأخرين من الكبار أنه الممد لجميع الأولياء من لدن آدم إلى النفخ فى الصور أفرادا وأقطابا وأوتادا وغيرهم لا يخرج عن إمداده أحد منهم أصلاً تقدم أو تأخر شعر بذلك أو لم يشعر وفى الطبقات الشعرانية عن سيدى على وفا أنه كان يقول خاتم الأولياء على قلب خاتم الأنبياء ومن علامته أن يتحقق مواجيد الأولياء كلهم ويختص عنهم بوجده كما حقق خاتم الأنبياء مواجيد [٣٦٦] الأنبياء كلهم واختص عنهم بخصوصيته فافهم.

وقد اختلف كلام الشيخ الأكبر ﷺ فى الموصوف بهذه الختمية من هو فأشار فى كتاب عنقاء مغرب فى معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب وفى الفتوحات المكية فى عدة مواضع أنه عيسى عليه الصلاة والسلام وبذلك صرح غير واحد وأنشد فى الباب السادس والستين وثلاثمائة فى معرفة منـــزل وزراء المهدى الظاهر فى آخر الزمان:

ألا إن خـــتم الأولـــياء شـــهيد ... وعـــين إمـــام العـــالمين فقـــيد

هـــو الســـيد المهدى من آل أحمد ... هـــو الصـــارم الهـــندى حـــين يبيد

هـــو الشـــمس يجلو كل غم وظلمة ... هـــو الوابـــل الوسمـــى حـــين يجود

فصرح بأن ختم الأولياء هو الإمام المهدى المنتظر الذى يظهر فى آخر الزمان وبذلك صرح أيضاً جماعة.

وقال فى الباب الخامس والستين أنه رأى فيما يرى النائم وهو بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة الكعبة المشرفة وهى مبنية بلبن فضة ولبن ذهب وقد كملت بالبناء إلا موضع لبنتين إحداهما من ذهب والأخرى من فضة قال فرأيت نفسى قد انطبعت فى موضع تنيك اللبنتين فكنت أنا عين تنيك اللبنتين وكمل الحائط و لم يبق فى الكعبة شيء ينقص وأنا واقف أنظر وأعلم أنى عين تلك اللبنتين لا أشك فى ذلك وأنهما عين ذاتى واستيقظت فشكرت الله تعالى ثم عبر الرؤيا بختام الولاية به وقصها على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل؟ فأخبره فى تأويلها بما وقع له وما سمى له الرائى من هو قال فاسأل [٣٦٧] الله أن يتمها على بكرمه فإن الاختصاص الإلهى لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل راجعه.

وقد ذكر فى الفصوص أن خاتم الأولياء لابد له من أن يرى مثل هذه الرؤيا يعنى للولاية على ختميته فلما رآها هو دل على أنه الختم المحمدى ولذلك تعرض للجواب عن الأسئلة المائة والخمسين التى ذكر الحكيم الترمذى أنه لا يعرف الجواب عنها إلا الختم وأنشد:

بـنا خـتم الله الولايـة فأنتهـت إليـنا فـلا خـتم يكون من بعدى
ومـا فـاز بـالإرث الـذى لمحمد مـن أمـته فى الكون إلا أنا وحدى

وذكر الجامى فى أول شرحه للفصوص أنه روى عنه أنه اتخذ الخلوة مرة بأشبيلية من بلاد الأندلس تسعة أشهر لم يفطر فيها دخل فى عشرة المحرم وأمر بالخروج عند عيد الفطر وبشر بأنه خاتم الولاية المحمدية انتهى.

وقال فى أول الفتوحات فى الكلام على المشاهدة التى شهد فيها السيد الكامل المفضال سيدنا محمدا ﷺ فى عالم حقائق المثال ما نصه فالتفت السيد الأعلى والمورد الأعذب الأحلى والنور الأكشف الأجلى فرآنى ورأى الختم لإشتراك بينى وبينه فى الحكم فقال له السيد هذا عديلك وابنك وخليلك إلى آخر كلامه وهذا يدل على أنه الختم المقابل للختم المطلق لأنه ذكر فيما يأتى عنه أن الختم ختمان ختم محمدى وختم مطلق وهو عيسى عليه السلام وفى درر الغواص للشعرانى نقلاً عن شيخه سيدى على

الخواص قال إن لهذه الأمة المحمدية ختمين جامعين [٣٦٨] لكل رتبة ومقام وارث وولاية حتى إن كل ولى كان أو يكون إنما يأخذ من هذين الختمين اللذين يكون أحدهما خاتم ولاية الخصوص والآخر تختم به الولاية العامة فلا ولى بعده إلى قيام الساعة قال وقد أخبر العارف عن نفسه يعنى الشيخ الأكبر أنه أحد الختمين راجعه.

وفى روح البيان لدى قوله فى صدر سورة يوسف ﴿ إِنَّا أَنــزلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً ﴾ [يوسف:٢] ما نصه ولكون رسول الله ﷺ عربيا جاء وارثه الأكمل من العرب وهو حضرة الشيخ الأكبر والمسك الأذفر والكبريت الأحمر محيى الدين بن عربى قدس الله نفسه الزكية وإنما قلت بكونه الوارث الأكمل لكونه خاتمة الولاية الخاصة المحمدية فهو من أكمل مظاهر هذه المرتبة وفيه ظهر التفصيل الذى لم يظهر فى غيره وما عداه طفيلى مائدته فى هذا الباب وهذا المعنى نصرح به و لا نكنى وليمت المنكر بغيظه وغضبه ونعوذ بالله من سوء الاعتقاد انتهى.

وفى رسالة شق الجيب فى معرفة رجال الغيب للشيخ العارف بالله العلامة الأوحد سالم بن أحمد شيخان با علوى ما نصه والختم وهو واحد لا فى كل زمان يختم الله به الولاية الخاصة وهو الشيخ الأكبر انتهى.

وقد وصفه بهذه الختمية ممن بعده جماعة لا تحصى من الكبار والأولياء النظار وأقروه على ما قال بشهادة الحال ونازعه من نازعه وإلى الله ورسوله فى ذلك الرد والمحاكمة والمرافعة وقال فى الباب الرابع والعشرين ما نصه وللولاية المحمدية المخصوصة بهذا الشرع المنــزل على محمد ﷺ ختم خاص هو فى [٣٦٩] الرتبة دون عيسى عليه السلام لكونه رسولاً وقد ولد فى زماننا ورأيته أيضاً واجتمعت به ورأيت العلامة الختمية التى فيه فلا ولى بعده إلا هو راجع إليه كما أنه لا نبى بعد محمد ﷺ إلا وهو راجع إليه كعيسى إذا نــزل انتهى.

قال فى الباب السادس والستين فى جواب السؤال الأول من أسئلة الحكيم ما نصه وأما الختم فهذا زمانه وقد رأيناه وعرفناه تمم الله سعادته علمته بفاس سنة خمس وتسعين وخمسمائة انتهى وقال فى جواب السؤال الثالث عشر بعد ما ذكر ختم الولاية

على الإطلاق وهو عيسى عليه السلام ما نصه وأما ختم الولاية المحمدية فهى لرجل من العرب من أكرمها أصلاً ويدا وهو فى زماننا اليوم موجود عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التى له قد أخفاها الحق فيه عن عيون عباده وكشفها لى بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية منه وهو خاتم النبوة المطلقة لا يعلمها كثير من الناس وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به فى سره من العلم به وكما أن الله ختم بمحمد ﷺ نبوة الشرائع كذلك ختم بالختم المحمدى الولاية التى تحصل من الورث المحمدى لا التى تحصل من سائر الأنبياء فإن من الأولياء من يرث إبراهيم وموسى وعيسى فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدى وبعده فلا يوجد ولى على قلب محمد ﷺ انتهى.

وقال فى الباب الثانى وثلاثين وثلاثمائة بعد ما ذكر ختم الولاية الكبرى من آدم إلى [٣٧٠] آخر نبى وهو عيسى عليه السلام ما نصه وأما خاتم الولاية المحمدية وهو الختم الخاص لولاية أمة محمد ﷺ الظاهرة فيدخل فى حكم ختميته عيسى عليه السلام وغيره كإلياس والخضر وكل ولى لله تعالى من ظاهر الأمة فعيسى عليه السلام وإن كان ختماً فهو مختوم تحت ختم هذا الخاتم المحمدى وعلمت حديث هذا الخاتم المحمدى بفاس من بلاد المغرب سنة أربع وتسعين وخمسمائة عرفنى به الحق وأعطانى علامته ولا اسميه ومنـــزلته من رسول الله ﷺ منـــزلة شعرة واحدة من جسده ﷺ ولهذا يشعر به إجمالا ولا يعلم به تفصيلاً إلا من أعلمه الله به أو من صدقه إن عرفه بنفسه فى دعواه ذلك انتهى.

وفهم بعض الناس أن هذا الختم هو الذى سماه الشيخ بقطب الزمان وذكر أنه اجتمع به بفاس بعرصة ابن حيوة وهى معروفة عندنا إلى الآن بحومة السياج قريبا من ضريح الشيخ العارف سيدى أحمد الشاوى وذلك فى الباب الأحد والستين وأربعمائة ونصه وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة مائة بمدينة فاس أطلعنا الله عليه فى واقعة وعرفنى به فاجتمعنا يوما ببستان ابن حيوية بمدينة فاس وهو فى الجماعة لا يؤبه له فحضر فى الجماعة وكان عربيامن أهل بجاية أشد اليد إلى آخر

حكاية ذكرها أمره فيها بعدم تسميته لأهل المجلس ثم سلم عليه سلام وداع قال فما رأيته بعد ذلك فى المدينة إلى الآن وقلت هذا يقتضى أنه غير الختم المذكور والله أعلم.

وذكر القيصرى فى "شرح الفصوص" أن ما حكاه فى الفتوحات عن الرجل من العرب فى الحكاية التى [٣٧١] نقلها وعن غيره فى خاتم الولاية المقيدة المحمدية كله إشارة إلى نفسه فليتأمل وقال الشيخ على دده المولوى فى حل الرموز فى الكلام على الرجل المذكور من العرب أقول هو محمد بن على ابن العربى الحاتمى الطائى أخبر بذلك عن نفسه بمبشرات رآها باتفاق العارفين بعده من الكمل لا تقول ولا يلتفت إلى اعتراضات بعض المتصوفة وأهل الظواهر على كلامه فى الختمية الخاصة له قدس الله روحه وأفاض علينا من علومه ومدده انتهى.

وقال بعضهم يجمع بين كلام الحاتمى فى الختم بأن الولاية أقسام ولكل قسم منها ختم يختص به فيكون كل واحد ممن ذكر ختما لولاية خاصة.

وقال الشيخ صبر الدين القونوى عن تفسير الفاتحة إن الله تعالى ختم الخلافة الظاهرة فى هذه الأمة عن النبى ﷺ بالمهدى عليه السلام وختم مطلق الخلافة عن الله سبحانه بعيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه وختم الولاية المحمدية بمن تحقق بالبرزخية الثابتة بين الذات والألوهية نقله الجامى فى شرح الفصوص وقد ذكره الشيخ صدر الدين فى آخر فصل من فصول الكتاب وهو الفصل الذى تكلم فيه على خواتم الفواتح الكلية راجعه والذى حصلناه منكلامهم بعد التتبع أن الأختام ثمانية:

أولها: ختم نبوة التشريع ورسالته فلا يوجد بعده نبى مشرع أصلاً وهو سيدنا محمد ﷺ وإلى ذلك الإشارة بقوله ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب:٤٠] قال الشيخ عبد الغنى النابلسى فى كتاب الرد المتين [٣٧٢] على منتقص العارف محيى الدين ما نصه اعلم أن سيدنا محمدا ﷺ خاتم جميع الأنبياء والمرسلين ومعنى ذلك أنه ذائق لمشرب كل نبى وكل رسول ممن تقدمه فهو جامع لجميع مشارب الأنبياء والمرسلين ولهذا جاء بتصديقهم كلهم وأفصح عن مقاماتهم ومراتبهم وكشف له عن أحوالهم

كلها وتنـــزلت أخبارهم على نفسه بما تلاه علينا من القرآن العظيم فنبوته أصل لجميع النبوات والنبوات فرع عن نبوته ولهذا قال عليه السلام كنت نبياً وآدم بين الماء والطين.

وبقية الأنبياء عليهم السلام إنما كانوا نبيين حين بعثوا لا قبل ذلك فأصل مشارب الأنبياء كلها وهى روحانياهم الفاضلة كالمياه المنقسمة مجموعة فى مشرب محمد ﷺ الجامع الذى هو روحانيته التى بدأ الله تعالى بها الوجود كما ورد أنه أول ما خلق الله نور محمد ﷺ من نوره تعالى والحديث فى ذلك طويل ثم لما خلق الله طينة آدم عليه السلام وسواه أجرى ماء روحانية آدم من مشرب محمد ﷺ الجامع وكذلك حين خلق طينة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وبقية المرسلين عليهم السلام على حسب ترتيب خلق طيناهم فى هذا الوجود أجرى الله تعالى مياه روحانياهم التى هى مشاربهم الخاصة من ماء روحانية محمد ﷺ التى هى مشربه الجامع ثم لما خلق الله تعالى طينة محمد ﷺ أجرى ماء روحانيته الجامعة فى [٣٧٣] طينته المخصوصة ﷺ فظهر فى هذا الوجود مرتين مرة بطريق التفصيل فى أطوار رقائق الأنبياء والمرسلين قبله ومرة بطريق الإجمال ومعلوم أن الإجمال بعد التفصيل ولهذا ختمت به النبوة فلا نبى بعده لتمام التفصيل بإجماله ﷺ انتهى منه بلفظه.

ثانيها: ختم كل مقام من المقامات الكلية وهو الشخص الذى يختم الله به كل مرتبة من مراتب الولاية وهو المتحقق بنهاية كمال تلك المرتبة.

ثالثها: ختم جميع المقامات وهو الوراث الجامع المعروف بختم الولاية المحمدى العام فى كل زمان وهو فى اصطلاحهم من بلغ مقام القطبية العظمى وفى كلام صاحب جواهر المعانى نقلاً عن شيخه أبى العباس التيجانى أن القطب الكامل لا تتجلى له حقيقة الكبرياء إلا بعد بلوغه للرتبة العليا من القطبانية قال وذلك المقام يسمونه ختم المقامات ولم يرتقه من الأقطاب إلا القليل لبعد مرامه راجع كلامه بتمامه فى الفصل الثانى من الباب الخامس والظاهر أن هذه ختمية خاصة هى نهاية ختم المقامات من المتكلم عليها عامة فى جميعهم قال النابلسى فى شرحه للطريقة المحمدية ما نصه: اعلم

أن مقام نبينا محمد ﷺ الخاتم لمقامات النبيين والمرسلين عليهم السلام أعلى المقامات كلها وهو الجامع لجميعها وقد ورثه فى مقامه هذا أولياء كثيرون من أمته يقال للواحد منهم خاتم الولاية المحمدية وكل ولى دونه على [٣٧٤] مشرب نبى من الأنبياء عليهم السلام وفى كل زمان ختم ولاية وأولياء دونه إلى يوم القيامة إن شاء الله تعالى انتهى.

رابعها: ختم الولاية المحمدى الخاص لا فى كل زمان بل فى الدنيا كلها من لدن آدم إلى النفخ فى الصور يختم الله به الولاية المحمدية الخاصة الحاصلة من الإرث المحمدى فلا يوجد بعده ولى على قلب خاتم الرسل ولا وارث بعده للولاية المحمدية الخاصة وهو الختم الأكبر الذى ذكر أنه الشيخ الأكبر قال النابلسى فى الرد المتين ولا يمنعها كثرة الأولياء فى عصره ولا فيما بعده فى مدينة فاس أو فى غيرها من الأرض لأن ولايتهم غير محمدية خاصة انتهى.

وقال فيه أيضاً بعد هذا بيسير ما نصه اعلم أن الأولياء بعده ﷺ موجودون باقون إلى يوم القيامة وهم على قسمين محمدى جامع ومحمدى غير جامع فالأول من ورث محمدا ﷺ فى جمعيته لجميع مشارب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ولم تفته إلا درجة النبوة لكونها غير مكتسبة وجاء من هؤلاء كثيرون فى الأمة آخرهم الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محيى الدين بن عربى الحاتمى ﷺ وهذا معنى قوله إنه خاتم الولاية المحمدية الخاصة ثم قال وأما الثانى وهو المحمدى الغير الجامع فهو من ورث محمدا ﷺ لكن لا من جمعيته لجميع مشارب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بل من جهة مشرب نبى من الأنبياء فقط كنوح أو إبراهيم أو موسى أو عيسى عليهم السلام فيقال فى هذا القسم نوحى [٣٧٥] محمدى أو إبراهيمى محمدى أو موسوى محمدى أو عيسوى محمدى ونحو ذلك وهم الأفراد وهؤلاء يكون خاتمهم فى آخر الزمان حضرة السيد المهدى خاتم الولاية المطلقة ﷺ انتهى منه بلفظه.

– روحانيات الأولياء –

وقال أيضاً ما نصه اعلم أيضاً أن روحانيات الأولياء على قسمين:

الأول: روحانيات مستمدة من الروح الأعظم محمد ﷺ لكن بوجه خاص غير الوجه الذى استمدت منه بقية الأنبياء عليهم السلام وهى روحانيات الأولياء المحمديين الجامعين الذين ختموا بالشيخ الأكبر رضى الله عنهم وبهذا الاعتبار يقال فيهم لا يجدون أمامهم قدما إلا قدم محمد ﷺ كما ينقل ذلك عن ابن تائد وأمثاله والقسم الثانى: روحانيات مستمدة من الروح الأعظم أيضاً لكن بواسطة روحانية نبى من الأنبياء عليهم السلام فكانت روحانية هذا النبى موصلة لروحانية هذا الولى ما يفيضه عليه الروح الأعظم من حضرة الأزل وهى روحانيات الأولياء المحمديين الغير الجامعين الذين يختصوه بالسيد المهدى ﷺ انتهى بلفظه أيضاً.

خامسها: ختم الكمل من عبيد الاختصاص الوارثين وهو عبد له جمع الجمع قال الشيخ صدر الدين القونوى فى تفسير الفاتحة له لا جامع بعده مثله ولا حائز لكل المواريث غيره وله كمال الآخرية المستوعبة كل حكم دون سواه قال فلهذا لا يعرفه غير مولاه انتهى.

سادسها: ختم الخلافة العامة المحمدية الظاهرة عن الرسول ﷺ بالسيف والشوكة والظهور [٣٧٦] وهو محمد بن عبد الله الإمام المهدى المنتظر خلاف ما ذكرناه والنابلسى من أنه خاتم الولاية المطلقة.

سابعها: ختم الإمامة العامة المحمدية بل مطلق الخلافة عن الله سبحانه فلا يكون بعده خليفة عن الله تعالى إلى قيام الساعة وهو عيسى عليه السلام.

ثامنها: ختم الولاية من حيث أنها ولاية فلا ولى بعده أصلاً وليس بعده إلا القيامة قيل وهو خاتم الأولاد الذى ذكر الشيخ الأكبر أنه يولد بالمائتين بعده يسرى العقم فى الرجال والنساء فى جميع الأرض فيكثر النكاح من غير ولادة ويدعوهم إلى الله فلا يجاب ويكون على قدم سيدنا شيس عليه السلام وهو حامل أسراره من علومه وتجلياته راجع الفصوص فى آخر فص الحكمة الشيسية وشرح القيصرى عليها لكن فى

الفتوحات فى مواضع منها ما هو صريح فى أن الختم العام وختم الولاية المطلقة وعلى الإطلاق والعامة من آدم إلى آخر ولى هو عيسى عليه السلام قال فى الباب الرابع عشر ما نصه: واعلم أيدك الله أن عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نـــزل ما يحكم إلا بشريعة محمد ﷺ وهو خاتم الأولياء فإنه من شرف محمد ﷺ أن ختم الله ولاية أمته والولاية المطلقة بنبى رسول مكرم ختم به مقام الولاية انتهى.

قال فى الباب الثالث والسبعين ما نصه ومنهم رضى الله عنهم الختم وهو واحد لا فى كل زمان بل هو واحد فى العالم يختم الله به الولاية المحمدية [٣٧٧] فلا يكون فى الأولياء المحمديين أكبر منه وثم ختم آخر يختم الله به الولاية العامة من آدم إلى آخر ولى وهو عيسى عليه السلام هو ختم الأولياء كما كان ختم دورة الملك انتهى المراد منه.

وقال فى جواب السؤال الثالث عشر من أسئلة الحكيم الترمذى ما نصه فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولى بالنبوة المطلقة فى زمن هذه الأمة وقد حيل بينه وبين نبوة التشريع والرسالة فينـــزل فى آخر الزمان وأيضا خاتما لا ولى بعده بنبوة مطلقة إلى أن قال وأما ختم الولاية العامة الذى لا يوجد بعده ولى فهو عيسى عليه السلام انتهى.

وقال فى الباب التاسع والستين وثلاثمائة فى الفصل التاسع عشر عندما تكلم فيه على مرتبة الخلافة وأنها كانت ابتداء لآدم ثم ما زال يتلقاها كامل عن كامل حتى انتهت إليه ﷺ ثم بعده إلى الكاملين من أمته ما نصه إلى أن ينتهى الأمر فى ذلك إلى خاتم الأولياء خاتم المجتهدين المحمديين إلى أن ينتهى إلى الختم العام الذى هو روح الله وكلمته فهو آخر متعلم وآخر أستاذ لمن أخذ عنه ويموت هو وأصحابه من أمة محمد ﷺ فى نفس واحد بريح طيبة تأخذهم من تحت آباطهم يجدون لها لذة كلذة الوسنان الذى قد جهده السهر وأتاه النوم فى السحر الذى سماه الشارع العسيلة لحلاوته فيجدون للموت لذة لا يقدر قدرها ثم يبقى رعاع كغثاء السيل [٣٧٨] أشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة انتهى.

وقال فى الباب الثانى والثمانين وثلاثمائة ما نصه: ثم إن عيسى عليه السلام إذا نـــزل فى الأرض فى آخر الزمان أعطاه الله ختم الولاية الكبرى من آدم إلى آخر نبى تشريفا لمحمد ﷺ حيث لم يختم الله الولاية العامة فى كل أمة إلا برسول تابع إياه ﷺ وحينئذ فله ختم دورة الملك وختم الولاية أعنى الولاية العامة فهو من الخواتم فى العالم انتهى.

وقال فى الباب الأحد والستين وأربعمائة ما نصه فلا تعرف مراتب الرسل إلا من الختم العام الذى يختم الله به الولاية العامة فى آخر الزمان وهو عيسى بن مريم روح الله انتهى.

فهذه النصوص صريحة فى أنه ليس بعده ولى وأن موت المولود المذكور يكون معه أو قبله وربك أعلم ومما يوافق كلامه هذا ما ذكره صدر الدين القونوى فى تفسيره لفاتحة الكتاب وهو المسمى " بإعجاز البيان فى تفسير أم القرآن " لدى تعداده لبعض النعم التى أنعم الحق تعالى بها على بعض مخلوقاته ما نصه: وآخر الموجودات تحققا بهذه النعم عيسى بن مريم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لأنه لا خليفة لله بعده إلى يوم القيامة بل لا يبقى بعد انتقاله وانتقال من معه مؤمن على وجه الأرض فضلاً عن ولى وكامل كذا أخبر نبينا ﷺ انتهى.

ولذا قال الجامى فى "شرح الفصوص": اعلم أن مراد الشيخ ﷺ بخاتم الأولاد غير خاتم الولاية فإن خاتم الولاية المقيدة عند [٣٧٩] الشيخ هو الشيخ نفسه وخاتم الولاية المطلقة وهو عيسى عليه السلام كما أومأ إلى الأول وصرح بالثانى فى مواضع متعددة من كلامه ولا يخفى أن هذه القصة يعنى قصة خاتم الأولاد لا تنطبق على حال واحد منهما ومن حمله على خاتم الولاية المطلقة فكأن منشأ حمله أنه لما كان خاتم الأولاد حاملاً لأسرار شيس عليه السلام لابد أن يكون من الأولياء وإذا كان من الأولياء و لم يتولد بعده ولى آخر يلزم أن يكون خاتم الأولياء وليس الأمر كذلك فإنه يمكن أن يكون تحققه بالولاية قبل نـــزول عيسى عليه السلام وظهوره بالولاية ويكون نـــزول

عيسى عليه السلام فى زمانه أو زمان من بقى من مؤمنى زمانه بعده ولا يتحقق أحد بعده أى بعد عيسى بالولاية فيكون خاتما للولاية انتهى.

ثم رأيت فى شرح الشيخ بالى على الفصوص فى الكلام على خاتم الأولاد هذا ما نصه: هذا الولد هو الولى الذى لا تستجاب دعوته يكون بعد ختم الولاية العامة وهو عيسى عليه السلام ومعنى قوله يعنى الشيخ لا ولى بعده أى الولى الذى تستجاب دعوته وتؤثر ولايته وينتفع الناس بكمالاته ومعارفه فلا تنافى ختميته وجود هذا الولد كما لا تنافى ختمية الرسل وجود عيسى بعده مع أنه نبى مرسل لعدم العمل بأحكام نبوته انتهى.

وانظره مع قول الشيخ فيما سبق عنه أن عيسى عليه السلام يموت هو وأصحابه من أمة محمد عليه السلام فى نفس [٣٨٠] واحد ثم يبقى رعاع كغثاء السيل أشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة فإن الظاهر منه أن هذا الولد يموت مع عيسى أو قبله والله أعلم.

وبما قررناه من هذا الجمع المستطاب يندفع التعارض بين كلام الشيخ الأكبر وغيره من الأولياء فى هذا الباب وإلى الله المرجع والمآب، وقد ادعى مقام الختمية أو ادعيت له جماعة كثيرة منهم الشيخ الإمام الحافظ الهمام الأستاذ الكبير العارف الشهير الصوفى الواعظ أبو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر الترمذى الحكيم صاحب كتاب " نوادر الأصول " ولذا ألف كتاب " ختم الولاية " وقد ذكر فى هذا الكتاب أن منازل القطبانية مائة ألف واثنان وأربعون ألف منـــزلة وكل الذى فى منـــزلة لا يعرف من فى المنـــزلة الأخرى التى فوقه بل ينكره عليه ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦] نقله العارف بالله سيدى محمد بن الفقيه دفين مدارج العيون من فاس فى كتابه الذى سماه "شمس القلوب " ولما صنف الترمذى هذا الكتاب وكتاب " علل الشريعة " كفروه ونفوه من ترمذ وقالوا أنه يقول إن للأولياء خاتما كما أن للأنبياء خاتماً ويفضل الولاية على النبوة فجاء إلى بلخ فقتلوه واعتذر الشيخ أبو عبد الرحمن

السلمى عنه ببعد فهم الفاهمين قال التاج السبكى فى طبقاته فى ترجمته والأمر كما زعم السلمى وإلا فلا يظن بمسلم أن يفضل غير الأنبياء عليهم انتهى.

وفى الطبقات الشعرانية أن الشيخ أبا العباس المرسى وشيخه أبا [٣٨١] الحسن الشاذلى كانا يجلانه ويعظمانه وإن كتاب ختم الأولياء له كان يقرأ على أبى العباس المرسى.

وفى "شرح المواهب اللدنية" قال ابن عطاء الله كان الشاذلى والمرسى يعظمانه جداً ولكلامه عندهما الحظوة التام ويقولان هو أحد الأوتاد الأربعة وأطال القشيرى وغيره الثناء عليه انتهى.

ومنهم الأستاذ العارف ذو الإشارات والحقائق والمعارف سيدى محمد وفى الشاذلى قال الشعرانى فى الطبقات كان من أكابر العارفين وأخبر ولده سيدى على ﷺ أنه هو خاتم الأولياء صاحب الرتبة العلية وكان أميا وله لسان غريب فى علوم القوم ومؤلفات كثيرة ألفها فى صباه وهو ابن سبع سنين أو عشر فضلا عن كونه كهلا وله رموز فى منظوماته ومنثوراته مطلسمة إلى وقتنا هذا لم يفك أحد فيما نعلم معناها انتهى.

وقال أيضاً فى ترجمة ولده سيدى على وفا ما نصه: وكان يقول سيدى ووالدى صاحب الختم الأعظم فالشاذلى وجميع الأولياء من جند مملكته فهو يحكم ولا يحكم عليه فى سائر الدوائر فلا يقال لنا لم لا تقرءون حزب الشاذلى لأنكم من أتباعه فافهم.

قلت أى قال الشعرانى قد ادعى مقام الختمية جماعة من الصادقين فى الأحوال والذى يظهر أن لكل زمان ختما بقرينة قوله فيما سبق لكل ولى خضر والله أعلم انتهى.

وعبارة سيدى على فى كتاب " مفاتيح الخزائن العلية " له أستاذنا يعنى والده صاحب الختم الأعظم فالشاذلى وجميع الأولياء من جنود مملكته ومأمومى إمامته وليس هو فى زمرة ذى حكم لأن أستاذنا يحكم ولا يحكم عليه فى سائر الدوائر لأنه سر خاتم النبيين ووارث كماله إلى آخر كلامه.

قلت [٣٨٢] وكلامه هذا يفيد أن ختميته غير متقيدة بعصره وزمانه لقوله فالشاذلى وجميع الأولياء من جنود مملكته ووفات الشاذلى سنة ست وخمسين وستمائة قبل ولادة والده سيدى محمد هذا بأعوام كثيرة وأخذ سيدى محمد هذا عن سيدى داود بن فاخل الباخلى عن تاج الدين أحمد بن عطاء الله الإسكندرى صاحب الحكم عن أبي العباس المرسى عن أبي الحسن فبينه وبين أبو الحسن ثلاث وسائط والله أعلم.

ومنهم الشيخ الشهير الذكر العلى القدر غوث زمانه وقطب أوانه صفى الدين أحمد بن محمد بن يونس الملقب بعبد النبى القشاشى الدجانى بتخفيف الجيم المقدسى ثم المدنى دفين البقيع شرقى قبة السيدة حليمة السعدية فإنه شهد له غير واحد من أولياء وقته بأنه الإمام المفرد، وقال أبو سالم العياشي فيه فى رحلته لمثله تضرب أكباد الإبل شرقا وغربا بل لا مثل له وذكر هو عن نفسه أنه وصل إلى مقام الختمية فى عصره فإنه كتب بخطه على رسالة شق الجيب السابقة لدى قول صاحبها والختم وهو واحد لا فى كل زمان إلى آخره ما نصه الذى يتحقق وجدانه أن الختمية الخاصة مرتبة إلهية ينـــزل بها كل أحد لها حسب وقته وزمانه غير منقطعة أبد الآباد إلى أن لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله لعدم خلو المراتب الإلهية عن القائمين بها حتى يصير القائم بها كالسفر الحافظ لمرتبة العدد فيما قبله وبعده بأنفاسه تتم الصالحات وتقضى الحاجات وقد تحققنا بذلك حقا ونـــزلناه منازلة وصدقا.

وممن رأيته من مشايخى من أهل الختمية المذكورة سنداً متصلاً منهم إلينا من غير انقطاع بإذن الله تعالى خمسة [٣٨٣] أنفس سادسهم كلبهم لا رجماً بالغيب وربه قاله عبد الجميع أحمد بن محمد المدنى انتهى نقله فى خلاصة الأثر فى ترجمته.

قلت وأخذه هو ﷺ عن الشيخ العارف بالله أبي المواهب أحمد بن على بن عبد القدوس القرشى العباسى الشناوى ثم المدنى صاحب ضمائر السرائر الذى هو حاشيته على السرائر وهو القائل لو كان الشعرانى حيا ما وسعه إلا اتباعى والقائل لا يدخل النار من رآنى إلى يوم القيامة وضريحه بالبقيع بالقرب من ضريح شيخه وبعده الإمام الأوحد الجامع بين علمى الظاهر والباطن السيد صبغة الله بن روح الله الحسينى

البرووجى ثم المدنى وضريحه خلف قبة سيدنا إبراهيم ولد النبى ﷺ عن الشيخ الإمام العلامة وجيه الدين العلوى الأحمد أبادى عن الشيخ محمد الغوث بن خطير الدين الشطارى الحسينى وهو صاحب كتاب الجواهر الخمس وشيخ السلسة الغوثية عن سلطان الموحدين أبى الفتح هدية الله صرمست بمعنى سكران الرأس الشيخ ظهور الحق الحاج حضور فهؤلاء والله أعلم هم الذين عنى بخمسة أنفس الذين هو سادسهم رزقنا الله رضاهم ومحبتهم آمين ومنهم الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر أبو عبد الله سيدى محمد بفتح الميم بن عيسى السفيانى الأصل المختار دفين مكناس الشريف الحسنى على ما قيل من أولاد أبى السباع الذين هم من نسل المولى أحمد بن المولى إدريس الأنور بانى ﷺ وهو شيخ الطريقة العيسوية المشهورة بالمغرب والمعروف بين الأولياء بالكبريت الأحمر والقائل لا يدخل النار من قال أنا صاحب لابن عيسى ولو كان ذلك مزحا والقائل من [٣٨٤] زارنى حيا وميتا يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ويغفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإن مات فى ذلك اليوم بعد الزيارة مات شهيدا أو القائل من جلس معى فى دار الدنيا أو نظرنى ولو فى منامه ضمنت له على الله الجنة والقائل أعطانا الله تعالى خاتما نختم به كل قطب وولى وعالم وكل ذلك من فضل ربى سبحانه والمقول فيه أنه الإكثير الذى لا نظير له والصالحون كلهم غرفوا من بحر النبى ﷺ والشيخ ابن عيسى غرف فيه وترجمته أفردت بالتآليف وصرحوا بأن الخلافة الجزولية صارت إليه من بعد الجزولى وتلميذه التباع طالع تطلع ووفاته سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة.

ومنهم الشيخ العارف صاحب الكمالات والمعارف أبو الصفا وأبو العطا سيدى الحاج أحمد بن مسعود الشاوى المدعو بسيدى الحاج الشهير وهو صاحب المزارة المجاورة لضريح الشيخ أبى محمد عبد القادر الفاسى الذى بحومة القلقليين من فاس المحروسة قال فيه فى نشر المثانى من أهل الفيض والعرفان والقدم الراسخ فى المواهب اللدنية ووصفه فى " المنح البادية " بالولى العارف المتمكن ثم ذكر أنه كان خاتم أولياء

زمانه وأنه أخذ عن روحانية كثير من الأولياء والصحابة كما هو حال الختم ووفاته ﷺ فى ذى الحجة مكمل عام خمسة عشر ومائة وألف.

ومنهم العارف بالله القطب الربانى أبو العباس سيدى أحمد بن محمد التيجانى صاحب الضريح الشهير بفاس والأتباع الكثيرة بالمغرب الأقصى والأدنى والمتوسط وبلاد الشناقطة والسودان وغير ذلك فإنه ذكر عن نفسه فيما نقله عنه أصحابه أنه صاحب الختمية الكبرى [٣٨٥] وأن مقامه لم يعط لأحد من الأولياء غيره ما عدا الصحابة وأن الشيخ عبد القادر والحاتمى وإن علا مقامهم على جميع الأولياء فقد زاد هو عليهما فى المقام بأمر لم يصلاه ولم يظفر به وأنه من آدم إلى النفخ فى الصور لم يبلغ أحد من الأولياء مقامه ما عدا الصحابة وأن النبى ﷺ سماه بالقطب المكتوم لأن مقامه مكتوم عن جميع الأولياء لم يطلع عليه أحد منهم وإن حقيقته فى مقامه الخاص به لم يطلع عليه أحد إلا الله تعالى وسيد الوجود ﷺ وأنه طلب من النبى ﷺ أن يجمع له بين الفردانية والقطبانية فضمن ذلك له وكثرة الأصحاب من الجن والإنس فضمنهم له إلى غير ذلك مما نقلوه عنه فى فضله وفضل أصحابه وأتباعه راجع كتاب " الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحر القطب المكتوم " لتلميذه الخاص أبى عبد الله محمد بن المشرى وهو فى مجلدين وغيره من كتب أصحابه وأتباعه والكلام فى هذا المقام متسع جدا والخوض فيه صعب كذلك والأقاويل فيه متناقضة بحسب الظاهر والفهم القاصر وصاحب الفتح الكبير يعلم المقادير ويزن كل شيء بالقسطاس ولا يشكل عليه كلام أحد من هؤلاء الناس لتنـــزيله كل كلام منـــزلته وإيصاله لكل ذى حق ومرتبة حقه ومرتبته على أن الصادق قد يقع له فيما يخبر به عن نفسه من بعض مقامته ظن أو اشتباه ثم يتبن له بعد ذلك خطأه فى ظنه ودعواه كما ذكر ذلك الشيخ العارف بالله سيدى عبد الرحمن الشامى فى كتاب الأسرار له فى أواخره أثناء عده لبعض طوائف الأولياء أن منهم من يكون عنده زمام الأولياء الصادقين فيظن أنه خاتم الأولياء ويزعم أنه يعرف جميع الأولياء وهو لا يعرف [٣٨٦] سوى الصادقين منهم وأما الصديقون فلا يعرفهم ولا يشعر بهم وأيضا فإنه يظن أنه يمد الأقطاب ويمد جميع

الأولياء وهو جالس فى باب كذا ويرى أن كل ما خرج عن ذلك الباب للأولياء من أمانة أو غيرها يخرج على يديه ولا يرى أحداً من أولئك الأولياء ملحوظا ولا معتنى به غيره فيظن أنه هو القطب الأكبر وفى نفس الأمر كل ما يخرج على ذلك الباب من أمانة أو غيرها هو على يد القطب الذى هو الغوث الجامع حتى الزمام الذى هو فى يده الغوث هو الذى مكنه منه فى ظهر الغيب وكذلك يمده هو فى ظهر الغيب ولا يخرج من الدنيا حتى يعرف الغوث الجامع ويتحقق أنه كان على خطأ فى ما كان يعتقده راجعه.

وفى كتاب " شمس القلوب " للعارف بالله سيدى محمد بن الفقيه دفين مدارج العيون من فاس أثناء عده أيضاً لبعض أصناف الأولياء ما نصه ومنهم الغريب وهو واحد فى كل زمان يظن أنه القطب وليس هو القطب انتهى.

وفى " الطبقات الشعرانية " فى ترجمة أبى العباس المرسى أنه قال فى قول الجنيد ﷺ أدركت سبعين عارفا كلهم يعبدون الله على ظن ووهم حتى أخى أبى يزيد لو أدرك صبياً من صبياننا لأسلم على يديه معناه أنهم يقولون ما بعد المقام الذى وصلناه مقام فهذا وهم وظن فإن كل مقام فوقه مقام إلى ما لا يتناهى وليس معناه الظن والوهم فى معرفتهم بالله تعالى ومعنى لأسلم على يديه أى لانقاد له لأن الإسلام هو الانقياد انتهى والله أعلم.

فخرج من هذا أن أهل الغربة الذين هم منهم مفاتيح الكنوز الأربعة الذين هم من الأفراد ومن أهل القربة والختم [٣٨٧] الذى هو منهم أيضاً معه بعدم السبب ... العظمى فهو بين الصديقية والنبوة والختم أعنى به الختم المحمدى الأكبر أعلى الجميع مقاما وأرفعهم رتبة وأعز مراما لأنه الواسطة بين النبوة والولاية والحائز لكل ما عند الأولياء من الكمالات والعناية والفيوضات التى تفيض من ذاته ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء والصحابة وكل ما فاض وبرز من ذواتهم تتلقاه ذات هذا الختم ومنه يتفرق على جميع الأولياء من لدن آدم إلى النفخ فى الصور وخص هو مرتبتهم بعلوم لا يعلمها إلا الله عز وجل وهو أعظم مظاهره ﷺ من البشر بعد الأنبياء والصحابة.

وفى " الفتوحات " فى الباب الرابع عشر بعد ما تكلم فيه على القطب الواحد الذى هو روح سيدنا محمد ﷺ وأنه الممد لجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والأقطاب من حين النشء الإنسانى إلى يوم القيامة ما نصه ولهذا الروح المحمدى مظاهر فى العالم وأكمل مظهره فى قطب الزمان وفى الأفراد وفى ختم الولاية المحمدى وختم الولاية العامة الذى هو عيسى عليه السلام انتهى.

ثم هذا الخليفة القطب له حين توليته إلى هذه المرتبة العلية الجسمية مبايعة عظيمة كريمة يبايع بها من الأرواح الملكية وعظماء الجن الخفية وخواص أهل الله من البشر وغيرهم من النباتات والجمادات وكل حجر ومدر وهذه المبايعة العامة لا تكون إلا له خاصة لظهوره بالصورة الإلهية فى الأكوان وتحققها بحقائقها فى كل آن [٣٨٨] وللناس كلام طويل فى هذه المبايعة وكيفيتها وأحوالها وما يتعلق بها بل أفرد ذلك الشيخ الأكبر بمؤلف حافل سماه " مبايعة القطب فى حضرة القرب " وهو متضمن لعلم كثير لم يسبقه غيره إلى بيانه وعقد لها أيضاً فى " الفتوحات " بابا وهو السادس وثلاثون وثلاثمائة فى معرفة منــزل مبايعة النبات القطب صاحب الوقت فى كل زمن فليرجع إليهما من أراد استيفاء ذلك.

وله أيضاً كلام مختصر فيها فى الباب السبعين ومائتين نورده ها هنا ونصه وجرت السنة الإلهية فى القطب إذا ولى المقام أن يقام فى مجلس من مجالس القرب والتمكين وينصب له فيه تخت عظيم لو نظر إلى بهائه الخلق لطاشت عقولهم فيقعد عليه ويقف بين يديه الإمامان اللذان قد جعلهما الله له ويمد يده للمبايعة الإلهية والاستخلاف وتؤمر الأرواح الملكية والجن والبشر الروحانى بمبايعتة واحداً بعد واحد وجل جناب الحق أن يكون وردا لكل وارد وأن يرد عليه واحد بعد واحد فكل روح يبايعه فى ذلك المقام يسأله أعنى يسأل الروح القطب عن مسألة من المسائل فيجيبه أمام الحاضرين ليعرفوا منــزلته من العلم فيعرفون فى ذلك الوقت أى اسم إلهى يختص به وقد أفردنا لهذه المبايعة كتابا سميناه " مبايعة القطب فى حضرة القرب " وذكرنا فيه معنى مسائل كثيرة مما سئل عنها فأجاب ولا تبايعه إلا الأرواح المطهرة المقربة ولا

يسأله من الأرواح المبايعة له من الملائكة والجن والبشر إلا أرواح الأقطاب الذين درجوا خاصة فذكرنا فى ذلك الكتاب سؤالهم وجوابه عليها [٣٨٩] موفى وهكذا هى حالة كل قطب يبايع فى زمانه انتهى منه بلفظه.

وهذه الخلافة والمبايعة هى فى حضرته ﷺ أتم وأكمل وأعم وأشمل وأشرف وأعلى وأعز وأغلى بل هى فى الحقيقة وبالأصالة له لا لغيره من الملائكة أو الناس لأنه الجنس العالى على جميع الأجناس ولجمعيته الظاهرة والباطنة الجمعية الأعمية والأخصية التى لا أعم ولا أخص منها ولأنه أوتى جوامع الكلم و لم يؤتهن نبى قبله ولأنه مرسل إلى الخلق كافة من الأزل إلى الأبد وذلك خاص به ولأن العالم كله علويه وسفليه ملكه ومخلوق من أجله فإنه تعالى أحب أن يرى كمال ذاته فى كون جامع يحصر الأمر فكان هو له تعالى كالمرآة يرى بها ذاته الأقدس فكان مظهرا إلاهيا جامعا جمليا وسع الحق تعالى بقلبه فكل أسمائه وصفاته على أكمل وجه وأتمه وقد أدرج الحق تعالى فى نوره الأكرم جميع المكونات جملة واحدة ثم فصلها منه فكان وجودها وأمدادها منه وكان الخليفة الأعظم عليها والحاكم الأكبر فيها فى كل حضرة بل هو الحاكم الأخص والخليفة الأعز فى جميع الحضرات الإلهية والكونية من ابتداء الوجود إلى انتهائه فى كل ذرة من ذراته وما يعرض من جميع حالاته حتى حركاته وسكناته فسبحان من خص من شاء بما شاء وقد أشار تعالى فى غير ما آية من كتابه إلى خلافته وهو نص فى آية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠] على أن بيعته كبيعته بل دلت هذه الآية على أن بيعته عين مبايعة الله لحيازته لمرتبة الله الخلافة العظمى [٣٩٠] والنيابة الكبرى عن الله وفى الصلاة الأكبرية ويقال لها الفيضية للشيخ الأكبر قدس الله سره حبيبك الذى استجليت به جمال ذاتك على منصة تجلياتك ونصبته قبلة لتوجهاتك فى جامع تجلياتك وخلعت عليه خلعة الصفات والأسماء وتوجته بتاج الخلافة العظمى انتهى.

وجميع الخلفاء له تعالى هم خلفاؤه ﷺ ونوابه فهم خلفاء الله تعالى من تحت خلافته وقبل خلق آدم عليه السلام كانت النيابة عنه فيها للملائكة وبعد خلقه صارت

له ولبنيه إلى يوم القيامة وفى " شعب الإيمان " للشيخ عبد الجليل القصرى ما نصه ومنهم يعنى من الأولياء القطب وهو الذى يضاهى الخضر عليه السلام ويجاريه فى العلم والأحوال وهو رحمة الله وغياث الأمة وهو فى زمانه فى الاعتبار بدل من النبى ﷺ ووارث بعض مقامته فى الأحوال انتهى.

ومن جواب للشيخ العارف أبى بكر بن عبد الله بن أبى بكر بن عبد الرحمن العيدروس العلوى الحسينى ما نصه واتفق أهل الحق على أن القطب الحقيقى هو من قام بأعباء الخلافة النبوية ونفذت أحكامه ظاهراً وباطناً فى البرية لأن حقيقة الوارث من قام مقام الموروث فأكمل الأقطاب هم الخلفاء الأربعة على الترتيب رضى الله عنهم ولكمالهم تأهلوا للجمع بينالحكم على الظواهر والبواطن ثم اختلفت بعدهم اليد الظاهرة على سيدنا الحسن ﷺ فسائر الأقطاب من بعده على مقامه انتهى.

واعلم أن له عليه الصلاة والسلام خلفاء ونواب ومظاهر لا تحصى ولا تحصر عند ذوى الألباب [٣٩١] لأنه ما من عالم من العوالم العلوية والسفلية أو حضرة من الحضرات الإلهية والكونية أو موكب من مواكب الأرواح المهيمة والملائكة المكرمة أو جنس من الأجناس المعظمة والمخلوقات المحترمة إلا وله فيه خليفة ونائب يتحكم فيه بحسب النيابة عنه بالحكم النافذ الصائب لكن أكمل مظاهره ونوابه وأعلاها وأعمها تصرفا وحكما وأولاها مظاهره وخلافاؤه من هذا الجنس الإضافى الذى ما له فى رتبته ومكانته من ثانى وأعلى مظاهره من هذا الجنس وخلفائه قطب الوجود الذى هو فى وقته وزمانه أكمل موجود وإلى هذا الخليفة من هذا الجنس يشير الشيخ الأكبر فى صلاته الأكبرية بقوله وارض عن خليفته أى خليفة الرسول ﷺ فى هذا الزمان من جنس عالم الإنسان الروح المتحسد والفرض المتعدد حجة الله فى الأقضية وعمدته فى الأمضية محل نظر الله من خلقه ومنفذ أحكامه بينهم بصدقه الممد للعوالم بروحانيته المفيض عليهم من نور نورانيته من خلقه الله على صورته وأشهده أرواح ملائكته وخصصه فى هذا الزمان ليكون للعالمين أمان فهو قطب دائرة الوجود ومحل السمع

والشهود فلا تتحرك ذرة فى الكون إلا بعلمه ولا تسكن إلا بحكمه لأنه مظهر الحق ومعدن الصدق انتهى.

ومن أوصى صاحب هذه الخلافة أنه يتمكن من فعل ما يريد فى كل ما أراده فيحيى الموتى إذا شاء من إنسان أو طير أو حيوان ويناديها فتجيبه مسرعة ولو كانت رميمة ويثمر الشجرة اليابسة فى الحين إذا شاء ويجرى الأنهار ويقطعها ويحيى الأرض بالنبات [٣٩٢] ويميتها إذا شاء ويعطى ويمنع ويرفع ويسعد ويشقى ويعزل ويولى إلى غير ذلك من أنواع التصرفات وأصناف الكرامات إلا أن عليه جبال الأدب مع الحضرتين الإلهية والمحمدية لأنه ممحق فيهما ميت عن جميع حظوظه فلا قيام له إلا بقيام الحق ولو قيل له ما تريد لقال ما أريد إلا ما يريد فهو فان عن مراداته قائم بإرادة الحق فى جميع حركاته وسكناته وتقلباته وإراداته ثم إنه لم تـــزل هذه المرتبة من سيدنا الحسن السبط الذى هو أول الأقطاب أعنى أول من انفردت له الخلافة الباطنية عن الخلافة الظاهرة تنتقل من قطب إلى قطب إلى أن انتهت النوبة للشيخ الإمام القطب الغوث الفرد الجامع سيدى عبد القادر الجيلانى ﷺ قال فى المفاخر العلية نقلاً عن الشيخ العارف شهاب الدين أحمد بن فخر الدين بن بكر اليمنى القرشى فتصرف بأمر الله وتحرك بإذنه وحكم فى خلقه بحقه فولى وعزل وهدى وخذل وأحيا وقتل وأمرض وأشفا ومنع وأعطى ووصل وقطع وحمى ودفع وسلب وحجب وأعطى المحب ما طلب وفعل بأمر الله ولا عجب انتهى.

وقد قال قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تعالى فوضعت أولياء الدنيا، قال جماعة بلو أولياء الجن جميعهم رءوسهم وطأطؤها وخضعوا له واعترفوا بما قال لمكان الأمر كما سجدت الملائكة لآدم لورود الأمر عليهم بذلك إلا رجل بأصبهان أبى فسلب حاله لوقته. وسئل يوما فقيل يا سيدى من شيخك فقال أما فيما مضى فكان شيخى حماد بن مسلم الدباس وأما الآن فأنا أستقى من بحر النبوة يعنى بها النبى ﷺ [٣٩٣] وبحر الفتوة يعنى به على بن أبى طالب ثم من بعده له حكم الإله بإخفاء هذا المقام وصونه وفيضه دائم متصل على الدوام إلى أن ظهر القطب الشهير ذو الفضل الكبير

والنور الكثير والمدد الغزير سيدى أبو الحسن الشاذلى ﷺ قال فى المفاخر أيضاً نقلاً عمن ذكرناه فظهر بالخلافة الكبرى والولاية الكثرى والقطبية العظمى والغوثية الفردى وخصه الله تعالى بعلوم الأسماء ومن عليه بأعلى مقامات الأولياء وأخص خصوصيات الأصفياء وانفرد فى زمانه بالمقام الأكبر والمدد الأكثر والعطاء الأنفع الأوسع وتصرف فى أحكام الولاية ومددها بالإذن والتمكين وانفرد بسؤددها حق اليقين وأمد الأولياء أجمعين وأم بالصديقين وشهد بقطبانيته وفردانيته الجم الغفير وأمر أن يقول بحضرة أكابرهم قدمى هذا على جبهة كل ولى لله فقال ذلك ممتثلا للأمر معظما للقدر مقرا بالعبودية ولا فخر انتهى.

والقول المذكور هو لسان القطبية والخلافة ولما قاله وضعت الأولياء رءوسها وحطت بين يديه نفوسها وأنصفوا له وأذعنوا وبمكانته العلية ورتبته العزيزة أيقنوا ولما قال لبعض الأولياء إنه لينـــزل على المدد فأرى سريانه فى الحوت فى الماء والطير فى الهواء قال له ذلك الولى فأنت إذا القطب فقال أنا عبد الله أنا عبد الله ومن كلامه أيضاً أخذت ميراثى من رسول الله ﷺ فمكنت من خزائن الأسماء فلو أن الجن والإنس يكتبون عنى إلى يوم القيامة لكلوا وملوا وقال أيضاً ما بقى عند غيرنا من آل عصرنا علم نستفيده وإنما [٣٩٤] ننظر فى كلامهم لنعرف ما من الله تعالى به علينا دونهم فنشكره عليه وكان ﷺ إذا استغرق فى الكلام يقول ألا رجل من الأخيار يعقل عنا هذه الأسرار هلموا إلى رجل سيره الله بحر الأنوار وسئل يوما فقيل له من شيخك فقال كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم فى عشرة أبحر من الآدميين النبى ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وخمسة من الروحانيين جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح، وقد طلب فى حزبه الكبير أن يكون خليفة ممدا للعالم ولجميع أولياء الله تعالى كما هو شأن الخليفة الأكبر والقطب المحمدى الأنور فقال وجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخا بينهم وبين أعدائك.

قال العارف بالله فى حاشيته طلب تلقى الغنى من حضرة القدس بلا واسطة من الأولياء وكونه واسطة وسببا فى الإمداد بذلك لسائر الأولياء على ما هو شأن القطب من كونه مظهر الحق من خلقه ومرآة تجليه فهو لذلك فى الكون بمنـــزلة إنسان العين من العين عليه المدار من فيض نوره تستمد جميع الأنوار وأن يكون حاجزا لهم ومانعا من تسلط أنفسهم وأهوائهم وشياطينهم وسائر قواطعهم عن كمالهم واتصالهم بربهم وذلك بقوة ربانية وبصيرة نورانية كما هو شأن أهل التمكين والرسوخ فى الهوية ومرتبة أهل الإمامة ومقام أهل الإرشاد والهداية ومحل الحفظ والرعاية إما للكافة وهى مرتبة القطب أو للبعض وهى مرتبة من دونه من الخلفاء والأمناء أهل الغنى بالله رضى الله عنهم وقد قالوا ليس الرجل من كمل فى نفسه بل من كمل به غيره [٣٩٥] ولا من زال الخوف عنه فى نفسه ولكن من زال به الخوف عن غيره وقد قال الشيخ سيدى عبد القادر ﷺ:

إذا مـــر رجـــال لا يخاف جليسهم ريـــب الـــزمان ولا يـــرى ما يرهب

انتهى.

ثم انتقلت الخلافة بعده إلى تلميذه القطب الكبير العارف الشهير أبى العباس المرسى وقد كان ﷺ يقول والله ما سارت الأبدال من قاف إلى قاف إلا ليلقوا مثلى ويقول لو علم أهل المشرق والمغرب ما تحت هذه الشعرات وأشار إلى لحيته من العلوم والأسرار لأتوها ولو حبوا ولم تـــزل تنتقل من فرد إلى فرد إلى وقتنا هذا ثم لا تـــزال بعده تنتقل كذلك حتى تتصل بالإمام أبى عبد الله محمد بن عبد الله المهد المنتظر ومن بعده بسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وهو آخر الخلفاء الباطنيين وختم الولاية العامة وبعده تقوم الساعة وتنتقل العمارة إلى الدار الآخرة، ثم إطلاق اسم القطب على هذا الذى ذكرناه هو الأصل والمراد فى غالب الإطلاق وقد يتوسعون فيطلقونه على كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به فى وقته عن غيره من أبناء جنسه وإن لم يصل إلى هذه الدرجة المتوحدة فيقولون فلان قطب الزهاد أو قطب المتورعين أو قطب الأحوال أو قطب العلماء أو ما أشبه ذلك ومن هذا إطلاق اسم الأقطاب على

الأقطاب السبعة المشهورين الذين هم دون الغوث وتحت ولايته ولا يتصرفون إلا على نظره لأن كل واحد منهم قطب مرتبة مخصوصة وتحته عدد مخصوص لا يتصرفون أيضاً إلا على نظره وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد وشيخ الجماعة قطب تلك [٣٩٦] الجماعة والله أعلم.

– معنى تصرف الولى –

وها هنا أمر ينبغى التنبيه عليه وهو أن تصرف الولى هو معنى إيجاد الله الأمر وخلقه على يديه من غير أن يكون للولى فيه أثر ولا فعل ولأنه لا تأثير لمخلوق فى شيء ما أصلاً والتأثير والفعل إنما هو لله عز وجل خاصة والتصرف بهذا المعنى ثابت لأولياء الله تعالى فى حياتهم وللكبار منهم بعد الممات أيضاً وقولهم إذا مات الولى انقطع تصرفه فى الكون هو كذلك لكن بالنسبة لغير الكبار، أما هم فيتصرفون بعد الممات أيضاً بل ربما زاد تصرفهم كما هو واقع لغير ما واحد وهو بتصريفه تعالى وإذنه وإرادته ومشيأته أكرمهم الله تعالى به وأجراه على قلوبهم وألسنتهم أو أوقعه فى قلوبهم خاصة وحرك به هممهم خرقا للعادة تارة بإلهام وتارة بمنام وتارة بفعلهم واختيارهم وتارة بغير اختيار وتارة بالشعور منهم وتارة بلا شعور إلى غير ذلك وهو من أنواع الكرامات التى أكرم الله تعالى بها أولياءه.

كما أن التصرف ثابت للأولياء من الإنس والجن كذلك هو ثابت للملائكة

وقد أشار التاج السبكى إلى ذلك بقوله إن من أنواع الكرامة مقام التصريف ثم حكى عن بعضهم أنه كان يبيع المطر وكما أنه ثابت للأولياء من الإنس بل ومن الجن أيضاً كذلك هو ثابت للملائكة عليهم السلام كما فى حديث أخرجه أبو نعيم إن الله تعالى يقول يا جبريل اقض حاجة عبدى.وفى التفاسير لدى قوله تعالى فى سورة النازعات ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً ﴾ [النازعات:٥] عن عبد الرحمن بن سابط قال يدبر الأمر فى الدنيا أربعة أملاك جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل عليهم السلام فأما

جبريل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت [٣٩٧] فموكل بقبض الأنفس وأما إسرافيل فهو ينــزل عليهم بالأمر من الله تعالى وفيها أيضاً لدى قوله فى سورة الذاريات ﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً ﴾ [الذاريات:٤]أنها الملائكة تقسم الأمور من الإمطار والأزواد وغيرها بين الخلق على ما أمروا به وقيل هم أربعة جبريل للوحى إلى الأنبياء والغلظة والعذاب وميكائيل للرزق والرحمة وإسرافيل للصور واللوح وعزرائيل لقبض الأرواح وإذا علمت هذا كله وعلمت منه أن الحق سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقى لجميع المكونات والحاكم فيها حقيقة بما يريد فى جميع الأطوار وسائر الحالات والمتصرف فيها أصالة بتصرفه العام وسلطانه القديم التام لا غيره من جميع الحوادث إذ جل سبحانه على أن يكون معه فى ملكه شريك أو يكون له مثل أو ضد قديم أو حادث وعلمت منه مكانة الإنسان وما آتاه الله من الكرامات ومقامات الإحسان وإن الله تعالى بحكمته وإرادته ومشيأته جعله خليفة فى كل العوالم ونائبا عنه فى كل ما هو فيها من جاهل أو عالم وصرفه فيها بالتصريف المستغرق الكامل وحكمه بالتحكيم المطلق الشامل وعلمت منه أيضاً أن الإنسان الكامل أصالة وبالذات أن نقول الأكمل الذى هو رسول الله ﷺ هو المقصود والقطب الذى تدور عليه أولاً وآخرا أفلاك الجود والوجود وأنه خليفة الله الأعظم الأشهر ونائب سلطانه الأقوم الأكبر ولذا كان فاتحا وخاتما والوجود كله بوجوده ورعايته قائما ورفع سبحانه فى الملأ الأعلى ذكره ونشر بين الخافقين أعلامه وفخره وسماه [٣٩٨]بأسمائه وكتب اسمه مع اسمه فى عرشه وسمائه وآتاه ما لم يؤت غيره حتى أرضاه وأجلسه على عرش مملكته ورقاه وأخذ العهد والميثاق على النبيين وأممهم بالإيمان به ونصره والاعتراف بفضيلته وشكره وأسجد الملائكة لآدم لما كانَ فى جبهته إعلاما بعظيم مكانته وإعلاء لدرجته وأخبر بأن ذكره وأمره أمره وطاعته طاعته وبيعته بيعته ومحبته فى متابعته والهدى فى اقتفاء أثره وسيرته وبأنه وملائكته يصلون عليه وبأنواع الإحسان والمبرة والإسعاف يتوجهون إليه إلى غير ذلك مما خصه به المولى هنالك علمت أن المتصرف بالتصريف المطلق فى جميع الأكوان والوكيل المفوض فى

المملكة الربانية كلها فى كل آن والحاكم فيها بما شاء من حل وعقد وترتيب ونقد وإعطاء ومنع وضر ونفع وتفريق وجمع وأخذ ودفع وعزل وتولية وخفض وترقية إلى غير ذلك وهذا الذى ذكرناه أو نذكره كله معلن بخلافته العظمى ومؤذن بتصريف الله تعالى إياه فى ملكه الأعز الأحمى وتحكيمه له فى مخلوقاته وإنفاذه لما أمضاه فى بريته ومصنوعاته وإذا كان الأولياء الذين هم فى مقام النيابة عنه بالمثابة التى أسلفناها فكيف بمرتبته التى لا يمكن أن يعبر عنها مخلوق ولا أن يحوم حول حماها.

كمل بعون الله تعالى وتوفيقه الجزء الثانى من كتاب جلاء القلوب من الأصداء الغينية ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية ويليه بحول الله الجزء الثالث وأوله وقد أشار لخلافته الكبرى ونيابته عن الله تعالى... وكان الفراغ منه ضحوة يوم السبت سادس عشر ربيع الثانى عام سبعة وخمسين وثلاثمائة وألف على ذمة المتسبب فى تخريجه من المبضة حفيد المؤلف الشريف الجليل العالم النبيل الأديب الحفيد سيدى المنتصر العبد الفقير الراجى عفو ربه القدير أحمد بن الحسن بن أحمد البركة بن أحمد البدوى الشهير بزويتن غفر الله ذنوبه وستر بمنه عيوبه آمين.

يقول أبو على محمد المنتصر بن محمد الزمزمى بن محمد بن جعفر الكتانى أنهيت دراسة هذا المجلد الثانى من هذا الكتاب العظيم الجامع الثانية سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف بمدينة سكفاى بسلا.

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة